



منشورات جامعة دمشق
كلية الشريعة



حاضر العالم الإسلامي



الدكتور

حازم زكريا محي الدين

مدرس في قسم علوم القرآن والحديث

جامعة دمشق

١٤٤١ - ١٤٤٢ هـ
٢٠١٩ - ٢٠٢٠ م



حاضر العالم الإسلامي



السنة: الأولى



منشورات جامعة دمشق
كلية الشريعة

حاضر العالم الإسلامي

الدكتور

حازم زكريا محي الدين

مدرس

في قسم علوم القرآن والحديث

١٤٤١-١٤٤٢هـ

٢٠١٩-٢٠٢٠م

جامعة دمشق

المحتوى

٩.....	تمهيد:
١٥.....	الفصل الأول: جغرافية العالم الإسلامي وخصائصها
١٧.....	مدخل:
١٩.....	المبحث الأول: الموقع الجغرافي للعالم الإسلامي
١٩.....	أولاً- الرقعة الجغرافية للعالم الإسلامي:
	ثانياً- إشرافه على الأذرع المائية من المحيطات والبحار والأنهار
١٩.....	والمضايق:
٢٠.....	أ- المحيطات التي يُطلّ عليها العالم الإسلامي:
٢٠.....	ب- البحار التي يُطلّ عليها العالم الإسلامي:
٢١.....	ج- أهم الأنهار في العالم الإسلامي:
٢٢.....	د- المضائق والممرات المائية:
٢٥.....	المبحث الثاني: خصائص الموقع الجغرافي للعالم الإسلامي
٢٩.....	الفصل الثاني: أثر الإسلام في تحرير الوطن العربي من الاستعمار الغربي
٣٣.....	مدخل:
٣٥.....	المبحث الأول: بلاد الشام
٣٥.....	أولاً- تقسيم بلاد الشام:
٣٦.....	ثانياً- تحرير سورية من الاستعمار الفرنسي:
	ثالثاً- دور الإسلام في التصدي للاحتلال الإنكليزي والمشروع الصهيوني
٣٩.....	في فلسطين:
٤٧.....	المبحث الثاني: مصر
٤٩.....	المبحث الثالث: المغرب العربي
٤٩.....	أولاً- الجزائر:
٥٢.....	ثانياً- تونس:
٥٣.....	ثالثاً- المغرب:

٥٤	رابعاً - ليبيا:
٥٧	الفصل الثالث: المسلمون في القارة الآسيوية.....
٥٩	المبحث الأول: المسلمون في آسيا.....
٥٩	مقدمة:
٦٣	المبحث الثاني: المسلمون في شبه القارة الهندية.....
٦٣	أولاً: المسلمون في الهند.....
٨٠	ثانياً: المسلمون في باكستان
٨٤	ثالثاً: المسلمون في كشمير
٨٧	المبحث الثالث: المسلمون في إندونيسيا.....
١٠٣	المبحث الرابع: المسلمون في ماليزيا.....
١١٣	المبحث الخامس: المسلمون في روسيا الاتحادية.....
١٢٣	المبحث السادس: المسلمون في دول آسيا الوسطى.....
١٢٧	المبحث السابع: المسلمون في الصين.....
١٣٥	الفصل الرابع: المسلمون في القارة الإفريقية
١٣٧	المبحث الأول: الإسلام في إفريقيا.....
١٤٧	المبحث الثاني: المسلمون في إثيوبيا.....
١٥٣	المبحث الثالث: المسلمون في تشاد.....
١٥٧	المبحث الرابع: المسلمون في نيجيريا.....
١٦٧	المبحث الخامس: المسلمون في مالي.....
١٧١	المبحث السادس: الإسلام في السنغال.....
١٧٥	المبحث السابع: المسلمون في جمهورية جنوب إفريقيا.....
	الفصل الخامس: المسلمون في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية وكندا وأستراليا
١٨١	
١٨٣	المبحث الأول: المسلمون في أوروبا.....
١٨٧	أولاً: المسلمون في أوروبا الشرقية.....
١٩٢	ثانياً: المسلمون في أوروبا الغربية.....
٢٠١	المبحث الثاني: المسلمون في الولايات المتحدة الأمريكية.....
٢١٢	المبحث الثالث: المسلمون في كندا.....
٢١٥	المبحث الرابع: المسلمون في أستراليا.....
٢٢١	الفصل السادس: الإسلام والتحديات المعاصرة.....

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة، وأتمّ التسليم على رسوله الأمين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

يُعدّ مقرر "حاضر العالم الإسلامي" من أهم المقررات التعليمية في كلية الشريعة التي توسّع المدارك الفكرية للطلاب والقراء، وتفتح الآفاق الرحبة أمامهم، وتمنحهم القدرة على التواصل والتفاعل مع واقع العالم الإسلامي الذي ينتمون إليه، وتيسر لهم الاطلاع على أحوال أمتهم التي لا يكمل إيمانهم إلا بالاهتمام بها ورعاية شؤونها.

هذا "المقرر" عبارة عن رحلة علمية تأخذ بيد الطالب، وهو في بداية حياته الجامعية، للتعرف بإيجاز على بعض الدول المسلمة من حيث جغرافيتها العامة، وتاريخ دخول الإسلام وانتشاره فيها، ومن حيث الواقع الحالي لشعوبها، مع التركيز على أوضاعهم الدينية والعلمية، والإشارة الموجزة لأهم المشكلات والتحديات التي تواجههم اليوم. ويشير أيضاً إلى بعض الأقليات والجماليات الإسلامية المهمة التي تعيش خارج العالم الإسلامي، مثل الأقليات التي تعيش في الهند، وروسيا، والصين، وجنوب إفريقيا؛ والجماليات التي تعيش في أوروبا، والولايات المتحدة، وكندا، وأستراليا حتى تتضح في أذهان طلابنا الأعزاء صورة المسلمين وأحوالهم، ولو بشكل عام وموجز، في داخل العالم الإسلامي، وفي خارجه.

ولكي يزداد الطلاب إدراكاً لواقع المجتمعات الإسلامية، والمشكلات والتحديات الداخلية والخارجية التي تواجهها فقد تمّ اختيار بحث قيم من بحوث الأستاذ الدكتور محمد سعيد رمضان رحمه الله بعنوان "الإسلام والتحديات

المعاصرة"، عالج فيه هذه التحديات، وبين منهج مواجهتها، والخلاص منها بأسلوبه الفذ، ورؤيته العميقة الثاقبة.

لا بدّ من القول بأنّ من له أدنى له اطلاع على العالم الإسلامي، وأحوال المسلمين في العصر الحديث، يدرك استحالة إيفاء هذا الموضوع حقه من حيث العمق والشمول ومتابعة القضايا والأحداث الكثيرة، والمتشعبة في مقرر دراسي محدود الصفحات، لذلك فإنّ هذا المقرر ليس في الحقيقة أكثر من مدخل متواضع لدراسة حاضر العالم الإسلامي، والأمة الإسلامية اليوم، ولكنه في الوقت نفسه يأمل في إثارة دافعية الطلاب والقراء نحو متابعة الاهتمام بدراسة العالم الإسلامي، وقضايا الأمة الإسلامية، ومشكلاتها في العصر الحديث.

كل الشكر والتقدير للأساتذة، الدكتور بديع السيد اللحام عميد كلية الشريعة في جامعة دمشق، الذي قام بمراجعة الكتاب وإثرائه، والدكتور محمد توفيق رمضان، والدكتورة غيداء المصري، والدكتور محمد الخلف لاهتمامهم البالغ بهذا "المقرر"، وتوفير كلّ الظروف التي ساعدت على إخراجهِ للطلاب. والشكر الجزيل أيضاً للطلّابين في قسم الدراسات العليا المعيدة آلاء شيخ مصطفى التي ساعدت في تنزيده وإعداد خرائطه، والطالب في مرحلة الدكتوراه عبد القادر العاشق الذي ساعد في إخراجهِ فنياً.

والحمد لله أولاً وآخراً، ربنا تقبّل منا إنك أنت السميع العليم.



تهديد:

مفهوم العالم الإسلامي وأهمية التعرف على حاضر العالم الإسلامي

بدأ مفهوم العالم الإسلامي بالظهور والتكوّن مع بداية الفتوحات الإسلامية التي بدأت على يد الخليفة الراشد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، إذ بدأت رقعة البلاد التي اعتنقت الإسلام واتخذت منه ديناً ومنهج حياة تتوسع حول مكة المكرمة والمدينة المنورة، وبدأت تعمّ بقاع الجزيرة العربية، وتمتدّ بعد ذلك شرقاً وغرباً حتى وصلت إلى الشام والعراق وفارس ومصر وشمال إفريقيا، ومن ثمّ امتدت إلى بقاع عديدة في قارات العالم القديم في آسيا وإفريقيا وأوروبا بفضل جهود الدعاة والتجار والرحالة والهجرات حتى استقر مصطلح "العالم الإسلامي" اليوم بوصفه:

"المنطقة الجغرافية التي تمتد من جزيرة إيريان الغربية في إندونيسيا شرقاً إلى جزر الرأس الأخضر مقابل السنغال غرباً، ومن نهر الفولغا في روسيا شمالاً إلى جزر القمر في المحيط الهندي، والتي تزيد مساحتها على ٣٧ مليون كيلو متر مربع. والتي يعتنق أغلب سكانها الدين الإسلامي، الذي يشكّل لشعوب هذه المنطقة المرجعية الدينية والثقافية والحضارية، بغض النظر عن مدى وحدتهم السياسية واندماجهم الاقتصادي والاجتماعي"^(١).

(١) قارن ب: جغرافية العالم الإسلامي، دلال جوهر، ط١، دمشق، مطبعة الصباح، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ٢٧/١؛ حاضر العالم الإسلامي، محمد رضا القهوجي، ط١، دمشق، دار الكلم، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، (ص/٩).

وهكذا فالعالم الإسلامي يشكّل وحدة جغرافية تستند إلى روابط دينية وحضارية جامعة، أي يشكّل في الحقيقة نسيجاً جغرافياً ودينياً وحضارياً مستقلاً ومتميزاً.

وإذا قبلنا بمعيار أن كل دولة تزيد نسبة المسلمين فيها عن (٥٠٪) فهذا يعني أن العالم الإسلامي اليوم يتكون من (٦١) دولة مسلمة^(١) (٥٧ دولة فقط تنطوي في إطار منظمة التعاون الإسلامي)^(٢). أما دول العالم التي تضم نسبة من المسلمين أقل من ٥٠٪ فلا يمكن أن نعدّها دولاً مسلمة^(٣)، بل هي دول تضم أقليات أو جاليات إسلامية بنسب متفاوتة، وهذا الأمر ينطبق على معظم دول العالم إن لم نقل جميعها، إذ لا تخلو دولة في الوقت الحالي من وجود نسبة من المسلمين فيها مهما كانت ضئيلة.

(١) مجموع عدد دول العالم اليوم (٢٠٦) دول، منها (١٩٣) دولة عضو في منظمة الأمم المتحدة، ودولتان مراقبتان، أي أعضاء في الأمم المتحدة، ولكنها لا تملك حق التصويت، هما: الفاتيكان وفلسطين.

(٢) أما الدولة المسلمة (أي التي تزيد نسبة المسلمين فيها عن ٥٠٪) ولكنها لا تتمتع بالعضوية الكاملة في منظمة التعاون الإسلامي، فهي: البوسنة والهرسك (نسبة المسلمين فيها تصل إلى ٧٥٪، ومع ذلك فهي عضو مراقب فقط في منظمة التعاون الإسلامي)، وأما الدول المسلمة التي لا تنضوي في إطار منظمة التعاون الإسلامي فهي: كوسوفو (نسبة المسلمين فيها تصل إلى ٩٥٪)، ومقدونيا (نسبة المسلمين فيها تصل إلى حوالي ٧٠٪)، وإثيوبيا وأريتريا (نسبة المسلمين فيهما تصل إلى أكثر من ٥٥٪).

(٣) الدولة المسلمة الوحيدة التي لا ينطبق عليها هذا المعيار (أي أن تكون نسبة المسلمين فيها أكثر من ٥٠٪)، هي دولة سورينام في أمريكا الجنوبية التي تصل نسبة المسلمين فيها إلى حوالي ٤٠٪ فقط، ومع ذلك فهي عضو كامل العضوية في منظمة التعاون الإسلامي.

▪ الفرق بين مفهوم "الأمة الإسلامية" و"العالم الإسلامي":

أما مفهوم الأمة الإسلامية فهو يعني أن المسلمين في جميع أنحاء العالم سواء أكانوا ينتمون إلى دول مسلمة أم غير مسلمة، يشكلون مجموعة بشرية واحدة دون الناس جميعاً، تجمعهم مظلة العقيدة الإسلامية، ويلتزمون بأحكام الإسلام وأخلاقه وقيمه ومقاصده، ويصطبغون جميعاً بصبغة روحية وفكرية واحدة، ويشتركون في تاريخ ثقافي وحضاري واحد، ويشتركون في الوقت نفسه بالهدف والمصير الواحد.

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢]

﴿وَأَنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢]

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ

وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]

وهذه الأمة تتوسع مع اعتناق أي فرد للإسلام، إذ بمجرد دخول أي إنسان إلى الإسلام فإنه يصبح بالضرورة جزءاً لا يتجزأ من الأمة الإسلامية، ولكنه لا يكون بالضرورة منتبياً إلى العالم الإسلامي إذا لم تكن نسبة المسلمين في البلد الذي يعيش فيه أكثر من ٥٠٪.

فإذا أسلم على سبيل المثال شخص في اليابان فهذا يعني أنه أصبح جزءاً من الأمة الإسلامية، ولكن لا يصبح وطنه اليابان جزءاً من العالم الإسلامي لأن نسبة المسلمين فيه لا تصل إلى ١٪.

إذاً فإننا نكتفي عند تحديد مفهوم الأمة الإسلامية بالمكون العقدي فقط، أما مفهوم العالم الإسلامي فيحتاج بالإضافة إلى الأساس العقدي إلى الرقعة الجغرافية الممتدة التي تعيش فيها شعوب تدين أغليبتها بالإسلام بوصفه منظومة عقدية روحية وأخلاقية وثقافية وفكرية وحضارية متكاملة.

■ أهمية دراسة "حاضر العالم الإسلامي":

تتبع أهمية دراسة: "حاضر العالم الإسلامي" من نواح كثيرة، يمكن أن نوجز أهمها في النقاط التالية:

١- تنمية الوعي الجغرافي والتاريخي والفكري بالعالم الإسلامي المعاصر حتى يستطيع المسلم التفاعل مع واقع أمته الإسلامية التي ينتمي إليها، ويرتبط مصيره الفردي ومصير وطنه الذي يعيش فيه بمصيرها الجماعي، واضعاً في باله قول رسولنا الكريم ﷺ: «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم»^(١).

وقوله ﷺ: «تري المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم، كمثل الجسد، إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى»^(٢).

٢- يقول الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا

اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢]

ويقول رسول الله ﷺ: «إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»^(٣).

فالتعاون والتآزر بين المسلمين فرض لا يمكن لمسلم التهاون فيه، ومن المتفق عليه أن تحقيق التعاون بين المسلمين يتوقف على مدى وعيهم بواقعهم وأحوالهم ومشكلاتهم، إذ كيف يمكن لأحد أن يتعاون مع آخر وهو لا يعرف عنه شيئاً ولا عن أحواله وقضاياه، لذلك تصبح دراسة حاضر العالم الإسلامي واجبة عليهم، انطلاقاً من قاعدة مقدمة الواجب، أي ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

(١) أخرجه الطبراني في معجمه الأوسط. رقم الحديث: (٧٦١٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث، (٥٦٧٢).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث: (٤٦٩).

٣- يمكن أن نقف على أهمية بل ضرورة الاطلاع على "حاضر العالم الإسلامي" إذا علمنا أن غياب الاطلاع على واقع العالم الإسلامي ومشكلاته وقضاياه الحديثة، يعني توهين الصلة بين المسلم والعالم الذي ينتمي إليه، وهذا يؤدي إلى نشر عقلية عدم المبالاة والاستهتار بين المسلمين، وإلى ترسيخ العقلية الانعزالية المحدودة الآفاق بينهم، وهذه العقلية تأسر أصحابها في قواقع إقليمية وعرقية ولغوية ومذهبية وثقافية ضيقة لا تنسجم أبداً مع الرسالة الإسلامية الرحبة الجامعة والموحدة لكل أبنائها، والتي تحثهم على التعارف والتواصل، ومدّ كل أسباب الألفة والمحبة والوحدة والإصلاح بينهم، واجتثاث كل مصادر الشقاق والنزاع بينهم.

يقول الله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠]

ويقول ﷺ: «لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، حسب امرئ مسلم من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله، وعرضه»^(١).

■ التأليف في "حاضر العالم الإسلامي":

إن أول مؤلف، ظهر في العصر الحديث، يحمل عنوان "حاضر العالم الإسلامي" كان للمستشرق الأمريكي لوثرروب ستودارد الذي ظهر في عشرينات القرن العشرين الذي ألفه بعد زيارة ميدانية له للعالم الإسلامي (تركيا، ومصر

(١) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده، حديث رقم: (٧٥٥٦).

والشام)، وشهد بأم عينيه التغيرات السياسية والحضارية والفكرية الكبيرة التي كان يشهدها العالم الإسلامي آنذاك بعد إلغاء الخلافة العثمانية في عام (١٩٢٤م). وقد كان العنوان الأصلي لكتابه هو "عالم الإسلام الجديد"، ولكن عندما ترجمه الأستاذ عجاج نويهض، وضم إليه تعليقات الأمير شكيب أرسلان والفصول التي أضافها عليه، نشره تحت عنوان "حاضر العالم الإسلامي"، ومن هنا ظهر هذا المصطلح، وشاع في العالم الإسلامي لأول مرة. وساعد على نشره وشيوعه قيام بعض الأكاديميين، وعلى رأسهم الأستاذ محمد عبد القادر المبارك الأستاذ في كلية الشريعة في خمسينات وستينات القرن الماضي بدعوة الجامعات الإسلامية إلى اعتماد مقرر جامعي يحمل عنوان "حاضر العالم الإسلامي"، حيث كانت هذه الدعوة سبباً لإقبال عدد من الباحثين وأساتذة الجامعات على تأليف عدد من الكتب في هذا العلم المهم، نذكر من بينها الكتب الآتية:

- حاضر العالم الإسلامي وقضايا المعاصرة، جميل المصري.
- محاضرات في حاضر العالم الإسلامي، داود الفاعوري.
- حاضر العالم الإسلامي، علي جريشة، محمود محمد سالم.
- حاضر العالم الإسلامي، توفيق الواعي.
- حاضر العالم الإسلامي وقضايا السياسة المعاصرة، محمد عوض الهزايمة.
- قضايا هامة في حاضر العالم الإسلامي، محيي الدين القضماني.
- حاضر العالم الإسلامي، محمد رضا القهوجي.



الفصل الأول

جغرافية العالم الإسلامي وخصائصها

ويتضمن مبحثين:

المبحث الأول: الموقع الجغرافي للعالم الإسلامي

المبحث الثاني: خصائص الموقع الجغرافي للعالم الإسلامي

مدخل:

يعتمد العالم الإسلامي في امتداده على مبدأ الدعوة إلى الله تعالى، وإقبال الناس على الإسلام واعتناقهم لمبادئه الرشيدة. فالعالم الإسلامي امتدّ واتسع برجال حملوا الإسلام، وبذلوا وسعهم في سبيل نشره، وقد اتسع العالم الإسلامي فشمل في يوم من الأيام بلاداً واسعة من آسيا وإفريقيا، وأجزاء من أوروبا (إسبانيا والبرتغال وقبرص وصقلية، وألبانيا والبوسنة والهرسك)، وقد يصل في يوم من الأيام إلى بلادٍ وأماكن جديدة لم يصل إليها من قبل.

يقول الله تعالى في محكم التنزيل: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣]

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ

شَهِيدًا﴾ [الفتح: ٢٨]

فالإسلام دين الله تعالى أنزله ليعمّ بنوره الحقّ الناس جميعاً، ويخرجهم من الظلمات إلى النور. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبا: ٢٨]

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]

﴿الرَّكَتَبُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى

صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١]

ويقول رسول الله ﷺ: «لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حُمْرِ النعَم»^(١).

فالإسلام دين عالمي يحمل الحق والخير والرحمة للناس أجمعين. إن حديثنا عن العالم الإسلامي يتناول ما هو عليه هذا العالم في العصر الحديث. وسنبداً هذا الحديث عنه بالتعرف بصورة موجزة على: موقعه الجغرافي، والخصائص المستفادة من هذا الموقع التي أكسبته أهمية استراتيجية كبيرة، الأمر الذي جعله محط أنظار القوى العالمية الباحثة عن الهيمنة والنفوذ والثروات.



(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، حديث رقم (١٣٥).

المبحث الأول : الموقع الجغرافي للعالم الإسلامي

أولاً - الرقعة الجغرافية للعالم الإسلامي :

يشغل العالم الإسلامي قلب العالم القديم المتمثل بقاراته الثلاث: آسيا، وإفريقيا، وأوروبا، وحديثنا يتناول الدول التي يتجاوز عدد المسلمين فيها (٥٠٪) من مجموع السكان كما قلنا من قبل، وعلى ذلك فالبلاد المسلمة تتربع على رقعة واسعة من الأرض تمتد من الشمال إلى الجنوب بين دائرتي العرض (٦٠) درجة شمالاً و (٦) درجات جنوباً أي من أعالي نهر الفولغا شمالاً إلى جزر القمر جنوباً. أي بطول يزيد على (٧) آلاف كم^٢.

ويمتد طوله من الشرق إلى الغرب ما بين خطي طول (١٤٠) درجة شرقاً إلى (١٨) درجة غرباً أي من جزر إندونيسيا الشرقية، وبالتحديد من جزيرة إيريان الغربية إلى جزر الرأس الأخضر مقابل السنغال في المحيط الأطلسي، أي ما يساوي (٢٠٩) ألف كم^٢، أي نصف محيط الكرة الأرضية.

والعالم الإسلامي بهذا الامتداد يشغل ما يعادل (٢٥٪) من مجموع مساحة اليابسة، حيث تبلغ مساحته أكثر من (٣٧) مليون كم^٢ من أصل مساحة العالم البالغة حوالي (١٤٩) مليون كم^٢، وهذا يوازي أكثر من ثلاثة أمثال مساحة قارة أوروبا^(١).

ثانياً - إشرافه على الأذرع المائية من المحيطات والبحار والأنهار والمضايق :

يمتلك العالم الإسلامي سواحل طويلة على معظم المحيطات والبحار والأنهار في العالم، ويتحكم بمنافذ مائية ذات أهمية كبيرة:

(١) في جغرافية العالم الإسلامي، سارة حسن منيمنة، محمد الإسكندراني، ط٤، (بيروت، دار بيروت المحروسة، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)، (ص/٢٣-٢٥).

أ- المحيطات التي يُطلّ عليها العالم الإسلامي:

- ١- المحيط الأطلسي: يمتلك المسلمون معظم سواحل إفريقيا الغربية من طنجة شمالاً حتى خليج غينيا جنوباً المواجه للكاميرون ونيجيريا.
- ٢- المحيط الهندي: يمتلك المسلمون جزءاً كبيراً من ساحل إفريقيا الشرقية المطل على المحيط الهندي، أي الصومال وتنزانيا وموزامبيق.
- ٣- المحيط الهادي: يتصل به المسلمون من خلال جزر إندونيسيا والفلبين.

ب- البحار التي يُطلّ عليها العالم الإسلامي:

يطلّ العالم الإسلامي على عدد من أهم البحار الاستراتيجية في العالم تصل إلى ثمانية عشر بحراً، نذكر منها:

- ١- البحر الأحمر: بحر إسلامي خالص بسواحله ومعابره، وله أهمية من حيث الموقع، فهو الحدّ الفاصل بين قارتي آسيا وإفريقيا، وهو معبر الأوربيين إلى الشرق من خلال قناة السويس. وهو يعدّ أخطر سبيل المواصلات البحرية في العالم، فمن خلاله تعبر السفن المحمّلة بالبترول والبضائع التجارية التي تنتقل شرقاً وغرباً، وهو مجال تدفق القوى العسكرية والبضائع ما بين البحر الأبيض المتوسط والمحيط الهندي وما يتصل بهما.
- ٢- البحر الأبيض المتوسط: من أهم بحار العالم، فسواحله تتصل بقارات العالم القديم آسيا وإفريقيا وأوروبا، وله أهمية تاريخية يميز بها من بين بحار العالم حيث شهدت البلاد المحيطة به والقريبة منه نزول الرسالات السماوية، وولادة التفكير الفلسفي والعلمي في الفكر الإنساني. وتشغل أرض الإسلام ساحله الجنوبي وساحله الشرقي وبعض سواحله الشمالية في ألبانيا وتركيا، وقد ازدادت أهميته بعد شق قناة السويس، وانتشار المواصلات الجوية حيث أصبح طريقاً إجبارياً للطيران التجاري.

٣_ البحر الأسود: بحر داخلي يقع بين تركيا، وبلغاريا، ورومانيا، وروسيا الاتحادية، وأوكرانيا، يرتبط بالبحر المتوسط عن طريق مضيق البوسفور وبحر مرمرة ومضيق الدردنيل.

٤_ بحر العرب: يمتد في الجزء الشمالي الغربي من المحيط الهندي بين شبه الجزيرة العربية وشبه القارة الهندية، ذراعاه الرئيسان خليج عدن وخليج عُمان، يصب في مياهه نهرُ السند، وتطلُّ عليه موانئُ عدن وبومباي وكراشي، وهي موانئُ إسلامية خالصة.

٥_ بحر البنغال: وهو ذراع المحيط الهندي يقع بين الهند وبنغلاديش غرباً، وميانمار والملايو شرقاً، تطلُّ عليه بنغلاديش.

٦_ بحر الصين الجنوبي: يشكل الجزء الغربي من المحيط الهادي، يطلُّ عليه العالم الإسلامي من جهة ماليزيا، وسلطنة بروناي، وإندونيسيا، والفلبين.

ج- أهم الأنهار في العالم الإسلامي:

يوجد في العالم الإسلامي أكثر من (٢٥٠) نهراً، تغذي البلاد الإسلامية بشريان الحياة، فضلاً عن ثرواتها السمكية، ودورها الكبير في توليد الطاقة المتجددة، وفي المواصلات النهرية. نذكر من هذه الأنهار:

١. نهر النيل: يُعد أطول أنهار العالم، حيث يصل طوله إلى (٦,٦٦٥) كم، يمر مساره في عشر دول إفريقيا يطلق عليها اسم دول حوض النيل. ينبع عند بحيرة فيكتوريا في وسط شرق إفريقيا على حدود أوغندا وتنزانيا وكينيا، ثم يتجه شمالاً حتى يصل إلى السودان ومصر، ويصب في البحر الأبيض المتوسط. وهو يشكّل عَصَب الحياة في كل البلاد التي يمر فيها.

٢. نهر النيجر: ثالث أطول نهر في القارة الإفريقية، وهو النهر الرئيس الذي يغذي غرب إفريقيا، حيث يمر عبر غينيا، ومالي، والنيجر، وبنين، ونيجيريا، ويصب في خليج غينيا. وقد أطلق عليه المسلمون في الماضي اسم "نيل السودان".

٣. نهر السند: من أكبر أنهار شبه القارة الهندية، ينبع ويمر في الباكستان، ويصب في بحر العرب.

٤. نهر سيحون: اسمه الحالي "سرداريا"، وهو أحد أكبر الأنهار في دولة أوزبكستان في آسيا الوسطى.

٥. نهر جيحون: اسمه الحالي "أموداريا"، وهو من أكبر أنهار آسيا الوسطى، ويمر في تركستان وطاجيكستان وأفغانستان.

عندما فتح المسلمون البلاد التي تقع خلفه (أوزبكستان وأجزاء من كازخستان) في القرن الهجري الأول أطلقوا عليها، بعد أن ضموا إليها تركستان وطاجيكستان، اسم بلاد ما "وراء النهر".

د- المضائق والممرات المائية^(١):

يتحكم العالم الإسلامي بمجموعة من المضائق المائية التي تتحكم بعقد المواصلات البحرية بين المحيطات والقارات والدول، نذكر منها:

١- قناة السويس: أهم شريان ملاحى في العالم، يبلغ طولها (١٦٣ كم)، وهي تمتد من مدينة بور سعيد شمالاً إلى بور توفيق بالقرب من مدينة السويس جنوباً، وهي تربط البحر الأبيض المتوسط بالبحر الأحمر.

٢- مضيقا الدردنيل والبوسفور: لهما أهميتهما منذ فجر التاريخ بسبب سيطرتهم على الملاحة بين البحر الأسود والبحر المتوسط. فالدردنيل يصل البحر الأبيض المتوسط ببحر مرمرة، والبوسفور يفصل تركيا الآسيوية عن تركيا الأوروبية، ويصل البحر الأسود ببحر مرمرة.

(١) المضيق: قناة مائية تقع بين مساحتين كبيرتين من اليابسة، وتصل مسطحين مائين كبيرين ببعضهما. مصطلحات مضيق وممر مائي وقناة تستخدم كمترادفات لبعضها بعضاً.

- ٣- مضيق جبل طارق: يصل هذا المضيق البحر المتوسط بالمحيط الأطلسي، ويصل بين المغرب وبين جنوب إسبانيا، يمتد من المضيق ذراع يؤلف خليج جبل طارق.
- ٤- مضيق باب المندب وخليج عدن: يحكمان اتصال بحر العرب، والمحيط الهندي بالبحر الأحمر.
- ٥- مضيق هرمز: يربط الخليج العربي بخليج عُمان والمحيط الهندي. ويعدّ اليوم من أهم ممرات العالم المائية التي تنقل عبرها ناقلات النفط العالمية التي تنقل النفط من إيران والعراق ودول الخليج العربي.
- ٦- مضيقا ملقا وسنغافورة: يصلان بين بحر الصين الجنوبي في المحيط الهادي، وبين المحيط الهندي^(١).



(١) جغرافية العالم الإسلامي، رياض الجبان، ط ١ (دمشق، بيت الحكمة، ٢٠١٣م)، (ص/٣٤ - ٤٨)؛ حاضر العالم الإسلامي وقضايا المعاصرة، جميل عبد الله المصري، (ص/٢٦ - ٣٠).

المبحث الثاني : خصائص الموقع الجغرافي للعالم الإسلامي

يتمتع الموقعُ الجغرافي للعالم الإسلامي المذكور في المبحث السابق بخصائص عديدة^(١)، نذكر منها ما يلي:

١- التحكمُ بالممرات المائية الدولية: يسيطر العالم الإسلامي على الطرق الملاحية الرئيسة، ويسيطر بشكل خاص على أهم المضائق المائية في العالم طوال التاريخ وحتى الوقت الحاضر. وقد تجلت أهمية هذه المضائق من خلال تأثيرها على القوى والسياسات العالمية خلال الحروب والصراعات الدولية، حيث كانت تتحكم هذه المضائق بنقل الأسلحة والذخائر والجنود بين الدول. فضلاً عن تحكمها بحركة وحجم الأساطيل العسكرية المتمركزة بالقرب من أماكن الصراع الملتهبة، وأماكن وجود الثروات الاستراتيجية الطبيعية التي توجد في العالم الإسلامي، وبصورة خاصة النفط والغاز.

٢- التنوع البشري والثراء الفكري والحضاري: يعني الموقع الجغرافي للعالم الإسلامي وامتداده الشاسع أنَّ العالم الإسلامي يضم بين جنباته العريضة شعوباً ذات أعراق ولغات، وذات أصول ثقافية وحضارية شديدة التنوع والثراء، قام الإسلام بصهرها في بوتقة حضارية واحدة، وقد شاركت هذه الشعوب جميعاً في رفع بنيان حضارة إسلامية إنسانية الأبعاد، عالمية الملامح.

(١) انظر، جغرافية العالم الإسلامي، محمد خميس زوكه، (الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية)، ١٩٩٤م، (ص/٢٣-٣٧). في جغرافية العالم الإسلامي، منيمنة، إسكندراني، (ص/٢٣) وما بعدها.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَاخْتَلَفَ اللَّسَانَ وَاللَّوْنِ﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ

لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴿[الروم: ٢٢]

نذكر من بين هذه الشعوب: العربية، والتركية والفارسية، والهندية، والملاوية، والقوقازية، والإفريقية.

٣- الثروة الزراعية الهائلة: أدى اتساع رقعة العالم الإسلامي وامتدادها في قارات العالم القديم إلى وجود مساحات زراعية واسعة، تغذيها مصادر مائية من أنهار وأمطار ومياه جوفية، وهذا أدى بدوره إلى تنوع الثروات الزراعية وتكاملها فيه، الأمر الذي يعني أنه إذا تم التعامل معها بطريقة علمية رشيدة إلى ضمان الأمن الغذائي للعالم الإسلامي، فضلاً عن تنشيط الصناعة والتجارة المعتمدة على الزراعة، وبالتالي توفير حياة الرخاء والتقدم للعالم الإسلامي بأسره.

٤- الثروات الباطنية والمعدنية: يمتلك العالم الإسلامي بسبب تنوع تضاريسه الجغرافية، وتنوع أحواله المناخية خزاناً هائلاً من الثروات الباطنية والمعدنية التي تمكن المسلمين من أن يكونوا في طليعة دول العالم ازدهارا وتقدماً إن أحسنوا الحفاظ عليها، وقاموا باستخراجها بأيديهم، واستثمارها بطريقة علمية، وإنشاء الصناعات المرتبطة بها.

إن الأهمية الكبرى للعالم الإسلامي هي التي تفسر الصراع المحتدم بين القوى الكبرى في العالم للسيطرة عليه ونهب ثرواته، وتفتيته على المستوى السياسي والديني والثقافي لتسهيل مهمة تقاسم أماكن النفوذ فيه، وإثارة القلاقل والاضطرابات فيه، واستثمارها وتوظيفها في خدمة مصالحه الخاصة. وقد لجأت

القوى المتصارعة إلى إخفاء وجهها القبيح، وتغطية أهدافها السياسية والاقتصادية بغطاء إيديولوجي برّاق يرفع شعارات التقدم والتمدّن، والتذرّع بمساعدة المسلمين على الاستفادة من ثرواتهم، وتطوير مجتمعاتهم ودولهم من جهة، واتهام الإسلام والمسلمين زوراً وبهتاناً بالتأخر والجمود الحضاري من جهة أخرى.



الفصل الثاني

أثر الإسلام في تحرير الوطن العربي من الاستعمار الغربي

ويتضمن ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : بلاد الشام

المبحث الثاني : مصر

المبحث الثالث : المغرب العربي

مدخل:

عندما بدأت جحافل الاستعمار الغربي باكتساح العالم العربي في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي، وأخضعوا البلاد العربية بلداً إثر آخر، وبدأوا بتنفيذ مخططاتهم في نهب الثروات والاعتداء على النفوس، وطمس وتشويه المرجعية الحضارية للأمة العربية من أجل ضمان استمرار سيطرتهم واستدامة نفوذهم، وتحويل العالم العربي إلى تابع ذليل يدور في فلكهم السياسي ومشروعهم الثقافي التغريبي، هبّ العرب على تنوع مشاربهم، وتعدد اتجاهاتهم إلى مقاومة هذه الجحافل الغازية، وتصدر صفوف هؤلاء المقاومين علماء الإسلام وأبنائه الذين رفعوا راية المقاومة والجهاد في سبيل الله، وعمل معهم كلّ الغيورين على دينهم وأوطانهم وأمتهم، وسطّروا سويةً أنصع صفحات العزة والكرامة والإباء.

وأثبتوا للعالم أن الإسلام هو السياج الحامي للأوطان، ولكرامة جميع أبنائها، وأنه الضامن لشخصيتها الحضارية، التي يُشكّل الإسلام عمودها الفكري، من الذوبان والتلاشي.

المبحث الأول: بلاد الشام

بلاد الشام معقل الإسلام وكنانته، منها انطلقت الفتوحات الإسلامية، وموجات الدعاة والعلماء والتجار في عهد الخلافة الأموية لتصل إلى أقاصي الشرق، والغرب.

وقد ردت بلاد الشام عبر التاريخ الاعتداءات المتكررة على العالم الإسلامي، لعل أهمها موقعة عين جالوت قرب نابلس في فلسطين عام (٦٥٨هـ)، حيث هزم المسلمون بقيادة السلطان سيف الدين قطز، والقائد الظاهر بيبرس التتار الذين اكتسحوا العالم الإسلامي، ودمروا بغداد عاصمة الخلافة العباسية عام (٦٥٦هـ). لذلك دأب الأعداء على تقطيع أوصالها، كي يضعفوا قوتها، ويسهل عليهم أمر احتلالها جزءاً وراء جزء، ونفذت بحقها أكبر المؤامرات العالمية، فقسّمت إلى دويلات، وغُرس في جسدتها الكيان الصهيوني، فكانت مأساة العرب والمسلمين في هذا العصر جريمة اغتصاب فلسطين. سنتكلم هنا عن تقسيم بلاد الشام واستعمارها، وموقف علماء الشام من الاحتلال الأجنبي لها.

أولاً - تقسيم بلاد الشام:

إنّ ضعف الدولة العثمانية، جعل الأعداء يتجرؤون أكثر على بلاد الشام والعالم الإسلامي، خاصة بعد ظهور المسألة الشرقية، أو الصراع الأوروبي حول تركية الرجل المريض، أي الدولة العثمانية التي تداعت قوتها، وتهالكت في أواخر أيامها، وساعد على ذلك وجود الاتحاديين الأتراك، الذين تنكروا للإسلام تحت غطاء القومية التركية، واجتمعت كلمة الأعداء على تمزيق البلاد العربية التي كانت تابعة للدولة العثمانية، على أن تأخذ روسيا المضائق المائية (الدردينيل والبوسفور واستانبول) وتأخذ فرنسا سورية ولبنان، وتأخذ إنكلترا العراق ومصر، وتقدم فلسطين منحة لليهود لإقامة وطن قومي لهم.

قدّم الإنكليز والفرنسيون الوعودَ الزائفة للعرب إذا وقفوا معهم ضد الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨م)، فضربوا الوحدة الإسلامية من جهة، وفكّكوا العالم العربي من جهة أخرى، حيث انفصل العرب عن الدولة العثمانية أولاً، ثم مزّق الأوربيون الوطن العربي باتفاقيات جانبية ثانياً. من هذه الاتفاقيات، اتفاقية (سايكس بيكو) في (١٦ أيار ١٩١٦م) التي مزّقت الشرق العربي إلى أربع مناطق:

١- زرقاء: تضم الساحل السوري من رأس الناقورة حتى الأناضول، وتُعطى لفرنسا.

٢- حمراء: وتضم ولايتي بغداد والبصرة، تُعطى لإنكلترا، وتأخذ من ساحل الشام مينائي حيفا وعكا.

٣- السمراء: تشمل فلسطين، ويُقام فيها إدارة دولية.

٤- الداخلية: وتقسّم إلى منطقتين:

أ- تشمل سورية الداخلية بما فيها الموصل، وتخضع للنفوذ الفرنسي.

ب- تشمل ما تبقى من العراق وشرقي الأردن، وتخضع للنفوذ الإنكليزي^(١).

ثانياً- تحرير سورية من الاستعمار الفرنسي:

زحفت القوات الفرنسية نحو دمشق عام (١٩٢٠م)، فوجدت الشعب السوري بكافة أطيافه لها بالمرصاد، وقد تصدر العلماء أبناء الشعب السوري في التصدي الباسل للاحتلال الفرنسي، والوقوف في وجه طغيانه، والعمل على كسر شوخته، وإخراجه صاغراً.

(١) القضية الفلسطينية: خلفياتها التاريخية وتطوراتها المعاصرة، د. محسن محمد صالح، (بيروت، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، ٢٠١٢م)، (ص/٣١-٣٣).

ولتسليط الضوء على دور العلماء في حركة المقاومة والتصدي للاستعمار الفرنسي في سورية نكتفي بالإشارة الموجزة إلى الدور الكبير الذي قام به العلامة الشيخ بدر الدين الحسني.

❖ الشيخ المحدث بدر الدين الحسني (ت ١٩٣٥م) :

كان الشيخ بدر الدين الحسني محدث بلاد الشام في عصره، الأب الروحي للثوار في وجه الاحتلال الفرنسي لسورية، حيث أعلن أن المقاومة والجهاد فرض على الناس عندما بدأت طلائع القوات الفرنسية بالاحتشاد في ميسلون استعداداً لدخول دمشق بقيادة الجنرال غورو عام (١٩٢٠م)، ودعا الناس والعلماء للتوجه إلى جبهة المعركة، وانضمَّ الشيخ كامل القصاب (ت ١٩٥٤م)، مؤسس المدرسة الكاملية في دمشق، ورئيس "اللجنة الوطنية العليا" التي كانت تنادي باستقلال سورية بحدودها الطبيعية (أي سوريا ولبنان وفلسطين والأردن)، إلى جانب يوسف العظمة وزير الحرية آنذاك الذي قاد هذه المعركة بكل بسالة حتى استشهاده.

ولما قامت الثورة السورية الكبرى على الاحتلال الفرنسي عام (١٩٢٥م)، كان الشيخ بدر الدين الحسني يطوف المدن السورية، متنقلاً من بلدة إلى أخرى، حاثاً على المقاومة والجهاد، وحاضاً عليهما، يقابل الثائرين، ويمدّهم برأيه، ويقدم لهم الخطط الحكيمة، فكان أباً روحياً للثورة والمقاومة والمجاهدين^(١).

وقد أراد الفرنسيون في أثناء الثورة السورية أن يوقعوا بين أبناء الوطن الواحد، ويلقوا بظلال فتنة طائفية تستنزف دماءهم، فقاموا بتشجيع بعض ضعاف النفوس على القيام باعتداءات على الأحياء الإسلامية في دمشق، ثم قاموا بإفراغ الأحياء المسيحية من الجنود الفرنسيين، ظناً منهم أن أحياء النصارى ستعرض لنهب

(١) قاموس الأعلام، خير الدين الزركلي، ط ١٥، (بيروت، دار العلم للملايين، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م)، (١٥٨/٧).

المسلمين وتخريبهم، ومن ثمّ تخرج فرنسا مدعيةً أنها تقاوم جماعات متعصبة دينياً، وبالتالي تقوم بالفتك بكل السوريين، إلا أنّ الدور الكبير الذي لعبه الشيخ بدر الدين الحسني في توجيه الناس بعدم إيذاء إخوانهم المسيحيين، بل حثهم على الدفاع عنهم، وبذلك قطع دابر الفتنة، ووأدها في مهدها، بل زاد المجتمع السوري وحدةً ومحبةً وانسجاماً وقوةً.

لقد فوتّ الشيخ بدر الدين بحكمته هذه الفرصة على الأعداء، وأعلمهم أنّ المسلمين يحفظون بأمر دينهم حقوق إخوانهم وأبناء وطنهم من غير المسلمين، بل يذودون عنهم بأرواحهم ودمائهم، فهم إخوانهم، وهم جميعاً أبناء وطن واحد لا يقبل التمييز بين أفرادهم على أساس انتمائهم الديني بل هم جميعاً مواطنون لهم كامل الحقوق، وعليهم كامل الواجبات.

في سنة (١٩٢٧م)، وصلت رسالة من بابا الفاتيكان تبلغ سماحة الشيخ بدر الدين الحسني تحيات البابا القلبية، وشكره الجزيل على حماية المسيحيين، وعدم التعرّض إليهم بأذى خلال الثورة السورية الكبرى.

وقد لمع، إلى جانب الشيخ بدر الدين الحسني، عددٌ كبير من العلماء، وقفوا بشموخ وإباء ضد المستعمر الفرنسي، لا يدفعهم إلى ذلك إلا إسلامهم ودينهم ووطنيتهم الخالصة، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر، مفتي الشام الشيخ عطا الكسم، والشيخ علي الدقر، والشيخ عبد القادر كيوان خطيب الجامع الأموي^(١).

(١) الإسلام وحركات التحرر العربية، د. شوقي أبو خليل، ط١، (دمشق، دار الرشيد، ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م)، (ص/١٤٦-١٧٥).

واستمر علماء سورية بالسير على خطى الشيخ بدر الدين الحسيني، بالتعاون والتنسيق الأخوي الصادق مع كل أطراف المجتمع السوري وأبنائه، حتى تحقق جلاء الاستعمار الفرنسي عن كامل تراب سورية الطاهر في عام (١٩٤٦م)^(١).

ثالثاً- دور الإسلام في التصدي للاحتلال الإنكليزي والمشروع الصهيوني في

فلسطين:

إثر نهاية الحرب العالمية الأولى وهزيمة الدولة العثمانية فيها، وخروج قواتها من فلسطين عام (١٩١٨م)، اندفعت القوات الإنكليزية بقيادة الجنرال اللنبي إلى احتلال فلسطين، وبسط سيطرتها بشكل كامل عليها ضاربةً بعودها للعرب باستقلال بلادهم ووحدتها عرّض الحائط، وبدأت مباشرة بوضع وعد بلفور^(٢)

(١) الإسلام وحركات التحرر العربية، د. شوقي أبو خليل، (ص/١٧٦-١٨٣).

(٢) وعد بلفور: هو الوعد الذي قدّمته بريطانيا على لسان وزير خارجيتها اللورد بلفور في ٢ تشرين الثاني ١٩١٧م إلى اللورد اليهودي الإنكليزي روتشيلد، جاء فيه: "إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وستبذل جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية على أن يفهم جلياً أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن يغيّر الحقوق المدنية والدينية اللتين تتمتع بهما جميع الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين، ولا الحقوق أو الوضع السياسي التي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى". انظر، العالم الإسلامي، عمر رضا كحالة، ط٣، (دمشق، الشركة المتحدة للتوزيع، ١٩٨٤م)، (ص/٣١٦).

كانت الخلفية التاريخية لإعلان وعد بلفور، والأهداف الاستعمارية والدينية التي كانت ترجوها بريطانيا من إصداره، تتمثل بشكل رئيس في كسب تأييد القوى اليهودية ذات النفوذ القوي آنذاك في ميداني السياسة والاقتصاد في دول الغرب، حيث كانت بريطانيا، في ذلك الوقت، بحاجة لهذا التأييد، وهي تخوض أشرس المعارك في الحرب العالمية الأولى. بالإضافة إلى حرص بريطانيا على جعل فلسطين درعاً استراتيجياً يحمي مصالحها في مصر، ويؤمن لها الاتصال البري مع دول الشرق، ويقوم هذا الدرع =

موضع التنفيذ، حيث قامت إنكلتره أثناء هذا الانتداب الذي استمر حتى عام (١٩٤٨م)، بتمهيد الطريق أمام المشروع الصهيوني، من خلال:

- تسهيل الهجرات اليهودية إلى فلسطين.
- تسهيل عمليات نقل ملكية الأراضي العربية، وبشكل خاص الزراعية الخصبة إلى ملكية اليهود.
- توفير كل الإمكانيات العسكرية والاقتصادية والمادية لهم، وتوفير الدعم السياسي والقانوني لهم.

وفي المقابل عملت بريطانيا على إضعاف شوكة القوى العربية المحلية، وزجّ مئات من المقاومين الفلسطينيين في السجون، ومعسكرات الاعتقال بسبب رفضهم ومقاومتهم التغلغل الصهيوني في بلادهم، فضلاً عن رفضهم للاحتلال الإنكليزي نفسه.

وقامت بممارسة الضغط الاقتصادي والقانوني على المواطنين الفلسطينيين لإجبارهم على تسليم موارد فلسطين الاقتصادية، ومؤسساتها الرسمية للحركة الصهيونية، وإضفاء الطابع اليهودي على الأرض، ومحاولة مسح الصبغة العربية الإسلامية والمسيحية لفلسطين وشعبها وتاريخها وثقافتها. وبذلك عملت بريطانيا على جعل الصهاينة الطرف الأقوى في فلسطين عشية انتهاء الاحتلال الإنكليزي لفلسطين، وبالتالي خلق كل الظروف الموضوعية لولادة الكيان الصهيوني في فلسطين عام (١٩٤٨م)^(١).

= بحماية المصالح الاستراتيجية للغرب بشكل عام في العالم العربي الذي سيتم تميزه بخلق دولة غريبة عنه في داخله. انظر، دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، د. عمر عبد العزيز عمر، (بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٩٠م)، (ص/٦١١-٦٢٩).

(١) انظر، القضية الفلسطينية: خلفياتها التاريخية وتطوراتها المعاصرة، د. محسن صالح، (بيروت، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، ٢٠٠٢م)، (ص/٤٢-٤٣). وللتوسع =

ومن أجل الوقوف على دور الاحتلال الإنكليزي في خدمة المشروع الصهيوني في فلسطين، نشير إلى أنَّ نسبة اليهود في فلسطين كانت في بداية الاحتلال الإنكليزي عام (١٩١٨م) حوالي (٨٪)، وسيطرون على (٢٪) فقط من أرض فلسطين بسبب الهجرات اليهودية التي تمت في ظل حكومة الاتحاد والترقي الطورانية في أواخر الدولة العثمانية. أما في نهاية الاحتلال الإنكليزي، ولحظة قيام "الكيان الصهيوني" عام (١٩٤٨م) فقد تنامت نسبة اليهود حتى وصلت إلى حوالي (٣٢٪) من مجموع السكان، يسيطرون على (٦٪) من أرض فلسطين التاريخية.

وبهذا نقول إنه لولا الدعم البريطاني، ومعه كل القوى الغربية، وبشكل خاص الولايات المتحدة الأمريكية ما كان للصهاينة وجود في فلسطين المحتلة^(١).

= في معرفة دور الاحتلال الإنكليزي وسياسته في تمهيد الطريق للمشروع الصهيوني في فلسطين المحتلة، راجع كتاب، سياسة الانتداب البريطاني حول أراضي فلسطين العربية، د. محمد سلامة النحال، (منشورات فلسطين المحتلة، د.ت) (ص/٦٩-٩٧).

(١) انظر، دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، د. عمر عبد العزيز عمر، (ص/٦٦١-٦٦٥). القضية الفلسطينية، د. محسن صالح، (ص/٦٠).

لقد ساهم إلى جانب الأوربيين والحركة الصهيونية والماسونية في التمهيد لإنجاز المشروع الصهيوني في فلسطين مجموعات كبيرة من المبشرين ورجال الدين البروتستانت الذين انتشروا في بلاد الشرق العربي، وقدموا خدمات كبيرة للقوات الاستعمارية، اعتقاداً منهم بوجوب قيام دولة خاصة للشعب اليهودي في فلسطين، لأنه يتوقف على قيام هذه الدولة تحقيق نبوءة "عودة السيد المسيح إلى الأرض"، أي تجميع يهود العالم في فلسطين، تمهيداً لعودة السيد المسيح، وتحولهم جميعاً على يديه إلى النصرانية، وبالتالي بسط نفوذ المسيحية على الأرض كافة قبل يوم القيامة. وقد حظي اليهود أيضاً بدعم الولايات المتحدة الأمريكية، وخصوصاً في عهد الرئيس ويلسون، الذي أيد المشروع الصهيوني في فلسطين تأييداً مطلقاً.

وفي الحقيقة، فإنّ دولة الاحتلال الإنكليزي لم تنعم هي ولا حلفاؤها من الصهاينة بالأمن والراحة منذ دنست أقدامهم أرض فلسطين التي باركها الله سبحانه، وحدثنا عن هذه المباركة بقوله تعالى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ وَمِنَ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

فقد هبّ الشعب العربي الفلسطيني للدفاع عن وطنه ومقدساته تحت قيادة مخلصة من علمائه ورجاله الوطنيين، فضلاً عن الدعم الذي تلقاه من إخوته العرب والمسلمين، وبشكل خاص أبناء الشيعين السوري والمصري الشقيقين. وليبيان دور العلماء في حركة المقاومة والجهاد في فلسطين ضد الاحتلال الإنكليزي والصهاينة، نكتفي بالإشارة الموجزة إلى علمين من أعلام المقاومة والجهاد، هما الحاج محمد أمين الحسيني، والشيخ عز الدين القسام.

❖ الحاج محمد أمين الحسيني (ت ١٩٧٤م):

وُلد محمد أمين الحسيني في القدس في عام (١٨٩٥م)، في بيت علم ودين حيث كان والده الشيخ طاهر الحسيني مفتياً للقدس. وقد تلقى الشيخ أمين علومه الأولية في القدس برعاية والده وشيوخ آخرين، ثم انتقل إلى القاهرة في عام (١٩١١م)، ودرس في "الجامع الأزهر"، وكلية الآداب في جامعة القاهرة، وفي "مدرسة الدعوة والإرشاد" التي أسسها الشيخ محمد رشيد رضا (ت ١٩٣٥م) بين عامي ١٩١٢-١٩١٦م^(١).

(١) انظر، الحاج محمد أمين الحسيني: مفتي القدس - رئيس المجلس الإسلامي الشرعي، دراسة في نشاطاته الإسلامية (١٩٢١-١٩٣٧م)، د. تيسير جبارة، ط١، (إربد، دار الفرقان، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م)، (ص/٢١-٢٥).

وبعد عودته بمدة أصبح مفتي فلسطين الأكبر، ورئيس المجلس الإسلامي الأعلى فيها، ورئيس الهيئة العربية العليا، والعقل المدبر لحركة الجهاد والمقاومة ضد الاحتلال الإنكليزي والصهاينة.

كان أمين الحسيني أول من تنبّه لخطر وعد بلفور، وخطر الهجرة اليهودية إلى فلسطين. وعندما حاول بلفور زيارة المسجد الأقصى برفقة المندوب السامي البريطاني عام (١٩٢٥م) قام بمنعهما من الدخول إليه وتدنيسه.

وأصدر في عام (١٩٢٢م) فتوى تقضي بتحريم بيع الأرض لليهود، وتحريم السمسرة على هذا البيع، والتوسط فيه، وتسهيل أمره بأي شكل وصورة، ونصت الفتوى على أن مَنْ يفعل ذلك وهو عالمٌ بضرره ونتيجته، وراضٍ عنه فإنه مستلزمٌ لكفره وارتداده عن الدين لأنه يعتقد حلّ ما حرم الله تعالى، فإن الله سبحانه لا يجيز للمسلمين تسهيل سيطرة الأعداء على أراضيهم وديارهم، وبالتالي إعطاء الأعداء المشروعية لاحتلال هذه الأراضي، وطرد المسلمين منها، ويحرم عليهم فعل ذلك، وفعل كل ما يؤدي إليه كما أجمع العلماء والفقهاء على ذلك استناداً إلى قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١]

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُواكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٩] (١).

وهو الذي أظهر البعد الإسلامي للقضية الفلسطينية، وجعلها محور اهتمامات العالم الإسلامي من خلال نشاطه الدؤوب لنصرة فلسطين، وبيان الصبغة الإسلامية لقضيتها في المؤتمرات والندوات والاجتماعات التي تعقد داخل فلسطين وخارجها.

(١) انظر، الحاج محمد أمين الحسيني، د. تيسير جبارة، (ص/٢٠٩-٢٢٩).

ونذكر في هذا السياق رئاسته للمؤتمر الإسلامي العام الذي عُقد في القدس عام (١٩٣١م)، وحضره كبار الشخصيات العربية والإسلامية من البلاد العربية، ومن الهند، وإيران، وإندونيسيا (منهم: الفيلسوف الهندي محمد إقبال، والزعيم الوطني السوري شكري القوتلي، والمصلح اللبناني الشيخ رشيد رضا، والزعيم الوطني التونسي عبد العزيز الثعالبي).

وقد أصدر هذا المؤتمر عدة قرارات منها: إنشاء جامعة في القدس تحمل اسم "جامعة الأقصى"، وتأسيس شركة لإنقاذ الأراضي الفلسطينية.

ولقد كان للحاج أمين الحسيني دورٌ أساسي في إشعال ثورة البراق، وهي الثورة التي قام بها الشعب الفلسطيني في كل أرجاء فلسطين عام (١٩٢٩م) دفاعاً عن الحائط الغربي للمسجد الأقصى (حائط البراق) عندما تعرّض للانتهاك والتدنيس من قبل المستوطنين الصهاينة.

وكان هو الموجه والقائد الحقيقي للشعب الفلسطيني أثناء قيامه بثورته الكبرى (١٩٣٦ - ١٩٣٩م) التي قامت بأطول إضراب في التاريخ قام به شعبٌ بأكمله لمدة تصل إلى ستة أشهر، ثم تحولت إلى العمل العسكري حيث قامت بأكثر من عشرة آلاف عملية جهادية ضد الإنكليز والصهاينة^(١).

وعندما أصدرت الأمم المتحدة قرار تقسيم فلسطين في عام (١٩٤٧م) أسس الحاج أمين الحسيني (جيش الجهاد المقدس) وأسند قيادته إلى المجاهد عبد القادر الحسيني، وأبلى هذا الجيش بلاءً حسناً ضد الإنكليز والصهاينة معاً، لكن الدعم الإنكليزي والغربي للصهاينة وتخاذل بعض الحكومات والملوك العرب وتقصيرهم في دعم هذا الجيش آنذاك أدى في النهاية إلى استشهاد عبد القادر الحسيني، وتفكك هذا الجيش^(٢).

(١) انظر، الحاج محمد أمين الحسيني، د. تيسير جبارة، (ص/١٢٥-١٩١).

(٢) انظر، القضية الفلسطينية، د. محسن صالح، (ص/٤٥-٥٧).

❖ عز الدين القسّام (ت ١٩٣٥م) :

هو أحد أبناء مدينة جبلة في سورية، خربج الجامع الأزهر، استقرّ في فلسطين، بعد أن خرج من سورية مضطراً بسبب حكم الإعدام الذي حكمت عليه فرنسا به لمشاركته في المقاومة والعمل العسكري ضدها، عندما دخلت الساحل السوري عام (١٩١٨م).

وصل القسّام إلى مدينة حيفا عام (١٩٢٠م)، حيث بدأ يعمل معلماً في المدرسة الإسلامية فيها، ومن ثم أصبح خطيباً وإمام "جامع الاستقلال" فيها، وبعد مدة ترأس فرع "جمعية الشبان المسلمين" فيها.

قام القسّام ببث روح المقاومة والجهاد من خلال خطبه ودروسه ونشاطاته الدينية والاجتماعية، حتى استطاع في عام (١٩٢٥م) تكوين مجموعة كبيرة من المقاومين، وأسس حركة "الجهادية"، التي عملت بشكل سري ضد المصالح الإنكليزية والصهيونية، وقامت بعمليات عسكرية أذاقت الإنكليز والصهاينة مر العذاب.

وعندما رفع الشيخ راية المقاومة العلنية في عام (١٩٣٥م)، من على منبر "جامع الاستقلال"، قائلاً: "بسم الله نعلن الثورة، سأخرج فوراً إلى الجهاد، لن أعود إلى هذا الجامع إلا بعد طرد الإنجليز واليهود"، ثم انطلق إلى ساحات الجهاد، وظل يقاتل هو وأصحابه حتى لقي الله تعالى شهيداً، ولكن حركته لم تَمُتْ باستشهاده، بل استمرت على طريق المقاومة من بعده بقيادة صديقه الشيخ فرحان السعدي، الذي قام هو ومجموعته بإطلاق الشرارة الأولى للثورة الفلسطينية الكبرى (١٩٣٦-١٩٣٩م) عندما قاموا بقتل اثنين من اليهود^(١).

(١) انظر، الإسلام وحركات التحرر العربية، د. شوقي أبو خليل، (ص/٢٠١-٢١٢). القضية الفلسطينية، د. محسن صالح، ٥١. الأعلام، الزركلي، (٦/٢٦٧-٢٦٨).

وما زال الشعب العربي الفلسطيني إلى اليوم يتابع، ومعه أبناء الأمة العربية والإسلامية، وأحرار العالم وشرفاؤه، بكل بسالة مشروعه المقاوم بأشكال وأساليب متنوعة ومتجددة حتى تحرير فلسطين كل فلسطين، واستعادة وجهها العربي والإسلامي الأصيل بإذن الله وعونه.



المبحث الثاني : مصر

كانت مصر عبر تاريخها الطويل والعريق هدفاً للأعداء، لأهمية موقعها الاستراتيجي، فهي تمثل قلب العالم العربي والإسلامي، فضلاً عن مساحتها الكبيرة، وما تمتلكه من مقومات بشرية واقتصادية ضخمة.

فقد كانت، عبر التاريخ، غرضاً للهجمات الصليبية، كما كانت بلاد الشام، واستطاع المصريون أن يردوها. وقد تعرضت في العصر الحديث إلى حملات غربية بدأت بوصول نابليون بونابرت إلى مصر عام (١٧٩٨م)، واقتحامه مدينة الإسكندرية، وتقدمه بعد ذلك باتجاه القاهرة.

وزع نابليون منشوراً باللغة العربية يدعي أنه أسلم، وأنه يريد أن يخلص أهل مصر من الحكم الظلمة، وأنه يحترم القرآن الكريم، إلا أن أفعال نابليون دلت على كذبه، وسوء نيته، فخرج الناس من الأزهر الشريف، يقودهم العلماء لصد العدوان، وانطلق دعاة المقاومة في كل صوب ينادون الأهالي في المدينة للاحتشاد في الجامع الأزهر لتدارس أمر المقاومة.

وبعد أن تغلب نابليون على المقاومة، واستقر في القاهرة، أراد تنظيم أمور البلاد، فدعا كبار العلماء وشيوخ الأزهر والأعيان، وكلفهم باختيار أعضاء الديوان الذين كان عليهم مشاركته في الحكم، إلا أن نابليون اختلف مع أعضائه في أمور كثيرة لا يقرها الإسلام، ولا يقبلها الشعب المصري، منها: الضرائب وقطع إعانات الفقراء، وانتهاك حرمة المساجد، وتمزيق المصاحف، فقاد العلماء الشعب المصري في ثورة عارمة ضد الفرنسيين على الرغم من البطش والقتل

الذي صبه الفرنسيون على المقاومين، حتى فشلت الحملة الفرنسية على مصر في عام (١٨٠١م)^(١).

وعندما تقدّمت القوات الإنكليزية من مصر بهدف احتلالها عام (١٨٨٢م)، كتب الزعيم أحمد عرابي (ت ١٩١١م)، الذي تلقى تعليمه في الجامع الأزهر^(٢): "للتأكد إنجلترا أن أول بندقية تطلقها على مصر ستحرر المصريين من كل المعاهدات والاتفاقيات، ومعنى ذلك انتهاء الديون والمراقبة، سندمر قنواتنا ونقطع مواصلاتنا، ونستغل الحماسة الدينية الإسلامية لإعلان الجهاد المقدس في سورية والجزيرة العربية والهند... وقد أُلقيت الخطب بهذا المعنى في مساجد دمشق، وتمّ الاتفاق مع الزعماء المدنيين في كل بلد في سائر العالم الإسلامي"^(٣) اعتمد عرابي على العمق الإسلامي في قوة ثورته، وعمل بتوجيه من العلماء، فقد كان الشيخ محمد عبده (ت ١٩٠٥) مستشار الثورة العرابية، وموجهها الروحي الذي أذن لها بالانطلاق، "وفي أحد الأيام اجتمع الضباط في ثكنات عابدين، وأقسموا يمين الولاء لمصر على المصحف الشريف الذي كان يحمله محمد عبده"^(٤).

واستمر العلماء وأتباعهم وكافة أطراف المجتمع المصري برفع راية المقاومة بكل أشكالها حتى جلت القوات الإنكليزية جلاء تاماً عن مصر في عام (١٩٥٦م).

(١) تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، د. إسماعيل ياغي، محمود شاكر، الرياض، (دار المريخ للنشر، ١٤٢٣هـ/١٩٩٣م)، (٢/١٨-٢١).

(٢) الأزهر وأثره في النهضة الأدبية الحديثة، محمد كامل الفقي، (القاهرة، المطبعة المنيرية بالأزهر الشريف)، (١٠/٢).

(٣) تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، د. ياغي، شاكر، (ص/٢١٩). الإسلام وحركات التحرر العربية، د. شوقي أبو خليل، (ص/٣٨).

(٤) الإسلام وحركات التحرر العربية، د. شوقي أبو خليل، (ص/٤٠).

المبحث الثالث : المغرب العربي

أولاً- الجزائر:

كانت الجزائر تتزعم دول المغرب العربي في صراعه ضد المستعمرين منذ القرن السادس عشر الميلادي بقيادة حاكم الجزائر المجاهد التقي العادل خير الدين بربروس، الذي واجه بكل بسالة الحملات الأوربية بقيادة إسبانيا للوصول إلى الشواطئ العربية الإسلامية في الشمال الإفريقي منذ ذلك التاريخ.

وفي القرن التاسع عشر الميلادي كانت فرنسا تنظر لنفسها على أنها زعيمة الدول الكاثوليكية في البحر المتوسط، لذلك قررت في عهد شارل العاشر (١٨٢٤-١٨٣٠م) المعروف بتأييده المطلق للكنيسة، غزو الجزائر واحتلالها، وتذرعت بحجة نشر المسيحية والمدنية بين الجزائريين، وقامت بإرسال قواتها الغازية، واقتحمت الجزائر عام (١٨٣٠م).

أول عمل قامت به كان تحويل المسجد الكبير في العاصمة إلى كاتدرائية، وقامت بتنشيط الإرساليات التبشيرية والتنصيرية في كل أرجاء الجزائر، ودعمت جهودها لمحو الهوية العربية والإسلامية للشعب الجزائري، وإحلال اللغة والثقافة الفرنسية مكانها.

وأغلقت، في سبيل توطيد مشروعها الاستعماري في الجزائر، أكثر من ألف مدرسة ابتدائية وثانوية وعالية، وتدخلت في المناهج التعليمية، حيث منعت تعليم تاريخ الجزائر، والتاريخ العربي الإسلامي، والأدب العربي، ودراسة المواد العلمية والرياضية، وقامت بمنع القضاء الإسلامي، وعملت على تفكيك بنية المجتمع الجزائري وتقسيمه وتخريب شبكة علاقاته ومؤسساته الاجتماعية،

وإرهاق الشعب الجزائري بالضرائب، ومصادرة أملاك الأوقاف والاستيلاء عليها^(١).

❖ الأمير عبد القادر الجزائري (ت ١٨٨٣م) :

لما دق ناقوس الخطر تقدّم أبناء الجزائر الأوفياء من كافة أطراف الشعب، وعلى رأسهم العلماء المخلصون كي يذودوا عن وطنهم، ويدفعوا بأنفسهم إلى أتون المعركة نصرةً له، وقد تقدّمهم الأمير المجاهد عبد القادر الحسني الجزائري الذي وقف بقوة في وجه الاحتلال الفرنسي، وقاتله لمدة (١٥) عاماً، وأنشأ معامل للأسلحة، وملابس للمقاومين، وحقق انتصارات باهرة ضد الفرنسيين.

ولكن بعد أن قضت فرنسا على ثورة الأمير عبد القادر الجزائري بسبب قدراتها العسكرية المتفوقة، ووحشيتها الهمجية، قامت بنفيه عام (١٨٤٧م) إلى المغرب، ومن ثم استقر في دمشق عام (١٨٥٢م)، وتوفي فيها عام (١٨٨٣م)^(٢).

❖ الشيخ عبد الحميد بن باديس (ت ١٩٤٠م) :

استمر الجزائريون في كفاحهم ضد الاستعمار الفرنسي في صور وأشكال وجبهات متعددة، وعلى رأس هذه الجبهات جبهة قضية الحفاظ على الهوية العربية الإسلامية للشعب الجزائري، وفي هذا السياق تأسست (جمعية العلماء المسلمين في الجزائر) في عام (١٩٣١م)، برئاسة الشيخ عبد الحميد بن باديس (ت ١٩٤٠م)^(٣) تلميذ جامع الزيتونة، وانضم إليها عدد كبير من العلماء، منهم

(١) جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر (١٩١٣-١٩٤٠م)، عبد الرشيد زروقة، ط ١، (بيروت، دار الشهاب، ١٩٩٩م)، (ص/١٥-٤١). الإسلام وحركات التحرر العربية، د. شوقي أبو خليل، (ص/٥٤).

(٢) الإسلام وحركات التحرر العربية، د. شوقي أبو خليل، (ص/٥٤-٥٥).

(٣) دعا ابن باديس إلى إصلاح فهم المسلمين للعقيدة الإسلامية، وإلى إعادة إحياء القيم والأخلاق القرآنية والتربية والتزكية النبوية، وبناء المناهج التعليمية التي تؤدي إلى =

صديقهُ الشيخ البشير الإبراهيمي (ت ١٩٦٥م)، حيث قامت هذه الجمعية ببناء عشرات المساجد، والمدارس العامة والشرعية، واجتهدت في تحصين وتعزيز روح العروبة والإسلام، وأرسلت البعثات إلى الجامعات الإسلامية في تونس والمغرب والشام والعراق.

وكان شعار الجمعية: "الإسلام ديننا، والعربية لغتنا، والجزائر وطننا"^(١). جمع ابن باديس بين النهضة الدينية الثقافية الاجتماعية والنهضة السياسية، وعمل في مجال العلم والتربية، وعمل في مجال الصحافة، حيث أصدر عدة مجلات، أهمها مجلة "الشهاب" التي كانت تعبيراً صادقاً عن أشواق الشعب الجزائري، وحقوقه في الحرية، والاستقلال، والحفاظ التام على شخصيته الإسلامية والعربية.

ولا ننسى الإشارة إلى الدور الكبير الذي قام به علماء الجزائر وطلابهم من خلال انخراطهم إلى جانب بقية أبناء الشعب الجزائري في حرب التحرير التي أدت إلى جلاء القوات الفرنسية عن وطنهم في عام (١٩٦٢م).

= تكوين شخصية إسلامية مستقلة ومتكاملة، ودعا إلى الاعتناء بتربية وتعليم النساء والأطفال، والاعتناء بتعليم الصنائع والمهن اليدوية واللغة العربية، واللغات الأجنبية، والاهتمام بالوطن والتفاعل مع الأمة وقضاياها العامة. من كتبه: مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، مجالس التذكير من حديث البشير النذير، العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية. انظر، ابن باديس وعروبة الجزائر، محمد الميلي، (بيروت، دار العودة- دار الثقافة، ١٩٧٣م)، (ص/١٣٧-٢٠٠، ٢٢٩-٢٤٥).

(١) الإسلام وحركات التحرر العربية، د. شوقي أبو خليل، (ص/٩٢-١٠١).

ثانياً- تونس:

كانت تونس معقلاً من معاقل الإسلام والعروبة، ففيها جامع الزيتونة^(١) منبع العلم والمعرفة في شمال إفريقيا، لذلك أسرع فرنسا إلى احتلال تونس في عام (١٨٨١م)، وفرضت سياستها الاستعمارية، ودعمت العمل التبشيري لطمس الهوية العربية والإسلامية، عن طريق فرض اللغة والثقافة الفرنسية، فلم يرضخ الشعب التونسي لذلك، وهب يقاوم هذه المحاولات التعسفية.

❖ الشيخ محمد الخضر حسين (ت ١٩٥٨م):

كان في مقدمة المجاهدين الشيخ محمد الخضر حسين (ت ١٩٥٨م) خريج جامع الزيتونة، الذي اشتغل في العمل السياسي، وأنشأ مجلة "السعادة العظمى"، وجعل منها منبراً صريحاً لمقاومة الاستعمار الفرنسي ورفع راية الجهاد ضده، وعمل بكل اجتهاد لترسيخ الهوية العربية والإسلامية لتونس. فحكمت عليه فرنسا بالإعدام، فهاجر إلى دمشق سنة (١٩١٢م)، وعمل بها في مجال التدريس الديني، وانضم إلى علماء الشام في العمل لمناهضة الاستعمار الفرنسي، ثم انتقل إلى القاهرة عام (١٩٢٢م) هرباً من ملاحقة الفرنسيين له، وأصبح عضواً في المجمع اللغوي بالقاهرة، ونال عضوية هيئة كبار العلماء، واختير عام (١٩٥٢م)

(١) جامع الزيتونة ثاني أقدم مسجد في القاهرة الإفريقية بعد جامع عقبة بن نافع في تونس، بني في عام (٧٩هـ/٦٩٨م). اتخذ مفهوم الجامعة الإسلامية منذ تأسيسه، من أهم رموزه أسد بن الفرات، والإمام سحنون صاحب المدونة، والمؤرخ ابن خلدون. ومن أهم رموزه في العصر الحديث الإمام محمد الطاهر بن عاشور صاحب تفسير "التحرير والتنوير" وكتاب "مقاصد الشريعة الإسلامية". اعتبر شكيب أرسلان صاحب كتاب "حاضر العالم الإسلامي" جامع الزيتونة، والجامع الأزهر في مصر، والجامع الأموي في دمشق، وجامع القرويين في المغرب أكبر حصن للغة العربية والشريعة الإسلامية في العالم الإسلامي في القرون الأخيرة، وبخاصة في المرحلة الاستعمارية.

شيخاً للجامع الأزهر. وفي أثناء وجوده في مصر ترأس جمعية "جبهة الدفاع الإفريقي الشمالي" متابعا جهاده ضد الاستعمار الفرنسي.

❖ عبد العزيز الثعالبي (ت ١٩٤٤م):

من علماء تونس الذين انضموا إلى قافلة الجهاد ضد الفرنسيين الشيخ عبد العزيز الثعالبي صاحب كتاب "روح التحرر في القرآن" الذي تزعم حزب "تونس الفتاة" الذي ساهم مع غيره من الأحزاب الوطنية التونسية في دحر الاستعمار الفرنسي وتحقيق استقلال تونس في عام (١٩٥٦م).

ثالثاً- المغرب:

بسطت فرنسا حمايتها الرسمية على المغرب عام (١٩١٢م)، وقد تركت المنطقة الشمالية من المغرب التي تسمى (الريف) لإسبانيا، وقام الفرنسيون والإسبان بكل همجية بمحو معالم الإسلام والعروبة في مناطق سيطرتهم، وقاموا تحت ستار المراكز الثقافية بالتبشير بين المغاربة لإخراجهم من دينهم، فتصدى لهم الشعب المغربي بقيادة علمائه، وعلى رأسهم الأمير المجاهد محمد عبد الكريم الخطابي (ت ١٩٦٣م)، خريج جامع القرويين^(١) في فاس، والذي كان قاضياً للقضاة في مدينة مليلة في الريف. حيث قاد هذا المجاهد عمليات عسكرية نوعية ضد الإسبان حتى تمكن من إلحاق عدة هزائم بهم في منطقة الريف المغربي عام (١٩٢٤م)، ثم اتجه لمحاربة الفرنسيين في بقية أجزاء المغرب، وانتصر عليهم في معارك عديدة مكبداً إياهم خسائر فادحة، لكن بسبب تفوق الفرنسيين الكبير

(١) ألحقت جامعة القرويين بجامع القرويين الذي بنته السيدة فاطمة بنت محمد الفهري الفاسي في عام (٢٤٥هـ/٨٥٩م) في مدينة فاس. تعدّ جامعة القرويين أقدم جامعة في العالم، لا زالت عاملة إلى الآن دون انقطاع حسب اليونسكو. من العلماء الذين درسوا فيها المؤرخ ابن خلدون، والفيلسوف الصوفي ابن عربي الأندلسي.

عليه في العدَد ونوع السلاح، اضطر الأمير للخضوع لقرار إبعاده عن وطنه عام (١٩٢٦م)، حيث تم نفيه إلى جزيرة فرنسية نائية.

ولكن روح المقاومة التي أشعلها الخطابي استمرت في دفع الشعب المغربي في المضي قدماً في مقاومة الاستعمار الفرنسي والإسباني حتى إعلان استقلال كل المغرب في عام (١٩٥٦م)^(١).

رابعاً- ليبيا:

مهَّدت إيطاليا الظروف لاحتلال ليبيا من خلال مجموعة من الأعمال منها: افتتاح بنك يقوم بإقراض الفلاحين الليبيين المال مقابل رهن أراضيهم، وعند عجزهم عن الوفاء يقوم البنك بوضع يديه على أراضيهم. ومن خلال نشر المدارس الإيطالية، وإغراق البلاد بالإرساليات التبشيرية. وأخيراً قامت بإرسال قواتها العسكرية، واقتحمت ليبيا عام (١٩١١م)، وفرضت على الليبيين حياة الذل والقهر، فتصدى لهم الشعب الليبي بكل أطيافه، وتقدم الصفوف أبناء الحركة السنوسية، وهي جماعة دينية صوفية إصلاحية أرادت النهوض بالإسلام وأهله من خلال العودة السمحة إلى الكتاب والسنة، والتمسك بالقيم والأخلاق الإسلامية النبيلة^(٢).

(١) تاريخ العرب الحديث، د. جميل بيضون، د. شحادة الناطور، علي عكاشة، ط١، (إربد، ١٩٩٢م)، (ص/١١٤-١١٧). الإسلام وحركات التحرر العربية، شوقي أبو خليل، (ص/١٨٨-٢٠٠).

(٢) أسس الشيخ محمد بن علي السنوسي (ت ١٨٥٩ م) الحركة السنوسية في ليبيا في عام (١٨٤٣م)، وكان يدعو إلى الزهد، وإلى الاجتهاد ومحاربة التقليد المذهبي الأعمى، والدعوة إلى الله والإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، ورفض العنف واستخدام القوة في نشر الإسلام، وإلى الاشتغال بالزراعة والعمل اليدوي لتحقيق الاستقلال الاقتصادي، وجهاد المستعمرين الأوروبيين المعتدين أينما وجدوا في القارة الإفريقية.

وقد خاض أبناء هذه الحركة مجموعةً من المعارك التي أصابت الإيطاليين في مقتل، وكبدتهم خسائر فادحة، لكنهم ردوا عليها بمجازر وحشية يندى لها جبين الإنسانية.

❖ المجاهد القائد عمر المختار (ت ١٩٣١م) :

أما زعيم الجهاد الليبي الذي سطر أروع صفحات الجهاد ضد الاستعمار الإيطالي فهو المجاهد البطل عمر المختار، الذي كان شيخاً لإحدى زوايا الحركة السنوسية.

عندما قام عمر المختار بإعلان المقاومة ضد إيطاليا انضمت تحت قيادته القبائل الليبية، واتفق رؤساؤها على أن يكون هو القائد العام والرئيس الأعلى للمقاومين. خاض عمر المختار مع رجاله حوالي ثلاثمائة معركة أذاق فيها الإيطاليين الويل والشور، ولكن في النهاية حاصرت القوات الإيطالية مع مجموعة من المقاومين، وتمكنت من قتل معظم من كان معه، وأصابته هو بجروح، وقامت بأسره، ومن ثم ارتكبت جريمة إعدامه شنقاً، عام (١٩٣١م)، وهو شيخ كبير تجاوز السبعين من عمره، فلقي الله شهيداً باراً بدينه ووطنه. واستمرت نار المقاومة في ليبيا بعد استشهاد عمر المختار حتى خرج آخر جندي إيطالي منها في عام (١٩٤٣م)^(١).



(١) الإسلام وحركات التحرر العربية، د. شوقي أبو خليل، (ص/١٣٣ - ١٤٥). الأعلام، الزركلي، (٥/٦٥ - ٦٦).

الفصل الثالث

المسلمون في القارة الآسيوية

ويتضمن سبعة مباحث :

المبحث الأول: المسلمون في آسيا

المبحث الثاني: المسلمون في شبه القارة الهندية (الهند

والباكستان وكشمير)

المبحث الثالث: المسلمون في إندونيسيا

المبحث الرابع: المسلمون في ماليزيا

المبحث الخامس: المسلمون في روسيا الاتحادية

المبحث السادس: المسلمون في دول آسيا الوسطى

المبحث السابع: المسلمون في الصين

المبحث الأول: المسلمون في آسيا

مقدمة:

قارة آسيا أكبر قارات العالم من حيث المساحة، وعدد السكان، إذ تصل مساحتها إلى أكثر من (٤٤,٥) مليون كم^٢، أي تشغل ثلث مساحة اليابسة، ويزيد عدد سكانها على (٥) مليارات نسمة، أي حوالي (٦٠٪) من سكان العالم، وأما عدد دولها فهو يصل إلى (٤٨) دولة.

حدودها: يحدها شمالاً المحيط القطبي الشمالي، ويحدها من الجنوب المحيط الهندي، ومن الشرق المحيط الهادي. ومن الغرب يفصلها عن القارة الأوربية جبال الأورال والبحر الأسود، ومضيقا البوسفور والدردنيل، ويفصلها عن القارة الإفريقية البحر الأحمر، وقناة السويس.

ويتبع آسيا عدد من الأرخيبيلات البحرية، أهمها أرخبيل اليابان وإندونيسيا والفلبين والمالديف. وهي تضم أعلى نقطة على سطح الأرض وهي قمة إفرست في جبال هيمالايا التي يصل ارتفاعها إلى (٨٨٨٨م). كما يوجد فيها أخفض نقطة على سطح الأرض، وهي البحر الميت في فلسطين المحتلة، إذ ينخفض بمقدار (٣٩٥م) عن سطح البحر.

أهم ثرواتها المعدنية: القصدير، الحديد، وفيها أكبر مخزون عالمي في النفط والغاز^(١).

(١) جغرافية العالم الإسلامي، دلال جوهر، (١/١٩٣-١٩٤).

❖ آسيا مهد الديانات والحضارات الإنسانية:

آسيا مهد الديانات السماوية في العالم ففيها ظهر الإسلام، واليهودية، والمسيحية، وكذلك الأديان غير السماوية: الهندوسية والبوذية والطاوية والكونفوشية والشتو والزرادشتية...

وهي مهد الحضارات الإنسانية القديمة مثل الحضارة الصينية والهندية والفارسية والبابلية والآشورية.

وفيهما مهد الإسلام، ومبعث نوره، وفيها الكعبة المشرفة (مكة المكرمة)، والمسجد النبوي في المدينة المنورة، والمسجد الأقصى في القدس الشريف، أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، وفيها عدد من أكبر حواضر العالم الإسلامي ومراكز العلم فيه.

❖ انتشار الإسلام في آسيا:

انطلق نور الإسلام في مكة المكرمة في الجزيرة العربية في أقصى الجنوب الغربي لآسيا في القرن السابع الميلادي، وبعد وفاة الرسول ﷺ في سنة (١١هـ/٦٣٢م)، بدأ نوره يسري في بقية أرجاء قارة آسيا، في البداية على يد الفاتحين الذين نشروا الإسلام في بلاد الشام والعراق وفارس، وبلاد ما وراء النهر في القرن الهجري الأول/السابع الميلادي.

وفي هذا القرن، والقرون التي جاءت بعده حمل التجار، والدعاة، والرحالة، والدبلوماسيون المسلمون لواء الدعوة الإسلامية، ونشروا الإسلام بالحكمة والسلوك الحسن في معظم بقاع آسيا، حتى وصل إلى معظم بلاد الهند والصين وروسيا، وكل البلاد الآسيوية بلا استثناء بنسب متفاوتة بين دولة وأخرى^(١).

(١) انظر، الموسوعة العربية الميسرة، (١/٣٠٧)، أطلس دول العالم الإسلامي، د. شوقي أبو خليل، (ص/٢٤٩-٢٥٣). انتشار الإسلام وموقف المستشرقين منه، محمد فتح الله الزيايدي، ط ١ (دمشق، دار قتيبة، ١٩٩٠م)، (ص/١٣٦-١٤٠).

❖ الإسلام والمسلمون في آسيا اليوم:

الإسلام اليوم هو أكبر دين في آسيا، ويليه الهندوسية. وقد بلغ العدد الإجمالي للمسلمين في آسيا في عام (٢٠١٠ م) إلى أكثر من (١) مليار نسمة، ويشكلون حوالي (٢٥٪) من مجموع سكان آسيا.

آسيا هي موطن لأكبر عدد من المسلمين، حيث يعيش (٦٢٪) من مسلمي العالم في آسيا. وتعدّ إندونيسيا، وباكستان، والهند، وبنغلاديش هي الدول الأربع الأولى على قائمة دول العالم المحتضنة للمسلمين.

ويوجد اليوم في آسيا (٢٧) دولة مسلمة من أصل مجموع الدول المسلمة التي تنتمي إلى منظمة التعاون الإسلامي، أي السبع والخمسين دولة. وتوجد في معظم دول آسيا اليوم أقليات مسلمة كبيرة بعضها يتمتع بالحكم الذاتي، كما هو حال المسلمين في روسيا والصين.

وتجدر الإشارة أيضا إلى أن الهند تضم أكبر أقلية مسلمة تعيش خارج العالم الإسلامي.

وتضم قارة آسيا أهم مؤسسات العالم الإسلامي السياسية والاقتصادية والدينية والعلمية، مثل:

• **منظمة التعاون الإسلامي في جدة:** تأسست في القمة الإسلامية التي عقدت في مدينة الرباط المغربية في عام (١٩٦٩م)، تحت اسم "منظمة المؤتمر الإسلامي"، رداً على الجريمة التي ارتكبتها الصهاينة عندما قاموا بإحراق المسجد الأقصى في القدس المحتلة.

أصبحت هذه المنظمة تُعرف فيما بعد باسم "منظمة التعاون الإسلامي". تعدّ منظمة التعاون الإسلامي ثاني أكبر منظمة دولية بعد منظمة الأمم المتحدة، حيث تضم في عضويتها (٥٧) دولة مسلمة. وتمثل الإطار الجامع لدول العالم الإسلامي، حيث تقوم برعاية وتنشيط كل أواصر الأخوة والتعاون بينها، وتسعى للدفاع عن مصالحها في المحافل الدولية، ومعالجة مشكلاتها وأزماتها، وتسعى لتطويرها وتنمية مجتمعاتها من جميع النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية

والعلمية والتعليمية والتربوية، وتعمل على رعاية ومتابعة مشكلات وأحوال الأقليات والجماليات الإسلامية في كل أنحاء العالم.

قامت منظمة التعاون الإسلامي في إطار سعيها لتحقيق مقاصدها وأهدافها بتأسيس مجموعة من المؤسسات والمنظمات والجامعات والمراكز العلمية، نذكر منها: البنك الإسلامي للتنمية (جدة، السعودية)، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة/إيسيسكو (الرباط، المغرب)، مركز البحوث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية (إستانبول)، الجامعة الإسلامية للتكنولوجيا (داكا، بنغلاديش)، الجامعة الإسلامية في النيجر، الجامعة الإسلامية في أوغندا، الغرفة الإسلامية للتجارة والصناعة (كراتشي، باكستان).

• **رابطة العالم الإسلامي:** تأسست بموجب قرار صدر عن المؤتمر الإسلامي العام الذي انعقد في مكة المكرمة في عام (١٩٦٢م). وهي منظمة إسلامية عالمية جامعة، تتمثل مهمتها الأساسية في الدعوة إلى الإسلام، وبيان مبادئه وتعاليمه ورد الشبهات والإشكالات والانتهاكات التي يتعرض لها، وتقديم يد العون للمسلمين في حل مشكلاتهم، وتنفيذ مشاريعهم الدينية والعلمية والتربوية والثقافية.

يتبع هذه الرابطة عدد من المجلس والمؤسسات، منها: المجلس الأعلى العالمي للمساجد، والمجمع الفقهي الإسلامي^(١).



(١) انظر، حاضر العالم الإسلامي، د. علي محمود عكام، د. محمد ماهر قدسي، منشورات كلية الشريعة، جامعة حلب، ٢٠١٠م، (ص/٢٩-٤٢).

المبحث الثاني : المسلمون في شبه القارة الهندية

تضم شبه القارة الهندية المؤلفة من الهند والباكستان وبنغلاديش وكشمير وبهوتان أكبر تجمع إسلامي في العالم حيث يشكل المسلمون فيها ما نسبته (٣١٪) من مجموع عدد المسلمين في العالم. وللمسلمين في العالم الهندي منذ دخول الإسلام إليه منذ القرن الهجري الأول دورٌ تاريخي وحضاري طويل يمتاز بالخصوبة والثراء والعمق. سنقتصر في هذا المبحث على إعطاء لمحة موجزة عن أحوال المسلمين في الهند والباكستان وكشمير فقط.

أولاً : المسلمون في الهند

■ الموقع : تقع جمهورية الهند في الجزء الجنوبي من قارة آسيا، وهي على شكل مثلث ضخم، تحدّها من الشمال الصين وبهوتان ونيبال، ويحدها من الجنوب المحيط الهندي، ومن الشرق خليج البنغال وبنغلاديش وميانمار، ومن الشمال والغرب الباكستان وجامو وكشمير.

ويقع في جوار الهند سريلانكا وجزر المالديف وإندونيسيا.

■ المساحة : (٣,٢٨٧,٠٠٠) كم^٢. وهي سابع أكبر بلد في العالم من حيث المساحة.

■ العاصمة : نيودلهي التي كان يسميها المسلمون بـ (دهلي)، وكانت عاصمة لدولة المغول المسلمة التي حكمت الهند لمدة ثلاثة قرون. وأما أهم وأكبر مدن الهند فهي مدينة مومباي الساحلية.

■ النظام السياسي والإداري : حصلت الهند على الاستقلال التام عن إنكلترا عام (١٩٤٧م).

وهي تشكل اليوم جمهورية اتحادية تتألف من (٢٨) ولاية، وسبعة أقاليم اتحادية، ولها نظام برلماني وديمقراطي، وتعدّ أكبر دولة ديمقراطية مكتظة بالسكان في العالم.

▪ الاقتصاد: يعدّ الاقتصاد الهندي من أسرع اقتصادات العالم نمواً، ويُعدّ سابع أكبر اقتصاد في العالم، وثالث أكبر قوة شرائية. وتصنف الهند ضمن الدول الصناعية الجديدة.

وتعدّ الهند قوة عسكرية إقليمية كما تُصنف ضمن الدول المالكة للأسلحة النووية، والجيش الهندي يتم تصنيفه على أنه ثالث أكبر جيش في العالم.

▪ لغات الهند: يعترف الدستور الهندي بأكثر من عشرين لغة محلية، لكن معظم الهنود يتكلمون الهندية والإنكليزية. ويتحدث المسلمون، بالإضافة إلى هاتين اللغتين، بعدة لغات محلية أهمها اللغة الأوردية.

▪ عدد السكان ونسبة المسلمين: تُعدّ الهند أكثر بلاد العالم سكاناً بعد الصين، حيث يصل عدد سكانها إلى حوالي "مليار وثلاثمئة مليون" نسمة، تصل نسبة المسلمين منهم إلى حوالي (٢٠٪)، أي أكثر من (٢٠٠) مليون مسلم منتشرين في كافة أرجاء الهند، ويتركزون بشكل خاص في ولايات أوترا براديش وعاصمتها "لكنؤ"، وولاية البنغال الغربية، وولاية بهار، وولاية آسام، وولاية ماهاراشترا وعاصمتها "مومباي"، وولاية كوجرات.

تُعدّ الهند ثالث أكبر دولة في العالم من حيث عدد المسلمين فيها بعد إندونيسيا والباكستان. وفيها أكبر أقلية إسلامية في العالم.

والمجتمع الهندي بسبب كثافته السكانية مجتمع متعدد الديانات، كما أنه متعدد اللغات والأعراق. ويشكّل المسلمون فيه مكوناً رئيساً من ثقافة الهند، وحضارتها الحالية، وهم يشاركون في الحياة العامة. ويجتهدون في الحفاظ على دينهم والدعوة إليه، وحماية المؤسسات الدينية والعلمية العريقة، وقد استطاعوا

أن يثبتوا لهم حضوراً ونفوذاً في الميدان السياسي والاقتصادي، وقد تمكّن بعض المسلمين من الوصول إلى منصب رئاسة الجمهورية، نذكر منهم: المفكر التربوي الدكتور ذاكر حسين (١٩٦٧-١٩٦٩م) أول رئيس مسلم في الهند، والمحامي فخر الدين علي أحمد (١٩٧٤-١٩٧٧م)^(١).

❖ دخول الإسلام إلى الهند وانتشاره فيها:

وصل الإسلام إلى الهند منذ القرن الهجري الأول، عن طريقين: طريق الفتوح الإسلامية، وعن طريق الدعاة والتجار والهجرة.

▪ الفتوح الإسلامية: بدأت الفتوح الإسلامية للهند في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان الذي أرسل قواته بقيادة المهلب بن أبي صفرة عام (٤٤هـ) الذي قام بفتح بعض أطراف بلاد السند (باكستان الحالية).

ثم وقفت الفتوحات مدةً من الزمن لتعود من جديد في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك الذي أرسل جيشاً كبيراً بقيادة محمد بن القاسم الثقفي عام (٩١هـ) الذي اقتحم بلاد السند من جنوبها من جهة البحر، وتابع تقدمه إلى الشمال حتى وطّد الوجود الإسلامي في أجزاء مهمة من بلاد السند، وبشكل خاص في إقليم (الملتان) الذي أصبح مركزاً رئيساً للمسلمين، وقام الثقفي بتنظيم الحاميات الإسلامية وبناء المساجد، وتنظيم الأمور الحربية والمالية، وشؤون الدعوة، لكنه اضطر لترك بلاد السند عام (٩٦هـ) بعد عزله عنها بأمر من الخليفة سليمان بن عبد الملك.

(١) تاريخ الإسلام في الهند، عبد المنعم النمر، ط ١ (بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ١٤٠١هـ/١٩٨١م)، (ص/١١١-١٣٣، ٢٣٤-٤٠٠، ٤٢٣-٤٧١).

ولم يتمّ تجديد نشاط الدعوة الإسلامية، ودخول معظم سكان هذه البلاد إلى الإسلام عن طريقها إلا بعد سنوات في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ). حيث انطلق المسلمون من بلاد السند لفتح معظم بلاد الهند، ونشر الإسلام فيها^(١).

▪ **الدعاة والتجار والهجرة:** دخل الإسلام بشكل سلمي إلى سواحل الهند الغربية الجنوبية (ماليبار)، ومومباي، ثم اتجه نحو وسط الهند (حيدر آباد الدكن) عن طريق التجار والدعاة المسلمين فضلاً عن العائلات الكثيرة المهاجرة من بلاد فارس، وتركستان، والبلاد العربية، وبخاصة اليمن في القرن الهجري الأول. وقد شكّل هؤلاء المهاجرون عن طريق المعاملة الحسنة والأمانة والخلق الكريم، وما يعرضونه من مبادئ الإسلام الكبرى، وبشكل خاص مبادئ التوحيد والمساواة والعدل والتسامح والتكافل، حافزاً مهماً للهنود، أخذ بأيديهم نحو اعتناق الإسلام والإيمان بمبادئه الرشيدة، التي لاقت قبولاً واستحساناً في المجتمع الهندي الذي كان يتخبط في ظلمات الوثنية، وتعدد الآلهة، وشيوع نظام الطبقات القائم على مبدأ حصر السلطة الدينية والسياسية والامتيازات الاجتماعية والاقتصادية في يد طبقة البراهمة، ثم في يد طبقة الجنود والتجار، وتهميش ونبد طبقة الفلاحين والفقراء، وحرمانهم من جميع حقوقهم الدينية والإنسانية والاجتماعية^(٢).

(١) الفتوح الإسلامية عبر التاريخ، عبد العزيز العمري، ط ٣ (الرياض، دار إشبيلية، ١٤٢١هـ) (ص/١٧٠-١٧٢).

(٢) أطلس دول العالم الإسلامي: جغرافي تاريخي اقتصادي، شوقي أبو خليل، ط ١ (دمشق، دار الفكر، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م) (ص/١٨٤-١٨٥). المسلمون في الهند، أبو الحسن علي الحسيني الهندي، ط ١ (دمشق، دار ابن كثير، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م) (ص/٢٩-٣٣).

❖ الدول الإسلامية في تاريخ الهند:

شهدت الهند عبر تاريخها ظهور عدة دول وإمارات إسلامية، وقد أسهمت هذه الدول، التي دامت لعدة قرون، في تطوير الهند في جميع المناحي الإدارية، والسياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والزراعية، والصحية، والري، وال عمران، وتخطيط المدن، والمواصلات، وبناء المشافي، والمساجد، والمدارس، والمعاهد التعليمية.

أهم دولتين من بين هذه الدول هما (الدولة الغزنوية، والدولة المغولية).

• الدولة الغزنوية (٣٦٦-٥٧٩هـ):

شيدت هذه الدولة أساساً في مدينة "غزنة" شرق أفغانستان، وفي أجزاء عديدة من بلاد فارس، وقد قام سلطانها سبكتكين الغزنوي (ت: ٣٨٧هـ) بفتح العديد من بلاد السند في شمال غرب الهند، ثم تابع الفتح من بعده ابنه السلطان محمود الغزنوي (ت: ٤٢١هـ) الذي تمكن من فتح لاهور، والملتان، وكشمير، والكوجرات، وقام بنشر الإسلام والعلوم فيها، وأقام العدل بين الهنود جميعاً بغض النظر عن دينهم.

ومن أبرز العلماء الذي اشتهروا في عصره المؤرخ أبو الريحان البيروني (ت: ٤٤٠هـ) صاحب كتاب "تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة" الذي يعد حتى اليوم مرجعاً علمياً موثقاً لمعرفة تاريخ الهند وأديانها وعلومها وفلسفاتها حتى عصر البيروني، وكتاب "الآثار الباقية عن القرون الخالية".

• الدولة المغولية (٩٣٣-١٢٧٥هـ):

أسسها ظهير الدين محمد بابر المغولي عام (٩٣٣هـ/١٥٢٦م) حفيد جنكيز خان المغولي. بسطت هذه الدولة سلطانها على كل الهند ما عدا أقصى الأجزاء الجنوبية منها، وكانت آخر دولة إسلامية فيها، وحكمت الهند لمدة ثلاثة قرون حتى سقطت على يد الإنكليز في عام (١٨٥٧م).

عرفت هذه الدولة عدداً من الحكام العظام الذين نشروا العدل والمساواة والعلم والحضارة فيها، مثل:

- السلطان جهانكير بن أكبر (ت: ١٠٣٧هـ/ ١٦٠٥م) الذي أعاد بالتعاون مع العلامة أحمد الفاروقي السرهندي^(١) (ت: ١٠٣٤هـ/ ١٦٢٤م) الصبغة الإسلامية الحقّة للهند، وأشاع فيها روح التسامح الديني والعربي، وأدخل النظم الإدارية الحديثة في كل مرافق الدولة، الأمر الذي أدى إلى دمج كل المكونات الكبرى لأبناء دولته أي الفرس، والترك، والهنود المسلمين، والهنود الهندوس، والسيخ.

- السلطان أورنك زيب عالمكير (ت: ١١١٩هـ/ ١٧٠٧م) الذي رفع لواء الشريعة والإسلام في عصره، وقام بتشجيع النهضة العمرانية، والحياة العلمية، وأشرف بنفسه على تأليف موسوعة فقهية ضخمة حملت اسم "الفتاوى الهندية"، وعُرفت بين الناس بـ "الفتاوى العالمية" نسبةً إليه.

من أبرز الشخصيات الدينية والعلمية التي عرفت الهند أثناء الحكم المغولي، الشاه ولي الله أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي (ت: ١١٧٦هـ/ ١٧٦٢م) العالم المتكلم والمفسر والفقيه والصوفي والمحدث الذي أحيا دراسة علوم الحديث في الهند، واشتهر بدعوته إلى تجديد الفكر الإسلامي في الهند منطلقاً من الدعوة إلى الأخذ بنصوص الشريعة الثابتة، ومراعاة مقاصدها وحكمها وأسرارها التي اجتهد في الكشف عنها في كتابه "حجة الله البالغة".

❖ الاحتلال الإنكليزي للهند:

استمر حكم الدولة المغولية إلى أكثر من ثلاثة قرون من القرن العاشر إلى القرن الثالث عشر الهجري/القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر الميلادي،

(١) المعروف في شبه القارة الهندية بـ "مجدد الألف الثاني"

وتحديداً إلى سنة (١٢٧٥هـ/١٨٥٨م)، حيث قضى الاحتلال الإنكليزي، الذي تغلغل في الهند منذ أكثر من مائتي سنة متخفياً تحت غطاء "شركة الهند الشرقية" التي كانت تتحكم بكل مقدرات الهند، وتتدخل بكل شؤونها الداخلية، على الثورة الشاملة التي قام بها عموم الشعب الهندي، تحت قيادة بهادر شاه آخر سلاطين الدولة المغولية، ضد النفوذ الإنكليزي في بلادهم عام (١٢٧٤هـ/١٨٥٧م)، والتي انتهت بتفوق الإنكليز بسبب دهائهم ومكرهم، وبسبب تفوقهم العسكري، وتعاون بعض أمراء وقبائل الهندوس والسيخ المناوئين للمسلمين معهم. وانتهت هذه الثورة بإعلان دخول الهند قاطبة في قبضة الاحتلال الإنكليزي، وتحولها إلى جزء من الإمبراطورية البريطانية العظمى. وعليه فقد تحول المسلمون في الهند بسبب قيادتهم للحركة المناهضة للإنكليز إلى أقلية مهمشة لا تمارس حقها الطبيعي في إدارة البلاد وسياستها العامة، ولا تحصل على حقوقها المشروعة في الاستفادة من خيراتها، وثرواتها العامة.

وقام الإنكليز بمصادرة الكثير من أراضي المسلمين، وشجعوا حركات التنصير، ودعموا الدعوات الإسلامية المنحرفة مثل القاديانية، وعززوا وجود السيخ والهندوس في كشمير، وأعطوهم السيادة فيها.

لكن المسلمين لم يستسلموا لهذا الوضع المهين، واستمروا من خلال التعاون مع بعض المخلصين من أبناء وطنهم بالتصدي بطرق وأساليب متعددة للاحتلال الإنكليزي، ومشروعه الثقافي التغريبي الذي حاول فرضه على الهنود جميعاً، حتى حصلت الهند على الاستقلال التام عن إنكلترة عام (١٩٤٧م).

لكن للأسف الشديد، فقد ظهرت قبيل هذا التاريخ أحداث ومشاكل كثيرة، من أهمها تفاقم الصراع الشديد بين أنصار الفكرة الإسلامية في الهند وبين المتشددین من أنصار النزعة القومية الهندية الذين نالوا الدعم الكامل أثناء الاحتلال الإنكليزي، الأمر الذي أدى إلى تقسيم الهند بين المسلمين والهنود، حيث قام عدد كبير من المسلمين في عام الاستقلال (١٩٤٧م) بالهجرة والتجمع

والإقامة في مناطق خاصة بهم في الهند، وأنشؤوا في الجناح الغربي والجناح الشرقي للهند "دولة الباكستان" وهي أول دولة إسلامية في العصر الحديث، ومن ثم انفصل الجناح الشرقي من هذه الدولة عام (١٩٧١م)، وأعلن نفسه دولة مستقلة عن الهند والباكستان، وأطلق على نفسه اسم "بنغلاديش".

هذا الكلام لا يعني أن جميع المسلمين قد هاجروا من الهند، واستقروا في الباكستان أو في بنغلاديش، ولا يعني أنهم جميعاً وافقوا من حيث المبدأ على مشروع انفصال المسلمين، فقد بقي منهم ملايين في الهند، تصل نسبتهم اليوم كما أشرنا سابقاً إلى حوالي (٢٠%) من عدد سكان جمهورية الهند الحالية.

وقد استمر هؤلاء المسلمون، على الرغم من كل المشكلات والتحديات التي تواجههم، في الحفاظ قدر إمكانهم على دينهم والدعوة إليه، وحماية المؤسسات الدينية والعلمية العريقة، بل استطاعوا أن يثبتوا لهم حضوراً ونفوذاً، ولو محدوداً، في الميدان السياسي والاقتصادي على الرغم من كل المضايقات والظروف الصعبة التي يعيشونها اليوم، وعلى الأخص بسبب هيمنة الأحزاب الهندية الهندوسية القومية على مقاليد البلاد.

❖ قضية جامو وكشمير:

في السنة التي ظهرت فيها دولة الباكستان، عام (١٩٤٧م) ظهرت مشكلة إقليم جامو وكشمير المتنازع عليه بين الهند والباكستان، التي تهدد العلاقات الهندية الباكستانية، فضلاً عن أنها تشكل مصدر توتر هائل بين المسلمين والهندوس والسيخ الموجودين في داخل الهند، وفي داخل إقليم جامو وكشمير نفسه^(١)، كما سنبين بعد قليل.

(١) تاريخ الإسلام في الهند، عبد المنعم النمر، ط ١ (بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ١٤٠١هـ/١٩٨١م)، (ص/١١١-١٣٣، ٢٣٤-٤٠٠، ٤٢٣-٤٧١).

❖ المؤسسات الدينية والعلمية في الهند:

عُرِف المسلمون الهنود بالغيرة على الإسلام والمسلمين، والحرص على الرابطة والوحدة الإسلامية، والاهتمام بشؤون الإسلام والمسلمين في العالم، والاهتمام الشديد بالعلوم الإسلامية عامة، مع التميز في خدمة علوم الحديث الشريف، والسيرة النبوية، وتفسير القرآن الكريم. من أشهر المؤسسات التعليمية في الهند التي مازالت تواصل عطاءها العلمي حتى اليوم، المؤسسات الآتية:

▪ مدرسة دار العلوم في ديوبند:

بعد انهيار دولة المغول الإسلامية في الهند في عام (١٨٥٨م)، وإثر تعرض المجتمع الإسلامي في الهند في مرحلة الاستعمار الإنكليزي إلى تحديات جسام كانت تهدد وجوده الإسلامي ودوره الحضاري الأصيل في الهند بشكل عام، قام مجموعة من العلماء من تلامذة وأتباع العلامة شاه ولي الله الدهلوي في عام (١٢٨٣هـ/١٨٦٧م) بتأسيس مدرسة دار العلوم في مدينة ديوبند الواقعة في مديرية "سهارنبور" في ولاية أوترا براديش التي تقع في شمال غربي الهند. وتبعد ديوبند عدة أميال شمال شرق "دهلي" العاصمة الهندية. كان الهدف الأساسي من وراء إنشاء مدرسة دار العلوم هو تأسيس مؤسسة تعليمية إسلامية حديثة، تعمل على صيانة العلوم الإسلامية، ودعوة المسلمين للالتزام بأحكام الشريعة ومبادئها وأخلاقها وآدابها. تعد مدرسة ديوبند أكبر معهد للعلوم الشرعية في الهند، وتستحق أن تُسمى "أزهر الهند"، بل يمكن أن يُقال بأنها أكبر وأهم المدارس الإسلامية في قارة آسيا، ويفد إليها الطلاب من جميع أنحاء الهند، ومن جميع بلاد العالم الإسلامي، بل ومن القارتين الأوروبية والأمريكية لدراسة كافة العلوم الإسلامية، وللتبحر بشكل خاص في دراسة الحديث النبوي، والفقه الإسلامي. وهي تعني

بالتكوين العلمي، والبناء العقائدي والروحي، والسلوك التربوي والأخلاقي لطلابها. وقد قادت هذه المدرسة حركة علمية وإصلاحية عظيمة الأثر في الهند. شعار دار العلوم: التمسك بالدين، والالتزام بالمذهب الحنفي، والدفاع عن السنّة الشريفة، والالتزام بالسلوك الإسلامي، وفي الوقت نفسه الدعوة إلى الاجتهاد، وتلبية حاجات المسلمين وفق المنهج الإسلامي الأصيل. من أبرز العلماء المؤسسين لهذه المدرسة الشيخ محمد قاسم النانوتوي (ت ١٨٧٧م) صاحب المؤلفات العلمية الكثيرة، وصاحب الدور الكبير في رد حملات التبشير التي كان يدعمها الإنكليز. وقد كان أول مدير لمدرسة ديوبند، ومرشدّها الروحي.

وكان لمنتسبيها وخريجها المعروفين بـ "الديوبنديين" الذين وصل عددهم إلى الآلاف، الأثر الكبير في بلادهم سواء في مجال نشر العلوم الشرعية، وصدّ حملات التبشير، وتبليغ الدعوة الإسلامية، والقيام بالمهام الدينية من إمامة وخطابة وقضاء وإفتاء وتعليم وتأليف أم في نطاق تقديم الخدمات الاجتماعية والحفاظ على المصالح الوطنية في بلادهم.

ومن بين أبرز خريجها، وهي في بدايتها، العلامة الشيخ أشرف علي ثنوي التهانوي (١٨٦٣-١٩٤٣م) المعروف في شبه القارة الهندية بحكيم الأمة.

ترك لنا الشيخ أشرف مؤلفات كثيرة في شتى فروع المعرفة والقضايا الإسلامية، حيث وصل عدد مؤلفاته إلى حوالي (٨٠٠) كتاب. وقد عُرِف هذا العالم بعنايته الشديدة بتربية وتعليم البنات والنساء، والدفاع عن حقوقهن، وبيان مكانتهن ودورهن الكبير في بناء المجتمع واستقراره، والعمل على تطويره وتنميته في كل جوانب الحياة، وقد ألّف في هذا المجال كتاباً كبيراً ذاع صيته، وتمّ تداوله بكثرة في عموم الهند في بداية القرن العشرين، وترجم إلى لغات هندية عديدة، وطُبِع حتى الآن أكثر من خمسين طبعة، حمل اسم "بيهشتي زيور/حلية أهل الجنة"، وهو بمثابة موسوعة إسلامية متكاملة تتناول كل ما يهم المرأة المسلمة من

أمور العقيدة والعبادات والمعاملات، وكل ما يتعلق بها من الأمور الصحية والقضايا الأسرية والتربوية والأخلاقية، وبيان حقوق المرأة المسلمة وواجباتها، ودورها في المجتمع في ضوء الهدي القرآني والنبوي.

وقد توج الشيخ أشرف علي التهانوي عمله بتأليف تفسير كبير حمل اسم "بيان القرآن" (في عشرة أجزاء) خاطب فيه بالإضافة إلى العلماء، عامة الناس حيث عمل على معالجة مشاكلهم وقضاياهم الاجتماعية والعامة في ضوء الهدي القرآني^(١).

وقد عرفت مدرسة ديوبند بحرصها الشديد على إنشاء شبكة كبيرة من المدارس والمؤسسات التعليمية التابعة لها، والمنتشرة في كل أنحاء شبه القارة الهندية، وعلى إقامة علاقات متميزة مع المؤسسات العلمية والدينية والدعوية الأخرى الموجودة في الهند وخارجها. وقد وصل عدد المدارس والابتدائية والعالية التي أسسها الديوبنديون في عام (١٩٦٧م) أي في الذكرى المئوية الأولى لتأسيسها حوالي (١٠) آلاف مدرسة.

ولعل أبرز المدارس العلمية التابعة لها هي مدرسة "مظاهر العلوم" الواقعة في مدينة سهارنپور، وقد اشتهرت هذه المدرسة بخدماتها العلمية الجليلة في ميدان شرح كتب الحديث الشريف، وتحقيق علومه.

على الرغم من أن علماء مدرسة ديوبند قد التزموا أسلوب عدم التدخل في الشؤون السياسية من أجل التفرغ لأمر الدعوة والتعليم، إلا أن أغلبهم وقفوا ضد مشروع تقسيم الهند، وتكوين دولة خاصة للمسلمين، لأنهم رأوا في هذا العمل

(١) أشرف علي التهانوي: حكيم الأمة وشيخ مشايخ العصر في الهند، محمد رحمة الله الندوي، سلسلة أعلام المسلمين، رقم ٩١، دمشق، دار القلم، ط ١، ٢٠٠٦، (ص/٣٣٩-٤٤٧).

تمزيقاً لوحدة الهند، وإضعافاً لقوة حضور المسلمين في عموم الهند، وفتح المجال أمام تهميشهم فيها، وتضييق آفاق استعادة الصبغة الإسلامية للهند^(١).

▪ **مدرسة دار العلوم التابعة لندوة العلماء في لکنؤ:** رأى بعض كبار العلماء ورجال الفكر من مختلف الاتجاهات الدينية والعلمية بأنه على الرغم من الدور المهم الذي تقوم به المدارس الشرعية التي كانت تسير وفق المناهج التعليمية القديمة في الحفاظ على الإسلام ونشر علومه، فإنها لا تكفي للتصدي للتحدي العلمي والحضاري الذي فرضته الحضارة الغربية على المسلمين في الهند، بسبب القصور في بعض مناهجها التعليمية وعدم تجديدها بما يضمن تلبيتها لحاجات المسلمين المتزايدة في العصر الحديث، لذلك اجتمعوا في عام (١٣١٢هـ/ ١٨٩٤م)، وقرروا إنشاء هيئة علمية وتربوية جامعة، أطلقوا عليها اسم "ندوة العلماء"، وكان أول رئيس لها الشيخ محمد علي المونكيري، ثم أسسوا مدرسة تعليمية تجسد رؤيتها التعليمية ومناهجها الجديدة في "لکنؤ" في عام (١٨٩٨م) تحمل اسم مدرسة دار العلوم لندوة العلماء. ثم تم افتتاح قسم التخصص في عام (١٩٠٩م).

وكان على رأس اهتمامات هذه المدرسة العلمية العريقة إلغاء التعصب للمذاهب الإسلامية، وبناء منهجية كلية جامعة لجهود العلماء، تسعى نحو خدمة المسلمين عموماً، وتعمل على تحقيق نهضتهم في كافة ميادين العلم وشؤون المجتمع والحياة.

The Oxford encyclopedia of the Modern Islamic World, ed, John L. (١)
188-194./362-363, 2/Esposito, oxford university Press, 1995, 1

ومن أبرز علمائها الذين درسوا فيها أو تخرجوا فيها:

▪ شبلي النعماني (ت ١٩١٤م) من أبرز رجال العلم والإصلاح في الهند، وهو أحد مؤسسي ندوة العلماء ومدرستها دار العلوم، وأول عميد لها، وصاحب الفضل الأكبر في تطوير مناهجها، وفي افتتاح قسم التخصص فيها. وهو الذي أصدر "مجلة ندوة العلماء" في عام (١٩٠٣م). لعبت هذه المجلة دوراً كبيراً في تنشيط المشهد العلمي والفكري الإسلامي وتجديده في الهند فضلاً عن دورها في تنشيط الاهتمام باللغة الأوردية وآدابها والكتابة فيها، وإتاحة الفرصة للكتاب الشباب حتى يصقلوا مواهبهم في البحث والكتابة.

وهو صاحب فكرة إنشاء "مجمع دار المصنفين" في الهند، وهو بمثابة مجمع علمي ومركز أبحاث يهدف إلى تنشيط حركة البحث العلمي الإسلامية في الهند، وتوفير كل الإمكانيات الضرورية لإعداد الباحثين والمؤلفين ونشر نتاجهم العلمي وتأسيس مكتبة علمية جامعة تكون في خدمة الطلاب والباحثين، وتجمع التراث العلمي لأبناء الهند المسلمين.

انتقل الشيخ النعماني إلى رحمة الله قبل تحويل فكرته ومشروعه العلمي إلى واقع حي، ولكن الله تعالى كتب لهذا المشروع القيام على أيدي تلامذته وعلى رأسهم حميد الدين الفراهي وسليمان الندوي ومسعود الندوي^(١).

▪ سليمان الندوي (ت ١٩٥٣م) العالم والمؤرخ والأديب الذي أتم كتاب أستاذه النعماني "سيرة النبي ﷺ"، ووصل به إلى سبعة مجلدات بعد أن كان مجلداً واحداً. وقد انتقل إلى باكستان بعد تأسيسها، وكان رئيس "جمعية علماء الإسلام" فيها.

(١) شبلي النعماني علامة الهند الأديب والمؤرخ الناقد الأريب، محمد أكرم الندوي، سلسلة أعلام المسلمين ٨٣، ط ١، دمشق، دار القلم، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، (ص/١١٨-١٦٤).

▪ عبد الماجد الدرايبادي (ت ١٩٤٣م) الأديب والفيلسوف وصاحب "تفسير القرآن الكريم" باللغة الإنكليزية في عدة مجلدات.

▪ أبو الحسن الندوي (ت ٢٠٠٠م) الكاتب والمفكر الإسلامي الكبير، كان مدير ندوة العلماء، وعضو مؤسس في رابطة العالم الإسلامي، ورئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية، من أهم مؤلفاته كتاب "رجال الفكر والدعوة في الإسلام"، "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين"، و"الصراع بين الفكرة الإسلامية والغربية في الأقطار الإسلامية"، و"السيرة النبوية".

▪ مدرسة "الإصلاح": تقع في مدينة سراي مير في مديرية أعظم كره، في ولاية أوترا براديش. أسس هذه المدرسة المفسر الهندي الكبير حميد الدين الفراهي (ت: ١٩٣٠م) صاحب تفسير "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان". ومن أهم كتبه الأخرى "دلائل النظام"، و"التكميل في أصول التأويل"، و"مفردات القرآن" و"أساليب القرآن" التي اجتهد فيها في بسط نظريته في "نظم القرآن" التي تتلخص بأنه لا يمكن لنا أن نفهم القرآن الكريم حقّ الفهم إذا لم نتعامل مع القرآن الكريم بوصفه نصاً مرتباً ترتيباً إلهياً حكيماً مقصوداً لذاته، وأن كل سورة من سوره تشكل وحدة نصية منسجمة ومتماسكة على المستوى النصي والموضوعي، وهي تدور حول عمود واحد يُشكّل المعيار الضروري لفهم معاني آياتها، والأداة الضرورية للترجيح بين الأقوال التفسيرية المحتملة المتعلقة بآياتها.

لذلك فقد اشتهرت هذه المدرسة بتدريس القرآن الكريم وعلومه، وتخرج فيها مفسرون كبار، أشهرهم أمين أحسن إصلاحي (ت ١٩٩٧م) صاحب تفسير "تدبر القرآن" في ثمانية مجلدات باللغة الأوردية، تبنى فيه نظرية أستاذه الفراهي مع زيادته بعض الإضافات عليها.

ومن الجمعيات والهيئات الإسلامية العاملة في الهند، والتي تجتهد كل الاجتهاد في الحفاظ على المقومات الإسلامية للشخصية الهندية، وفي رعاية

مصالح المسلمين والدفاع عن حقوقهم، "المجلس الاستشاري الإسلامي لعموم الهند" الذي تأسس عام (١٩٦٤م).

و"هيئة الأحوال الشخصية الإسلامية لعموم الهند" التي تأسست عام (١٩٧٢م). وقد أسس المسلمون مجموعة من الجامعات الإسلامية التي تعتني بالعلوم العصرية الحديثة، وتهدف إلى تأهيل شباب المسلمين الهنود إلى المشاركة في بناء وطنهم وخدمته في كافة ميادين الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وفق رؤية إسلامية رشيدة تعمل على توحيد جهود المسلمين مع كل أبناء الهند الآخرين؛ في سبيل الحفاظ على الهند وخدمة مصالحها العليا التي تصب في نهاية الأمر في مصلحة جميع الهنود، بغض النظر عن دينهم ومذاهبهم. من هذه الجامعات "جامعة عليكرة الإسلامية"، و"الجامعة العثمانية" في حيدر آباد، و"الجامعة المليّة الإسلامية" في دلهي^(١). ولا ننسى أن نذكر أن المسلمين في الهند قد أسسوا مجمعاً للفقهاء الإسلامي، ومجمعاً للغة العربية.

❖ أهم التحديات التي تواجه المسلمين في الهند:

- تواجه المسلمين في الهند اليوم تحديات ومشكلات عديدة، من أهمها:
١. لا يشغل المسلمون الهنود – على الرغم من أن نسبتهم تصل إلى حوالي (٢٠ % من مجموع السكان – إلا نسبةً ضئيلة في الجهاز الحكومي والإداري ومؤسسات الدولة، وبشكل خاص في مؤسسات الجيش والشرطة والقضاء والتعليم في جمهورية الهند الحالية.
 ٢. محاولة الحكومات الهندية ذات الأغلبية الهندوسية تذيب الشخصية الإسلامية الهندية بحجة دمج المسلمين في المجتمع العام من خلال إجراءات عديدة منها المحاولات المستمرة لإلغاء قانون الأحوال الشخصية للمسلمين المستمد من

(١) المسلمون في الهند، أبو الحسن الندوي، (ص/١٢٩-١٤٩)؛ شبلي النعماني: علامة الهند الأديب والمؤرخ الناقد الأديب، محمد أكرم الندوي، (ص/١١٨-١٦٥).

الفقه الإسلامي، وفرض نظام تعليم عام موحد لا يراعي الخصوصية الدينية والثقافية للمسلمين، ويسعى لطمس تاريخهم وتشويه دورهم الحضاري العريق في الهند، وتصوير الهند أنها دولة هندوسية لا مكان فيها لدين آخر، وبخاصة الإسلام، وفرض الفكر القومي الهندي عليهم، ومحاولة منع المسلمين من تسمية أولادهم بالأسماء الإسلامية والعربية كي يقطعوا أي صلة للمسلمين الهنود بالأمة الإسلامية التي ينتمون إليها.

٣. ظهور مؤشرات الصراع الديني بين المسلمين والهندوس والشيخ لأسباب كثيرة، منها على سبيل المثال محاولة بعض الحركات الهندوسية وضع يدها على بعض المساجد القديمة بحجة أنها كانت أماكن عبادة للهندوس سابقاً، فضلاً عن القيود الشديدة التي تفرضها الحكومات الهندية على بناء المساجد الجديدة. ومحاولات الهندوس المستمرة للاستيلاء على الأوقاف الإسلامية.

٤. منعت الحكومات الهندية المدارس الحكومية من تدريس اللغة الأوردية، وهي لغة العلم والثقافة والتراث عند المسلمين الهنود، ومنعت تداولها في وزارة المعارف، وفي دوائر الدولة والقضاء، لصالح اللغتين الهندية والإنكليزية. وهذا الإلغاء يهدد الهوية الدينية والثقافية للمسلمين الهنود، ويقطع اتصالهم بتاريخهم الديني والحضاري، وذلك لأن اللغة الأوردية المأخوذة من اللغات السنسكريتية والعربية والفارسية والتركية، والمدونة بأحرف عربية تمثل الوعاء الثقافي الأكبر الذي يضم تراثهم وتاريخهم وثقافتهم فضلاً عن علومهم الإسلامية التي كتبوا معظمها بهذه اللغة.

وقد بدأ ينتج عن هذا الإلغاء جيل هندي مسلم ضعيف الصلة بدينه وتاريخه وثقافته، على الرغم من الجهود الكبيرة التي يبذلها العلماء والدعاة لحماية الإسلام، وترسيخ وجوده في الهند^(١).

(١) المسلمون في الهند، أبو الحسن الندوي، (ص/٢٠١-٢٢٦).



ثانياً: المسلمون في باكستان

▪ الموقع : تقع الباكستان في جنوب قارة آسيا، تحدّها من الشمال الصين، ومن الجنوب بحر العرب، ومن الغرب أفغانستان وإيران، ومن الشرق الهند وكشمير. تصل مساحتها إلى (٩٤٠, ٨٠٣) كم^٢.

▪ العاصمة : "إسلام آباد". يزيد عدد سكانها على (٢٠٠) مليون نسمة، تتجاوز نسبة المسلمين منهم (٩٧٪). وهذا ما يجعل باكستان ثاني أكبر دولة مسلمة بعد إندونيسيا من حيث عدد السكان.

تعني كلمة الباكستان في اللغة الأوردية الأرض الطاهرة. يتكوّن الشعب الباكستاني من عدة شعوب، هم أبناء البنجاب، الأفغان، السند، كشمير. والباكستان أول دولة مسلمة في التاريخ الحديث يصل إلى منصب رئيس الحكومة فيها امرأة، حيث أصبحت بنزير بوتو (ت ٢٠٠٧م) رئيسة للوزراء عام (١٩٨٨م)، ثم أُعيد انتخابها مرة ثانية لهذا المنصب عام (١٩٩٣م).

❖ لمحة عن تاريخ الباكستان السياسي :

تأسست الباكستان بعد انفصالها عن الهند عام (١٩٤٧م)، وكان الهدف الرئيس وراء هذا الانفصال هو إعطاء الفرصة للمسلمين الهنود المتركزين بشكل أساسي في غرب الهند وفي شرقها للاستقلال بحياتهم والتمتع بدولة مستقلة تحمي حقوقهم الدينية والسياسية والثقافية وترعى مصالحهم، وذلك بعد فشل "حزب المؤتمر الهندي" الذي أسس عام (١٨٨٥م)، في القيام بحماية هذه الحقوق والمصالح على الرغم من تعاون المسلمين معه من خلال "الرابطة الإسلامية لعموم الهند" في إرغام الإنكليز في الجلاء عن الهند. وكذلك بسبب اشتداد أوار النزعة القومية الهندية التي غذاها الاستعمار الإنكليزي، هذه النزعة التي كانت تريد الاستئثار بكل شيء في الهند، ولم تكن ترى في الهند إلا الأغلبية الهندوسية، ومصالحها على حساب الجميع، وأولهم المسلمون. وهكذا أقيمت

دولة الباكستان من قسمين الأول في غرب الهند، وكان يحمل اسم "باكستان الغربية"، والثاني في شرق الهند وكان يحمل اسم "باكستان الشرقية"، وللأسف الشديد فإن هذا القسم الشرقي الذي يختلف بلغته وعاداته انفصل بدوره عن دولة باكستان، وأسس لنفسه دولة مستقلة تحمل اسم "بنغلاديش" عام (١٩٧١م) بسبب الخلافات السياسية بين زعماء القسمين على دستور الدولة ونظامها الإداري. وبقي القسم الغربي يحمل اسم "الباكستان" لوحده منذ ذلك التاريخ.

يعد محمد علي جناح (ت ١٩٤٨م) زعيم "الرابطة الإسلامية لعموم الهند" التي أسسها عام (١٩٠٦م)، هو المؤسس الفعلي لدولة الباكستان، وأول حاكم لها، وهو معروف عند الشعب الباكستاني باسم "القائد الأعظم".

أما صاحب الأثر الأكبر في الدعوة إلى فكرة حق مسلمي الهند في تقرير المصير، وبناء دولة مستقلة لهم، وتشيد كيان سياسي خاص بهم فهو الشاعر والفيلسوف محمد إقبال (ت ١٩٣٨م)، صاحب كتاب "تجديد الفكر الديني في الإسلام"، ولكنه توفي رحمه الله قبل أن تبصر دولة الباكستان النور.

وفي عام (١٩٤٩م) قرر "المجلس التأسيسي" الذي يمثل شعب باكستان أن يضع دستوراً تسيّر وفقه "باكستان" المستقلة ذات السيادة، وتمارس الدولة به وظائفها وفقاً لمبادئ الديمقراطية والحرية والمساواة والتسامح والعدالة الاجتماعية كما قضت بها تعاليم الإسلام، دستوراً يكيف حياة المسلمين أفراداً وجماعات حسب تعاليم الإسلام، كما وردت في الكتاب والسنة، دستوراً يمنح الأقليات الحرية التامة لمزاولة مهنتهم، والقيام بأعمالهم، وعباداتهم وفق عباداتهم وفق تعاليم دينهم، كما سيتركهم يتمتعون بالحرية في النهوض بثقافتهم^(١).

(١) العالم الإسلامي، عمر رضا كحالة، ط ٣، (دمشق، الشركة المتحدة للتوزيع، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)، (٣٦٦/٢).

من أبرز الزعماء الذين قادوا الباكستان الرئيس أيوب خان (١٩٥٨-١٩٦٩م) الذي عمل على ترسيخ الدستور، والديمقراطية، والتنمية الاقتصادية في ضوء القيم الإسلامية. وفي عهده دخلت الباكستان في عام (١٩٦٥م) في حالة حرب مع الهند بسبب النزاع حول كشمير. وقد أضرت هذه الحرب باستقرار الباكستان السياسي، ونموها الاقتصادي.

واستلم الرئيس ذو الفقار علي بوتو (١٩٧١-١٩٧٧م) سدة الحكم في الباكستان، وقاد مجموعة من الإصلاحات السياسية، والاقتصادية التي أعادت الاستقرار، وجلبت الازدهار لبلاده.

أما الرئيس الجنرال ضياء الحق (١٩٧٧-١٩٨٨م) فقد اجتهد في العمل على صبغ الباكستان بالصبغة الإسلامية في كل المجالات القانونية والاجتماعية والاقتصادية والتربوية، حيث كان يرى أن الإسلام هو الطريق الذي يضمن الاستقرار والتقدم للمجتمع الباكستاني.

واستلم الرئيس ذو الفقار علي بوتو (١٩٧١-١٩٧٧م) سدة الحكم في الباكستان، وقاد مجموعة من الإصلاحات السياسية، والاقتصادية التي أعادت الاستقرار، وجلبت الازدهار لبلاده.

أما الرئيس الجنرال ضياء الحق (١٩٧٧-١٩٨٨م) فقد اجتهد في العمل على صبغ الباكستان بالصبغة الإسلامية في كل المجالات القانونية والاجتماعية والاقتصادية والتربوية، حيث كان يرى أن الإسلام هو الطريق الذي يضمن الاستقرار والتقدم للمجتمع الباكستاني.

تعيش باكستان حالة من التعددية السياسية تتمثل بوجود كثير من الأحزاب السياسية، لكن أقوى هذ الأحزاب اليوم: "حزب الشعب الباكستاني" الذي كانت تقوده رئيسة وزراء الباكستان بنزير بوتو (ت ٢٠٠٧م) التي استلمت منصب رئاسة الوزراء مرتين كما أشرنا إلى ذلك سابقاً.

و"حزب الرابطة الإسلامية" الذي يرأسه نواز شريف الذي كان حليفا للرئيس ضياء الحق، وهو الآن يشغل منصب رئيس الوزراء.

❖ المؤسسات الدينية والعلمية في باكستان:

يوجد في باكستان عدد كبير جداً من المدارس والمؤسسات التعليمية الدينية التي تتبع مؤسسات وجمعيات دينية حكومية وخاصة، وأشهر المؤسسات الدينية والتعليمية في باكستان هي تلك التي تعدّ امتداداً للمؤسسات التعليمية العريقة في الهند، مثل مدرسة ديوبند.

بالإضافة إلى وجود عدد كبير من المؤسسات التعليمية العالية، ومن أهمها "الجامعة الإسلامية العالمية في إسلام آباد" التي تأسست في عام (١٩٨٠م)، وهي تشكّل أحد المراكز المهمة التي تعمل على نشر العلوم الإسلامية في باكستان، وفي وسط وجنوب شرق آسيا، وهي تقوم بتخريج العلماء والقضاة والدعاة، ويتبع هذه الجامعة مجموعة من المراكز البحثية، والمعاهد العلمية، من أبرزها "مركز البحوث الإسلامية"، و"المعهد الدولي للاقتصاد الإسلامي" الذي يمنح درجة الدكتوراه في كافة فروع الاقتصاد الإسلامي^(١).

❖ أهم التحديات التي تواجه باكستان اليوم:

- ١- حالة التوتر والصراع الذي يلهب أحياناً، ويصل إلى الصدام العسكري بين باكستان والهند بسبب إقليم كشمير المتنازع عليه بينهما.
- ٢- التنافس السياسي المستمر بين الأحزاب السياسية للحصول على السلطة، وقيادة البلاد وفق رؤية كل حزب من الناحية السياسية والإيديولوجية.

(١) شوقي أبو خليل، أطلس دول العالم الإسلامي، (ص/٢٧). عمر رضا كحالة، العالم الإسلامي، (٢/٣٦٥-٣٦٧). دليل المؤسسات والمعاهد الإسلامية، رابطة العالم الإسلامي، الطبعة الإنكليزية، مكة المكرمة، ١٩٩٢م، (ص/١٤٦-١٥٦).

٣- تتحمل الباكستان عبئاً اقتصادياً وسياسياً وإنسانياً كبيراً من خلال استضافتها لأعداد كبيرة من اللاجئين الأفغان الذي نزحوا إليها بسبب الأحوال السياسية والأمنية المضطربة في بلادهم منذ عام (١٩٧٨م)^(١).

ثالثاً: المسلمون في كشمير

يقع إقليم كشمير في الجزء الشمالي الغربي من شبه القارة الهندية، يحده من الشمال والشرق الصين، ومن الغرب أفغانستان، ومن الغرب والجنوب الغربي الباكستان، ومن الجنوب الهند.

وهو إقليم غني بالثروات والموارد الطبيعية والمناظر والأودية والجبال والبحيرات الخلابة، تزيد نسبة المسلمين فيه على (٧٥٪).

يتكلم أهل اللغة الأوردية والبنجابية، وهما اللغتان التي يتكلم بهما المسلمون في الباكستان. تبلغ مساحة كشمير: (٩٣٥, ٢١٧ كم^٢). ويصل عدد سكانها إلى حوالي (١٣) مليون نسمة.

وصل الإسلام إلى كشمير مع وصوله إلى الهند في القرن الهجري الأول/القرن السابع الميلادي، واستمر انتشار الإسلام فيها على مدى القرون التالية بفضل جهود الدعاة والعلماء والمتصوفة الذين هاجروا إليها من بلاد الأفغان والترك والفرس، وأصبحت كشمير جزءاً من دولة المغول الإسلامية التي حكمت الهند لمدة تزيد على الثلاثة قرون ابتداءً من القرن السادس عشر الميلادي حتى عام (١٨٥٧م).

بدأت مأساة كشمير عندما دخل الإنكليز إليها عام (١٨٣٩م)، ونصبوا عليها حاكماً هندوسياً مقابل مبالغ مالية ضخمة يدفعها لهم.

(1) Encyclopedia of Islam. Juan E. Campo, New York. Facts on File, 2009. 541-542.

ومن ذلك التاريخ بدأ أبناء كشمير المسلمين يقاومون الاحتلال الإنكليزي والسلطة الهندوسية المتحكّمة برقاب المسلمين في وقت واحد. وبعد تقسيم الهند في عام (١٩٤٧م)، أصبح القسم الشمالي الغربي من كشمير يتمتع بحكم شبه ذاتي مع ارتباط خاص بدولة الباكستان الناشئة، أما القسم الجنوبي الشرقي فقد وقع تحت السيطرة الهندية المباشرة. وفي عام (١٩٤٩م) قررت الأمم المتحدة إجراء استفتاء حر محايد لتقرير مصير كامل إقليم كشمير، لكن الهند رفضت الاستفتاء، وبادرت لإخضاع القسم التابع لها لسيادتها، وأصبح يُعرف بـ "جامو وكشمير" وهو القسم الأكبر من كشمير، وقامت الباكستان بإخضاع القسم المرتبط بها، وأصبح يُعرف بـ "جامو وكشمير الحرة".

ومنذ ذلك التاريخ أصبحت كشمير موضع تنازع بين الهند والباكستان، وكانت سبباً لحدوث أكثر من حرب عسكرية بينهما، أهمها حرب عام (١٩٦٥م)، وما زالت قضية كشمير حتى اليوم إحدى قضايا المسلمين العالمية التي تنتظر الحل العادل الذي يضمن للمسلمين حقوقهم وكرامتهم^(١).



(١) أطلس دول العالم الإسلامي، شوقي أبو خليل، (ص/١٧٨-١٧٩). حاصر العالم الإسلامي، منشورات جامعة دمشق، (ص/٢٥٨-٢٦١).



المبحث الثالث: المسلمون في إندونيسيا

■ **الموقع:** تقع إندونيسيا في أرخبيل الملايو في المحيط الهادي في الجزء الجنوبي الشرقي من قارة آسيا. ومن الدول المتاخمة لإندونيسيا أستراليا في الجنوب الشرقي، وماليزيا في الشمال الغربي. وتتمتع إندونيسيا بموقع استراتيجي لأنها تقع بين الهند والصين وأستراليا.

وهي دولة غنية بثرواتها الطبيعية والبشرية على السواء. وهي تتألف من (١٧) ألف جزيرة، منها أكثر من (٦) ستة آلاف جزيرة مسكونة، تمتد من جزيرة سومطرة في الغرب إلى جزيرة إيريان الغربية الواقعة في بابوا غينيا الجديدة في الشرق، وبينهما عدد كبير من الجزر، من أهمها جزيرة كاليمنتان، وجزيرة سولاويسي، وجزيرة جاوة^(١) التي تقع فيها العاصمة جاكرتا، وهي أكبر مركز تجاري وصناعي في إندونيسيا. وفيها جامع "الاستقلال" المبني في عام (١٩٧٥م)، وهو أكبر جامع في جنوب شرق آسيا.

ومن أهم المدن الإندونيسية الأخرى نذكر: سورابايا في جزيرة جاوة، وهي مرفأً تجاري وعقدة مواصلات هامة، ومدينة باندونغ في جزيرة جاوة أيضاً، وهي مدينة تمتاز بمناخها الجميل، ومناظرها الطبيعية الخلابة، ومدينة ميدان في جزيرة سومطرة، وتعد البوابة الغربية لإندونيسيا، وفيها مطار دولي.

■ **اللغة الرسمية:** اللغة الإندونيسية. ولكن الإندونيسيين يتكلمون بالإضافة إلى اللغة الرسمية بحوالي (٧٠٠) لغة محلية.

(١) تقول الباحثة دلال جوهر: " أطلق المسلمون قديماً اسم جاوة على مجموعة الجزر التي تتضمنها إندونيسية، وذلك نظراً لأهمية هذه الجزيرة، ولأنها تضم أكثرية السكان". جغرافية العالم الإسلامي، دلال جوهر، (١/٥٠٢).

■ المساحة: تنتشر الجزر الإندونيسية على مساحة واسعة تزيد على (١٢) مليون كم^٢ بين بر وبحر^(١)، في حين تبلغ مساحة اليابسة لوحدها (٢٧٠, ٠٢٧, ٢) كم^٢.

وتعدّ إندونيسيا الدولة الخامسة عشرة في العالم من حيث مساحة اليابسة فيها. وهي تمتلك ثاني أكبر وأكثر منطقة من مساحة الغابات بعد غابات الأمازون في أمريكا الجنوبية^(٢).

يزيد عدد سكانها على (٢٦٠) مليون نسمة، تصل نسبة المسلمين منهم إلى حوالي (٩٠٪)، لذلك فهي تعدّ أكبر دولة مسلمة من حيث عدد السكان. وهي تحتل المرتبة الرابعة في العالم من حيث عدد السكان.

وبقية السكان من الهندوس، والبوذيين، والكونفوشيين، والمسيحيين البروتستانت والكاثوليك، ومن أتباع بعض الأديان الوثنية المحلية القديمة^(٣).

تتمتع إندونيسيا بنظام جمهوري ديمقراطي، وتنقسم من الناحية الإدارية إلى (٣٣) إقليماً، وفي عام (٢٠٠٢م) انفصلت عنها جزيرة تيمور الشرقية التي كانت خاضعة للاستعمار البرتغالي.

المجتمع الإندونيسي مجتمع متعدد الأعراق حيث يصل عدد الأعراق فيه إلى حوالي (٣٠٠) مجموعة عرقية مختلفة. مع العلم بأن العرق الغالب فيها هو العرق الجاوي حيث تصل نسبته إلى أكثر من (٤٠٪) من مجموع الإندونيسيين، ويشكل

(١) جغرافية العالم الإسلامي، دلال جوهر، (١/٥٠٢).

(٢) رحلة إلى إندونيسيا، سفارة الجمهورية الإندونيسية في دمشق، د.ت، (ص/٦).

(٣) أطلس دول العالم الإسلامي، د. شوقي أبو خليل، (ص/١٨-١٩)؛ جغرافية العالم الإسلامي، رياض الجبان، (ط١، دمشق، بيت الحكمة، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م)، (ص/٢١٥-٢٢٤)؛ موسوعة العالم، (بيروت، مؤسسة نوفل، ١٩٨١م). (ص/١٤٧).

الصينيون حوالي ٢٪ من مجموع السكان، وهم يهيمنون على القطاع الاقتصادي الخاص والأعمال الحرة في إندونيسيا.

❖ دخول الإسلام إلى إندونيسيا، وانتشاره فيها:

بدأ دخول الإسلام إلى إندونيسيا في نهاية القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي على يد التجار المسلمين، والدعاة، ورجال التصوف القادمين بشكل رئيسي من بلاد الهند، ومن جنوب الجزيرة العربية، وبشكل خاص دعاة وتجار عمان وحضرموت، وأسْرهم الذين حملوا عبء نشر الإسلام بطريقة سلمية حضارية في ربوع عديدة من إندونيسيا. ويوجد اليوم عدد كبير من الإندونيسيين الذين تعود أصولهم إلى حضرموت، ويسمّون بـ "حضارمة إندونيسيا".

ولم يأت القرن (السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي) حتى استقر الإسلام في إندونيسيا. وتمكن المسلمون في هذا القرن وما يليه من إقامة أكثر من إمارة مسلمة فيها، أولها كان في آتشه في شمال جزيرة سومطرة عام (١٢٩٧م) على يد السلطان مالك الصالح سلطان آتشه. وفي القرن (التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي) استطاعت سلطنة ملقا الإسلامية (ماليزيا) أن ترسخ الوجود الإسلامي في أكبر جزيرتين في إندونيسيا، سومطرة وجاوة.

وفي القرن (الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي) عمّ الإسلام في معظم جزرها على يد الدعاة والمتصوفة من السكان المحليين الذين آمنوا بالإسلام، واتخذوا منه منهج حياة، وأصبح دين الأغلبية الساحقة في إندونيسيا^(١).

(١) التاريخ الإسلامي، محمود شاكر، ط ٢ (بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤١٨هـ - / ١٩٩٧م)، (ص/ ٣٦٧-٣٧٥)؛ جغرافية العالم الإسلامي، دلال جوهر، (١/ ٥٠٦- ٥١٣)؛ الدعوة إلى الإسلام: بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية، توماس أرنولد، =

❖ ملحة عن تاريخ إندونيسيا :

وصل البرتغاليون إلى الجزر الإندونيسية في عام (١٥١٢م) بهدف السيطرة على تجارة التوابل الإندونيسية، واحتكار بيعها في أوروبا، وهو الأمر الذي جلب لهم الثروات الطائلة، لذلك انتبعت بقية القوى الاستعمارية الأوربية لأهمية إندونيسيا، ودخلت في حالة نزاع مع البرتغاليين للهيمنة على مقدرات إندونيسيا الاقتصادية، والاستفادة من موقعها الاستراتيجي الواقع بين أستراليا والهند والصين.

وكانت الغلبة في النهاية للهولنديين الذين بسطوا نفوذهم في إندونيسيا بادئ الأمر من خلال تأسيس "شركة الهند الشرقية الهولندية" عام (١٦٢٣م). وفي عام (١٧٩٩م) ألغت هولندا هذه الشركة، وأخضعت إندونيسيا لسيطرتها المباشرة، وأطلقت عليها اسم "جزر الهند الشرقية الهولندية".

وفي الحقيقة، فقد كانت السيطرة الهولندية خلال معظم هذه الفترة الاستعمارية مقتصرة على المناطق الساحلية، بينما كان النفوذ ضعيفاً داخل الجزر، لكن في أوائل القرن العشرين امتدت هيمنتها لتشمل كامل حدود إندونيسيا الحالية. وهنا يجب أن نشير إلى أن المسيحية دخلت إلى إندونيسيا في بداية القرن السابع الميلادي، ولكنها لم تنتشر إلا مع وصول القوى الاستعمارية الأوربية إليها في بداية القرن السادس عشر الميلادي، حيث تمكن المستعمرون، وبشكل خاص الهولنديون الذين استعمروا إندونيسيا مدة تزيد على ثلاثة قرون، من بناء الكنائس، والمراكز التبشيرية في كل أنحاء إندونيسيا.

وفي أثناء الحرب العالمية الثانية (١٩٤١م) احتلت القوات اليابانية إندونيسيا. وفي نهاية هذه الحرب في عام (١٩٤٥م) التي انتهت باستسلام اليابان استطاع

= ترجمة د. حسن إبراهيم حسن وآخرين، ط ٣ (القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٠م) (ص/٤٠١-٤٤٨).

الشعب الإندونيسي بعد قيامه بثورات عديدة ضد المستعمرين أن ينتزع حريته من الهولنديين، وعندها أعلن الإندونيسيون استقلالهم، وقيام أول حكومة وطنية في بلادهم بزعامة "سوكارنو". لكن هولندا لم تقبل بهذا الإعلان، وحاولت إعادة السيطرة عليها فجوبهت بكفاح شعبي مسلح وجهود دبلوماسية، استمرت حتى عام (١٩٤٩م) حيث أُجبرت هولندا على الاعتراف الرسمي باستقلال إندونيسيا. شكّل الإسلام منذ القرن (الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي) روح الهوية الوطنية للشعب الإندونيسي، وقام بقيادة جهوده في مقاومة الاستعمار الغربي، ولكن بعد حصول إندونيسيا على استقلالها اتفق الإندونيسيون بسبب تنوعهم الديني والعرقي واللغوي على "البانشاسيلا"، وهي كلمة إندونيسية تعني المبادئ الخمسة، وهي:

١ - الإيمان بالوحدانية الإلهية.

٢ - الإنسانية العادلة المتحضرة.

٣ - وحدة الأمة الإندونيسية.

٤ - الديمقراطية الموجهة.

٥ - العدالة الاجتماعية.

واعتبروا هذه المبادئ بمثابة المرجعية الوطنية الجامعة لكل الشعب الإندونيسي الذي يتألف من حوالي (٣٠٠) مجموعة عرقية، وأكثر من (٧٠٠) لغة محلية كما أشرنا إلى ذلك من قبل.

ورفعوا شعار "الوحدة في التنوع" ليحافظوا على النسيج الوطني المتماسك للشعب الإندونيسي الواحد، وليحولوا عناصر الاختلاف والتغاير بينهم إلى عناصر ثراء وقوة لهم جميعاً.

في الستينات من القرن الماضي استغلت إرساليات التبشير الأوربية، الموجودة أصلاً من أيام الاحتلال الهولندي (من القرن السابع عشر إلى منتصف القرن العشرين الميلادي)، سيادة روح الحرية والتسامح الديني لدى الشعب،

والحكومة الإندونيسية، فقامت وما زالت تقوم بجهود كثيفة لتنصير المسلمين وغير المسلمين، وقامت ببناء آلاف الكنائس، والمؤسسات التبشيرية الجديدة التي تعمل بنشاط في معظم أرجاء إندونيسيا، وبشكل خاص في المناطق الريفية الفقيرة، وفي الجزر البعيدة المحرومة من التنمية والازدهار الاقتصادي.

وفي مقابل هذه الحركات التبشيرية ظهرت مجموعة من الشخصيات والمؤسسات الإسلامية التي وقفت بصرامة في وجهها، وحاولت إعادة الاعتبار للهوية الإسلامية السمحة للشعب الإندونيسي.

شهدت إندونيسيا في عقد الثمانينات والتسعينات نمواً اقتصادياً وصناعياً كبيراً من خلال التعاون الوثيق مع اليابان، إلا أنها تعرضت في عام (١٩٩٧م) لأزمة مالية كبرى أدت إلى انهيار اقتصادي بسبب استنزاف ظاهرة الفساد المالي والإداري في داخلها، وبسبب التأمر الدولي عليها من الخارج حتى لا تنهض وتصبح دولة صناعية مزدهرة، وخصوصاً أنها بدأت بتصنيع الطائرات، والمعدات الصناعية، والحربية الثقيلة.

ولكن الشعب الإندونيسي استطاع في السنوات التالية للأزمة أن يتماسك، وأن يستعيد بشكل تدريجي عافيته الاقتصادية، وأن يستعيد شيئاً لا بأس به من حيويته التجارية والصناعية.

والاقتصاد الإندونيسي اليوم هو الاقتصاد الثامن عشر عالمياً من حيث الناتج المحلي الإجمالي، والخامس عشر من حيث القوة الشرائية، ولكنه حتى اليوم لم يستعد كامل قوته التي كان يمتلكها قبل حدوث الأزمة المالية^(١).

(١) التاريخ الإسلامي، محمود شاكر، (ص/٣٧٥-٣٩٤).

❖ المؤسسات العلمية الإسلامية، وأبرز العلماء في إندونيسيا :

سافر الكثير من الشباب الإندونيسي منذ القرن التاسع عشر، وحتى اليوم لتلقي العلم في حواضر العلم الإسلامي في بلاد حواضر العلوم الإسلامية، وبشكل خاص في بلاد الحرمين ومصر حيث الجامع الأزهر الشريف، وإلى بلاد الشام المعروفة بمؤسساتها العلمية الإسلامية العريقة، ومن ثم عادوا إلى بلادهم، ونشروا فيها العلوم الإسلامية، وقاموا بتنقية الإسلام من العناصر غير الإسلامية، وبخاصة الهندوسية والبوذية والوثنية، التي تسلفت إلى بعض عقول المسلمين، وسلوكهم الشخصي من خلال اختلاط هؤلاء المسلمين مع غيرهم من أبناء الديانات الأخرى. وقاموا بتأسيس الكثير من المؤسسات الدينية والتعليمية التي ترعى شؤون الدعوة والعلوم الشرعية في كافة أرجاء إندونيسيا.

تم إنشاء أول جامعة إسلامية في عام (١٩٤٦م) في العاصمة جاكرتا، وأطلق عليها أولاً اسم "المدرسة الإسلامية العليا"، ثم اسم "الجامعة الإسلامية الإندونيسية"، ثم أصبحت في عام (١٩٥٧م) بعد أن تم تطويرها وتحديث برامجها التعليمية والبحثية، تحمل اسم "جامعة شريف هداية الله الإسلامية الحكومية".

ثم توالى إنشاء الجامعات حتى بلغ عددها أكثر من خمسين جامعة حكومية (منها الجامعة الإسلامية الحكومية مولانا مالك إبراهيم في مالانغ)، ومئات الجامعات والكليات والمعاهد العالية الخاصة (نذكر منها على سبيل المثال: جامعة النور الجديد الإسلامية، جامعة السنة الإسلامية، معهد العلوم الإسلامية والعربية في إندونيسيا، جامعة دار النجاة الإسلامية في جاكرتا، الجامعة المحمدية في مالانغ).

من أبرز العلماء الإندونيسيين في العصر الحديث محمد ناصر (ت: ١٩٩٣م) ابن جزيرة سومطرة حيث تربى في بيت صلاح وتقوى، فقد كان والده من كبار

علماء المسلمين بإندونيسيا. وقد جمع محمد ناصر بين الدراستين الدينية والعامة حتى نال الإجازة من كلية التربية في جامعة باندونغ.

كان محمد ناصر من رجال السياسة المحنكين، ومن الدعاة والمفكرين البارزين، وكان يرى أن العودة إلى الدين الإسلامي، وتراثه العلمي والفكري والروحي ضمانة موثوقة لوصول المجتمعات الإسلامية إلى التقدم والازدهار المنشود في كل الميادين.

وقد وقف هذا الرجل بكل حزم في وجه الإرساليات التبشيرية فضلاً عن مقاومته لكل أشكال التسلط الأوربي على بلاده. واهتم بالتعليم العالي الإسلامي، وله دور بارز في قيام الجامعات الإسلامية الخاصة في إندونيسيا منها: "جامعة سومطرة الشمالية الإسلامية"، و"جامعة ابن خلدون"، و"جامعة المسلمين الإندونيسية"، و"جامعة باندونغ الإسلامية"، و"معهد محمد ناصر العالي للعلوم الدعوية"، و"جامعة الأزهر الإندونيسية".

وبذل جهوداً حثيثة في ميدان الدعوة الإسلامية، حيث أنشأ المساجد والمراكز الإسلامية والمدارس، ونشر الكتب والمجلات والنشرات الدعوية.

ومن أبرز العلماء والدعاة والأدباء والمؤرخين ورجال الصحافة الإندونيسيين المعاصرين الحاج عبد المالك عبد الكريم أمر الله المعروف اختصاراً بـ "حمكا" (١٩٠٨ - ١٩٨١م)، الذي يعد من الرواد البارزين لتيار الإصلاح والتجديد الإسلامي في إندونيسيا. ويمكن النظر إليه اليوم، بسبب نشاطاته الدينية والدعوية، ومؤلفاته المتنوعة الكثيرة، وجهوده في مجال الصحافة الإسلامية على أنه أهم شخصية إسلامية في إندونيسيا وماليزيا وسنغافورة في العصر الحديث.

ولد الشيخ "حمكا" في سومطرة الغربية، وهو ينتمي إلى أسرة دينية علمية عريقة، وكان والده أحد أبرز علماء الشريعة في إندونيسيا.

تلقى العلم في إندونيسيا وبشكل خاص في المدارس التابعة لجمعية "المحمدية"، وفي مكة المكرمة حيث أتقن اللغة العربية، وتوسع في دراسة آدابها. وبعد عودته إلى وطنه نشر عدداً من الكتب الأدبية والتاريخية والاجتماعية الإسلامية، وعمل في مجال الصحافة الإسلامية، وكان علماً بارزاً في تاريخ الصحافة الإسلامية في إندونيسيا حيث أشرف على تحرير عدد من أشهر الصحف الإسلامية، وشارك في الكتابة في عدد آخر منها. وكانت له مشاركة كبيرة ومؤثرة في العمل الوطني في سبيل استقلال إندونيسيا. كما كان له دور كبير في اعتناق عدد كبير من الصينيين للإسلام، وكان يعد "أبا روحياً" لهؤلاء المسلمين الجدد. ترك كتباً كثيرة تزيد على (١٠٠) كتاب، نذكر منها: "رواية في ظلال الكعبة"، و"التصوف الحديث"، و"ميدان الأخلاق"، و"فلسفة الحياة"، و"تاريخ العالم الإسلامي".

ولكن أهم كتبه على الإطلاق هو تفسيره الكبير (في ٣٠ جزءاً) الموسوم بـ "تفسير الأزهر"، وهو أهم تفسير في شبه جزيرة الملايو حتى اليوم، وقد عالج في هذا التفسير، فضلاً عن بيان معاني القرآن الكريم وإيضاحها، أهم القضايا والمشكلات الدينية والاجتماعية والوطنية التي يعاني منها المسلمون في إندونيسيا (مثل التنصير، الوحدة الوطنية، قضايا المرأة والأسرة)، في ضوء الهدى القرآني ومقاصده الحكيمة، وأبدى في هذا التفسير بشكل خاص، وفي كتبه ومقالاته الأخرى، وفي أنشطته بشكل عام عناية كبيرة واهتماماً بالغاً بالدفاع عن الفقراء والمساكين، وأصحاب المعاناة من الناس، وبيان حقوقهم والدفاع عن كرامتهم والدعوة إلى رفع معاناتهم، وتأمين متطلبات الحياة الكريمة لهم كما أمر بذلك

الإسلام وحضّ المؤمنين على فعله، وعنّف كل من يقصّر في هذا الواجب الإسلامي الأصيل^(١).

❖ أبرز الجمعيات الدعوية والاجتماعية الإسلامية في إندونيسيا :

أما أهم الجمعيات الدينية والدعوية والاجتماعية الإسلامية التي نشأت في إندونيسيا في العصر الحديث فهي :

■ جمعية المحمديّة : جمعية إسلامية أسسها الشيخ الحاج أحمد دحلان (ت ١٩٢٣م) في جزيرة جاوة في عام (١٩١٢م).

تلقى الشيخ دحلان علومه الشرعية واللغوية في إندونيسيا، وفي مكة المكرمة التي أقام فيها عدة سنوات، وسافر إلى مصر والتقى بالشيخين محمد عبده ومحمد رشيد رضا، وتأثر بدعوتيهما الإصلاحية التي كانت تدعو المسلمين إلى استئناف دورهم الحضاري والتاريخي من خلال تجديد مناهج دراسة علوم الشريعة واللغة العربية وأساليب التأليف فيهما، والتفاعل الجاد مع مشاكل وأزمات الأمة الإسلامية، والعمل على إنجاز نهضتها في كل المجالات، والانفتاح على

(1) The Oxford Encyclopedia of The Modern Islamic World, ed, John L. Esposito, Oxford university press, 1995, 2/96_97.

لمعرفة مدى عناية القرآن الكريم بالأيتام والفقراء المساكين نكتفي بالقول بأن الله تعالى قد أنزل في بداية الرسالة والدعوة الإسلامية سورة الماعون التي جعل فيها من يكذب بالدين (الجزء والحساب) هو الذي يهين اليتيم ولا يحض الناس على إطعام المسكين ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ ۚ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ۚ وَلَا يُحِضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ۚ ﴾ [الماعون: ١ - ٣]. وقد زاد هذا المعنى وضوحاً في سورة الفجر عندما قال سبحانه وتعالى في سياق حجاجه مع كفار مكة ﴿ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ ۖ وَنَعَّمَهُ ۖ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ۚ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ ۖ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ۚ كَلَّا بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ ۚ وَلَا تَحْضُونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ۚ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ۚ وَتُحِبُّونَ أَمْوَالَ حُبًّا جَمًّا ۚ ﴾ [الفجر: ١٥ - ٢٠].

المكتسبات العلمية والحضارية للعصر الحديثة دون الذوبان فيها، واعتماد الأساليب السلمية والمتحضرة في الدعوة إلى الله، والدفاع عن مصالح المسلمين، والحفاظ على حقوقهم.

والجمعية المحمدية تشكّل إلى جانب جمعية "نهضة العلماء" أكبر الجمعيات الإسلامية الدينية والتربوية والاجتماعية العاملة في إندونيسيا. وتعدّ اليوم أكبر وأهم جمعية إسلامية ذات توجه إصلاحى في عموم جنوب شرق آسيا.

ظهرت هذه الجمعية في حقبة الاستعمار الهولندي للحدّ من هيمنته على مرافق وبنية المجتمع الإندونيسي، وللتصدي لمشروع التغريب الفكرى والحضارى الذى كانت ترعاه سلطة الاستعمار الهولندي في إندونيسيا.

أسست هذه الجمعية مئات الفروع التابعة لها التى ينتمى إليها ملايين الأعضاء. وأنشأت كذلك مئات مراكز الدعوة، والعيادات ودور رعاية الأيتام، وأماكن ومؤسسات إيواء ومساعدة الفقراء، والمشافي، واتحادات العمال للدفاع عن حقوق العمال ومصالحهم، والتعاونيات الفلاحية، والمصانع، والمدارس والمعاهد التعليمية. وقد أسست لجاناً دعوية، وفقهية، وقانونية، وسياسية، ولجاناً للدفاع عن حقوق المرأة، ولجاناً للشباب ولجاناً تربوية، ودور نشر ومكتبات، ومؤسسات للتوثيق والأرشفة، ومؤسسات للرعاية الصحية والاجتماعية، وهيئات للتطوير الاقتصادى والإدارى.

ومن أبرز النشاطات التى قامت بها هذه الجمعية هو تأسيس شيخها أحمد دحلان منذ عام (١٩١٤م) فرعاً نسائياً لجمعيتها، يحمل اسم (العائشية) نسبةً لأم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها. حرص الشيخ دحلان من خلال هذا الفرع على نشر الدعوة بين نساء إندونيسيا، وتعليمهن الإسلام، وتزويديهن بالأخلاق

والآداب والعلوم والمعارف والآداب والمهارات التي تساعدن على الالتزام بدينهن وخدمة وتطوير مجتمعهن في ضوء القيم والتعاليم الإسلامية الرشيدة^(١). والجمعية المحمدية اليوم كما قال سكرتيرها العام أثناء زيارة شيخ الأزهر أحمد الطيب لها في عام (٢٠١٨م): "لديها (١٧٢) جامعة تمتد من شرق إندونيسيا إلى غربها، و(٢٣٠) معهداً إسلامياً، وتدير (٤٠٠) مستشفى، إضافة إلى (٢٠) ألف مدرسة، يدرس بها نحو ١٠٪ من طلاب إندونيسيا، ونحو ٧٠٪ من طلاب هذه المدارس في شرق إندونيسيا من غير المسلمين"^(٢).

■ جمعية نهضة العلماء: إحدى أكبر الجمعيات الاجتماعية الإسلامية في إندونيسيا في العصر الحديث. وتعدّ أكبر جمعية إسلامية رسمية في العالم. تأسست في عام (١٩٢٦م) في جزيرة جاوة، على يد الشيخين هاشم أشعري (ت ١٩٤٧م)، وعبد الوهاب حسب الله (ت ١٩٧١م)، وهي تمثل روح التضامن والتكافل الإسلامي في إندونيسيا في أنصع صورهما. وقد ترأس هذه الجمعية الأستاذ عبد الرحمن وحيد (ت ٢٠٠٩م) - وهو حفيد الشيخ هاشم أشعري - من عام (١٩٨٤م) إلى حين انتخابه بوصفه أول رئيس إندونيسي منتخب ديمقراطياً في عام (١٩٩٩م) إلى عام (٢٠٠١م). أبرز نشاطات هذه الجمعية: إنشاء وإدارة المدارس والمعاهد الشرعية (pesantren) التي تؤمن الإقامة والسكن الداخلي لطلابها، وتقوم بتأمين كل متطلبات الإقامة والدراسة لهم، وتحرص على تعليمهم كافة العلوم الإسلامية من

(1) The Oxford Encyclopedia of The Modern Islamic World, 2/197-203, 3/168169, 217-223.

(٢) "الجمعية المحمدية" بإندونيسيا: أفكار محمد عبده ساهمت في تتبع المنهج الوسطي"، محمود الجلال، موقع بوابة "الفجر الإلكترونية" في شبكة الإنترنت، الأربعاء ٢/مايو/٢٠١٨.

كتب العلماء المتقدمين المدونة باللغة العربية تحت رعاية وإدارة شيخ المعهد الذي يعدّ بالنسبة لطلاب المعهد أبا ومرشداً روحياً لهم بالإضافة إلى قيمته العلمية. وعدد المعاهد التي أسستها هذه الجمعية يزيد اليوم على ستة آلاف معهد منتشرين في كل أرجاء إندونيسيا، يدرس فيها أكثر من مليون طالب. وأشهر هذه المعاهد موجود في شرق جزيرة جاوة ووسطها.

ويزيد عدد أعضاء هذه الجمعية ومناصريها اليوم على أربعين مليون إنسان، وهذا العدد الضخم يدل دلالة واضحة على رسوخ الإسلام في المجتمع الإندونيسي، وعلى إقبال الكثير من أبنائه على دراسة العلوم الإسلامية واللغة العربية.

جاء في ميثاق تأسيس هذه الجمعية في عام (١٩٢٦م) أنها تسعى إلى تحقيق الأهداف الآتية: تحسين العلاقات بين علماء الإسلام في إندونيسيا، مراجعة المناهج التعليمية والكتب المدرسية الشرعية، والدعوة إلى الإسلام ونشره في كافة ربوع إندونيسيا، وتأسيس المدارس والمعاهد الشرعية، والإشراف على شؤون المساجد، وبناء أماكن إقامة وسكن الطلبة، والعناية بالأيتام والفقراء والمساكين، وتطوير مؤسسات إسلامية تقوم بتطوير الزراعة والتجارة والصناعة. وللجمعية دور كبير في جمع الزكاة والصدقات وتوزيعها.

وبالإضافة إلى هذه الأهداف فإن الجمعية تحضّ على التعايش السلمي بين الأعراق المختلفة، والحوار والتعاون بين الأديان والمعتقدات المختلفة في كل القضايا التي تخدم الوطن الواحد.

وبكلمة موجزة فإنه يمكن القول بأن هذه الجمعية مع شقيقتها الجمعية "المحمدية" تشكلان وجهاً علمياً وحضارياً راقياً للإسلام ودوره الفذ في إندونيسيا بخاصة، وفي جنوب شرق آسيا بعامة.

❖ أهم التحديات التي تواجه المسلمين في إندونيسيا :

تواجه إندونيسيا اليوم العديد من المشكلات ، منها :

١. تعاني إندونيسيا من بعض التحديات الطبيعية ، مثل : الأعاصير الموسمية ، وموجات المدّ التسونامي التي كان آخرها في عام (٢٠٠٤م) ، والذي أدى إلى دمار شديد وخسائر هائلة في الأرواح والممتلكات والمرافق العامة ، وكذلك مواسم دورية من الجفاف في بعض الأماكن ، والزلازل ، والبراكين النشطة.
٢. ضعف الإنتاج مقارنة بالإمكانات الطبيعية ، والمساحات الهائلة ، والأعداد الكبيرة من السكان.
٣. ارتفاع نسبة الأمية والبطالة ، وازدياد الفقر وانخفاض مستوى المعيشة. وهنا نشير بشكل خاص إلى هيمنة الأقلية الصينية التي لا تزيد على (٢٪) من مجموع الشعب ، على مقدّرات إندونيسيا الاقتصادية ، وبالتالي حرمان بقية الشعب الإندونيسي من التمتع والاستفادة العادلة من ثمرات هذه المقدّرات.
٤. تعاني إندونيسيا من مطالبة سكان بعض الجزر والأقاليم مثل آتشه ، وأمبون ، وكاليمنتان ، وإيربان الغربية بالاستقلال على غرار تيمور الشرقية.
٥. ازدياد نشاط حركات التبشير المسيحي المزوّدة بكل القدرات المالية والتنظيمية الضخمة ، فهي تمتلك على سبيل المثال قنوات تليفزيونية ، وعشرات الصحف والمجلات ، فضلاً عن عشرات المؤسسات التعليمية والطبية والاجتماعية التي تجتذب الكثير من المسلمين وغيرهم من مواطني إندونيسيا البسطاء ، وتأخذ بأيدي من يتعاون منهم معها للوصول إلى أعلى المناصب والمراكز في الحكومة والمؤسسات الرسمية ، فضلاً عن تعزيز مواقعهم ودورهم في المجتمع الإندونيسي بشكل عام.
٦. هيمنة المناهج الهولندية على مناهج التعليم الحكومي في الجامعات والمدارس ، وهذه المناهج تسعى لعزل الشعب الإندونيسي عن هويته

الحضارية الإسلامية، وارتباطه المصيري بأبناء وهموم أمته في أنحاء العالم الإسلامي^(١).



(١) جغرافية العالم الإسلامي، دلال جوهر، (١/٥٢٤)؛ أطلس دول العالم الإسلامي، شوقي أبو خليل، (ص/١٠٥)؛ جغرافية العالم الإسلامي، رياض الجبان، (ص/٢٣٠-٢٣١)؛ موسوعة العالم، (ص/١٤٥).

Encyclopedia of Islam. Juan E. Campo, 358

المبحث الرابع: المسلمون في ماليزيا

■ الموقع: تقع ماليزيا في جنوب شرق آسيا، ويحدّها من الشمال تايلاند، ومن الغرب والجنوب الغربي، والجنوب إندونيسيا، ومن الشرق بحر الصين الجنوبي. تتمتع ماليزيا بموقع استراتيجي مهم بالنسبة للملاحة البحرية والجوية فيما بين أوروبا ودول الشرق الأقصى.

تتألف ماليزيا من منطقتين كبيرتين، المنطقة الأولى: الجزء الجنوبي من شبه جزيرة الملايو، وتدعى ماليزيا الغربية، والمنطقة الثانية تضم شمالي جزيرة بورنيو/كاليمنتان، وتشمل إقليمي صباح وسرواك، وتدعى ماليزيا الشرقية، ويفصل بينهما بحر الصين الجنوبي بمسافة تقدر بـ (٦٥٠ كم). وتبلغ مساحة ماليزيا الكلية (٦٣٢, ٣٣٢ كم^٢).

■ العاصمة: كوالالمبور: تقع في شبه جزيرة الملايو/ماليزيا الغربية، يطلق عليها على اسم "مدينة الحدائق" بسبب كثرة جمال الحدائق الطبيعية والاصطناعية الخلابة فيها، وقد أُقيم في ضواحيها مدينة إسلامية للجمالية الصينية المسلمة فيها، وأنشئ في ضواحيها أيضا مقر الحكومة الاتحادية، والعاصمة الإدارية الجديدة المعروفة بـ "بوتراجايا"، وهي مدينة فائقة الجمال ومتطورة جداً، تضاهي أحدث المدن والعواصم الإدارية في العالم.

■ أهم مدن ماليزيا بعد كوالالمبور مدينة ملّقا، وهي ميناء هام يقع على مضيق ملقا الاستراتيجي، وهي مدينة أثرية تاريخية يعود بناؤها إلى القرن الخامس عشر الميلادي، وهي تضم عدداً من المساجد والأبنية والقلاع والمعالم التاريخية العريقة، كما تضم متحفاً ثقافياً. وقد احتضنت عبر تاريخها عدداً من الإمارات

الإسلامية التي ساهمت في نشر الإسلام وترسيخه في عالم الملايو، وهي اليوم مدينة حديثة متطورة على غرار باقي المدن في ماليزيا^(١).

❖ السياسة والاقتصاد والسكان:

ماليزيا اليوم دولة اتحادية ذات نظام ملكي دستوري، ديمقراطي برلماني. وتتألف من الناحية الإدارية من ثلاث عشرة ولاية منها: كلاتان، ترينغانو، سلاغور، جوهور، قدح، صباح، سراك. تُعدّ ماليزيا ثالث أكبر منتج للقصدير في العالم بعد البرازيل وإندونيسيا، كما تنتج الحديد الخام والنحاس والنيكل والذهب. وفيها كميات وفيرة من الفحم والنفط والغاز الطبيعي. وهي تصدر النفط والغاز الطبيعي والخشب المصنّع والمطاط.

يبلغ عدد سكان ماليزيا اليوم حوالي (٣٣) مليون نسمة، تصل نسبة المسلمين منهم إلى حوالي (٦٩٪)، ونسبة البوذيين إلى (٢٠٪)، والبقية من المسيحيين، والهندوس، والوثنيين.

■ اللغة الرسمية فيها هي لغة البهاسا ملايو/ الماليزية التي كانت تُكتب بالحروف العربية، وهي اليوم تُكتب بالحروف اللاتينية. وتُستخدم فيها اللغة الإنكليزية على نطاق واسع، وبخاصة في الدوائر الرسمية وفي التعليم العالي. كما تُستخدم فيها لغات أخرى عديدة على رأسها اللغة الصينية لغة الأقلية الصينية الكبيرة الموجودة فيها. وفي ماليزيا اهتمام خاص بتعليم اللغة العربية والتحدث بها أيضاً^(٢).

(١) جغرافية العالم الإسلامي، رياض الجبان، (ص/٢٣٥-٢٥٠).

(٢) جغرافية العالم الإسلامي، دلال جوهر، (١/٤٧١-٤٨٨).

❖ دخول الإسلام إلى ماليزيا، وانتشاره فيها:

وصل الإسلام إلى ماليزيا تدريجياً، وبشكل فردي بين القرنين (السادس والثامن الهجريين/ الثاني عشر والرابع عشر الميلاديين)، وقد لعب التجار، والدعاة، والمتصوفة العرب، والهنود الدور الأكبر في نشر الإسلام فيها. وفي بداية التاسع الهجري/القرن الخامس عشر الميلادي أسلم أمير "ملقا"، "ميجات إسكندر شاه"، واتخذ لنفسه لقب السلطان، وكان إسلامه خطوة كبيرة في انتشار الإسلام في سلطنته، وفي عموم بلاد الملايو.

ومن ثم توالى تأسيس السلطنات الإسلامية فيها خلال القرون التي قامت بواجب الدفاع عن مصالح أبنائها، ورعاية الحياة الدينية والعلمية فيها (نذكر على سبيل المثال السلطنات المسلمة في ولايات جوهور/ريو، وكلانتان، وترينغانو)، وعم الإسلام معظم أرجائها، وأصبح دين الأغلبية والدين الرسمي للولايات فيها. وتجدر الإشارة إلى أنه كان لشخصية الإمام أبي حامد الغزالي ومنهجه في التفكير الجامع بين الفقه والتصوف وعلم الكلام أثر كبير في تكوين الشخصية الإسلامية الماليزية، وبناء الحياة الدينية والعلمية فيها.

دخل البرتغاليون ماليزيا عام (٩١٧هـ/١٥١١م)، واحتلوا ميناء "ملقا"، ومنه حاولوا مد نفوذهم إلى داخل ماليزيا، وعاملوا سكانها بكل وحشية وهمجية، لكن السكان قاوموهم بكل بسالة، ولم يتركوا لهم فرصة للاستقرار في داخل بلادهم، حيث اكتفى البرتغاليون بالسيطرة على مدينة ملقا ومينائها.

وفي عام (١٦٤١م) تمكن الهولنديون من الحلول محل الاستعمار البرتغالي. وفي عام (١٧٨٦م) بدأ الإنكليز باحتلال ماليزيا، وبسطوا كامل سلطتهم عليها، وضموها إلى نطاق إمبراطوريتهم الاستعمارية في عام (١٨٧٤م)، وفي أثناء فترة حكمهم الطويلة استقدموا أعداداً هائلة من الصينيين، والهنود للعمل في المزارع

الماليزية، فضلاً عن المناجم والمصانع والموانئ، لذلك يشكّل الصينيون اليوم نسبةً تصل إلى حوالي (٢٣٪) من عموم الشعب الماليزي، بينما تصل نسبة الهنود إلى حوالي (٧٪).

لكن هذا التعدّد العرقي لم يشكّل لدولة ماليزيا مشكلةً بسبب اعتمادها سياسة التعاون المشترك بين جميع الأعراق والطوائف الدينية في سبيل تحقيق المصالح الوطنية العليا، التي تعود فائدتها على الجميع، مع إطلاق حرية التدين والاعتقاد للجميع.

حصلت ماليزيا على استقلالها من بريطانيا في عام (١٩٥٧م)، وكانت تتألف آنذاك فقط من المنطقة الموجودة في شبه جزيرة الملايو، وفي عام (١٩٦٣م) انضمت ولايتا صباح وسرواك في جزيرة بورنيو، وسنغافورة إلى الاتحاد الماليزي، وكونوا جميعاً ماليزيا الاتحادية، ولكن سنغافورة انفصلت عن هذا الاتحاد في منتصف عام (١٩٦٥م)^(١).

❖ المسلمون في ماليزيا اليوم:

عاشت ماليزيا منذ استقلالها تجربةً فريدةً في التنمية السياسية، والاجتماعية والاقتصادية والتربوية، والعلمية، استوحت عناصرها من الرؤية الإسلامية الأصيلة الداعية إلى التمسك بالقيم الدينية والأخلاقية المحفزة على العمل، والإنتاج، والتقدم، والاعتماد على الذات، وتكافؤ الفرص، والمساواة في الحقوق والواجبات، والابتعاد عن هدر طاقات الناس في مشكلات وهمية، وأزمات مفتعلة، وتقديم المصالح العامة على المصالح الخاصة.

(١) جغرافية العالم الإسلامي، دلال جوهر، (١/٤٧٨-٤٨٣)؛ أطلس دول العالم الإسلامي، شوقي أبو خليل، (ص/١٠٥)؛ موسوعة العالم، (ص/١٤٥).

تمكّنت ماليزيا، بسبب هذه التجربة، من القضاء، بشكل ملحوظ، على الفقر والبطالة والفساد، وحفّزت الطاقات الإبداعية والإنتاجية للشعب الماليزي، وانتقلت من بلد زراعي، ومصدر للمواد الأولية البسيطة إلى بلد زاهر بالتقدم العمراني والحضاري، ومصدر للسلع الصناعية والتقنية الحديثة، وبخاصة في مجال الصناعات الكهربائية والالكترونية.

واحتلت ماليزيا بموجب تقرير البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة لعام (٢٠٠١م) المرتبة التاسعة بين الدول المصدرة للتقنية العالية، متقدمة على بعض الدول الأوروبية مثل إيطاليا والسويد. وتبلغ نسبة الصادرات من السلع المصنعة حوالي ٨٥٪ من كامل الصادرات الماليزية. وقد أُقيم في ماليزيا مفاعل نووي يُستخدم في الأغراض السلمية في توليد الطاقة والزراعة والصناعة والطب.

وقد كان رئيس وزراء ماليزيا الحالي "مهاتير محمد" (المولود في عام ١٩٢٥م) (١٩٨١-٢٠٠٣م؛ ٢٠١٨- وإلى الآن ٢٠٢٠م) هو المنظر الأبرز لهذه التجربة التنموية الفريدة التي جعلت ماليزيا الدولة الصناعية الأولى في العالم الإسلامي، والنموذج التنموي الرائد لكل الدول الإسلامية^(١).

وهو صاحب فكرة ومشروع صبغ المجتمع الماليزي بالصبغة الإسلامية الحضارية في كافة مجالات حياته، وقد عمل على إصلاح الأنظمة التعليمية والإدارية والقانونية والاقتصادية والاجتماعية من خلال إدراج القيم والرؤى الإسلامية في بنيتها الأساسية، وقد دعا إلى التفوق والتميز في المجال المعرفي، وتبني اقتصاد المعرفة، ومأسسة العمل الإسلامي في كافة المجالات، وقد عمل على ترسيخ العدالة الاجتماعية، وحماية حقوق غير المسلمين في ماليزيا.

(١) التجربة التنموية في ماليزيا من العام ٢٠٠٠ - ٢٠١٠م، الدكتوراة نادية فاضل عباس فضلي، مجلة دراسات دولية، العدد الرابع والخمسون، (ص/١٥٥-١٨٨).

من أبرز أعماله إنشاء أول بنك إسلامي في ماليزيا، والمؤسسة الإسلامية للتأمين، وتأسيس الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا في عام (١٩٨٣م)، والمعهد العالمي للفكر والحضارة الإسلامية في عام (١٩٨٧م)، ومعهد التفاهم الإسلامي في عام (١٩٩٢م)، ودعم الصناعات في ماليزيا وبخاصة في قطاع السيارات، والصناعات النفطية^(١).

❖ المؤسسات العلمية والدينية في ماليزيا:

لقد شكّل الإسلام، ولا يزال العمودَ الفقري للتجربة النهضوية والتنمية الشاملة التي شهدتها ماليزيا في العصر الحديث، لذلك نجد أن تعليم الإسلام وعلومه ركن أساسي في صلب النظام التربوي، والتعليمي الرسمي والخاص. ويظهر الشعب الماليزي إقبالا واسعا على تعلم اللغة العربية بوصفها الطريق اللازم لدراسة الإسلام، والتشبع من علومه.

وقد رعت الحكومة الماليزية بناء عدد كبير من المؤسسات التعليمية، والتربوية المتخصصة بتدريس الشريعة بكافة علومها، وتأهيل العلماء والدعاة والباحثين في كل المجالات العلمية والفكرية والدعوية. نذكر من بين هذه المؤسسات:

- كلية الدراسات الإسلامية: في الجامعة الوطنية الماليزية، وهي أول كلية للدراسات الإسلامية أنشئت في ماليزيا، في عام (١٩٧٠م)، وقد قامت بتأهيل الكوادر العلمية والدعوية والتربوية الإسلامية الوطنية الذين انتشروا في كافة وجوه الأنشطة الدينية والعلمية والمدنية الماليزية.
- أكاديمية الدراسات الإسلامية: التابعة لجامعة ملايا التي تُعد من أهم وأبرز الجامعات على المستوى العالمي حيث جاءت في المرتبة (٨٧) في التصنيف العالمي للجامعات في عام (٢٠١٩م).

(1) The Oxford Encyclopedia of the Modern Islamic World, 3/35-38.

■ جامعة العلوم الإسلامية الوطنية الماليزية: وهي جامعة حكومية رائدة تغطي كافة مجالات التعليم والبحث والتأهيل والتربية الإسلامية.

■ الجامعة الإسلامية العالمية/ماليزيا: تأسست في ضاحية غومباك في شمالي العاصمة كوالالمبور، في مستهل القرن الخامس عشر الهجري، وبالتحديد في عام (١٩٨٣م)، بمبادرة من رئيس الوزراء مهاتير محمد، ورعاية وتمويل من الحكومة الماليزية، وبمشاركة ودعم منظمة المؤتمر الإسلامي، وسبع دول إسلامية أخرى هي: المالديف، بنغلاديش، باكستان، تركيا، ليبيا، السعودية، مصر. وهي جامعة عالمية إذ يأتي إليها الطلاب من حوالي مائة دولة، ولا يقتصر القبول فيها على الطلاب المسلمين بل يشمل غير المسلمين أيضاً.

وتعدّ هذه الجامعة بحق إحدى منارات العلم والفكر الإسلامي في ماليزيا، والعالم الإسلامي بأكمله، لما تمتاز به من مناهج تعليمية متطورة، ومواكبة حقيقة للتقدم المعرفي الإنساني في كل المجالات العلمية.

شعار الجامعة هو: الجامعة حديقة المعرفة والفضيلة.

من بين أبرز أهداف هذه الجامعة كما جاء في ميثاق تأسيسها:

● استعادة الصدارة الإسلامية، بمعونة الله سبحانه، في كل حقول المعرفة، هذه الصدارة تأتي متسقة ومنسجمة مع التراث الإسلامي الباحث عن المعرفة والحقيقة، كما يتجلى في الأعمال الريادية للعلماء والمفكرين المسلمين الأوائل، التي بدأت مع تعاليم نبينا الكريم محمد ﷺ.

● إحياء النهج الإسلامي في التعليم حيث كان المسلمون يبحثون عن المعرفة وينشرونها تحقيقاً لعبودية الله سبحانه.

وفي ضوء هذين الهدفين فإن فلسفة الجامعة التعليمية تقوم على التكامل بين المعرفة الدينية والعلوم الكونية، والجمع بينهما، وعلى الاعتقاد بأن التعامل مع

المعرفة يجب أن يكون بوصفها عبادة دائمة لله سبحانه وتعالى ائتمارا بقوله تعالى في سورة العلق: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العلق: ١ - ٥] ، وأن البحث عن المعرفة المنضبطة والمسددة بالوحي هو من مقتضيات الأمانة (عمارة الأرض وفق شرع الله وإرادته) التي عرضها الله سبحانه على الإنسان في قوله سبحانه: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب: ٧٢].

لذلك فإن الدراسة في الجامعة لا تقتصر على دراسة العلوم الإسلامية بل تشمل أيضا دراسة شاملة ومعقدة ومتخصصة لكل فروع المعرفة الإنسانية بطريقة مشربة بالقيم الإسلامية وفلسفة المعرفة في الإسلام، التي تركز على المؤاخاة بين الوحي الإلهي والعقل الإنساني، وبين المادة والروح، وبين تحقيق مصالح البشر في الدنيا والآخرة على السواء.

وهكذا فإننا نجد في هذه الجامعة كليات كثيرة نذكر منها، كلية القانون، كلية الاقتصاد، كلية المعاملات المصرفية الإسلامية، كلية التربية، كلية تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وكلية الهندسة بأقسامها المختلفة، وكلية الطب والعلوم الصحية بأقسامها المختلفة، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية بأقسامها العديدة التي تغطي كل فروع الدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية والاجتماعية (معارف الوحي وعلوم التراث، علم النفس، التاريخ والحضارة، العلوم السياسية، الإعلام، الفلسفة، علم الاجتماع والأنثروبولوجيا)...

لغة الدراسة المعتمدة في الجامعة هي اللغة الإنكليزية، ويطلب من الطلاب أن يصلوا إلى مستوى متقدم في اللغة العربية، والاطلاع على أساسيات اللغة المالوية، ويدرس الطلاب في أقسام الشريعة واللغة العربية ومعارف الوحي،

مقرراتهم الرئيسية باللغة العربية مع إلزامهم بدراسة بعض المواد الفرعية باللغة الإنكليزية.

تشتهر هذه الجامعة بكثرة المعاهد، والمراكز العلمية، والمجلات البحثية والفكرية التابعة لها، من أهمها، "مركز البحوث العلمية"، و"مركز الدراسات التأسيسية"، و"مركز التعليم والتدريب المستمرين". و"المعهد العالمي للفكر والحضارة الإسلامية"، الذي يمنح درجة الدكتوراه في العديد من التخصصات العلمية الإسلامية. وتصدر الجامعة مجموعة من المجلات العلمية المحكمة منها: "التجديد"، و"الإسلام في آسيا"^(١).

❖ أهم التحديات التي تواجه ماليزيا اليوم:

١. تعاني ماليزيا من عدد من المشكلات الطبيعية منها: الفيضانات، والانهارات الأرضية، وحرائق الغابات، ومن تلوث الهواء الناتج عن الانبعاثات الصناعية وعوادم السيارات، ومن إزالة الغابات للأغراض الصناعية. وهذا ما دعا ماليزيا إلى التوقيع والدخول في عدد من الاتفاقيات الدولية للحفاظ على البيئة والتنوع البيولوجي، ومواجهة مشكلاتها البيئية.
٢. تحكّم الصينيين بمعظم القطاع الخاص والأعمال الحرة. ولكن الحكومة الماليزية تتجهّد في فتح المجالات الاقتصادية والصناعية أمام كل فئات الشعب الماليزي، وتسعى جاهدةً من أجل دمج الجميع في دورة الاقتصاد الوطني الماليزي.

(1) The Oxford Encyclopedia of the Modern Islamic World, 2/211-212.

The Oxford Dictionary of Islam, John Esposito, Oxford University press, 2003, p188.

موقع الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا في الانترنت : <http://www.iiu.edu.my>

٣. تعاني ماليزيا من تصاعد حركة التنصير والتبشير في ربوع البلاد مستفيدةً من مبدأ حرية الاعتقاد الذي يكفله الدستور^(١).



(١) جغرافية العالم الإسلامي، رياض الجبّان، (ص/٢٥٠-٢٥٣)؛ جغرافية العالم الإسلامي، دلال جوهر، (١/٤٨٩-٥٩١).

المبحث الخامس: المسلمون في روسيا الاتحادية

❖ موقع روسيا الاتحادية ومساحتها وسكانها:

تمتد روسيا في كامل شمال قارة آسيا، و(٤٠٪) من شمال أوروبا. تُعدّ أكبر دولة في العالم من حيث المساحة، حيث تزيد مساحتها على (١٧) مليون كم^٢.

وهي تاسع دولة في العالم من حيث عدد السكان، حيث يزيد عدد سكانها على (١٤٣) مليون نسمة.

وهي دولة اتحادية حيث تضم حالياً (٨٣) كياناً سياسياً يتمتع بالحكم الذاتي. وهي دولة متعددة الأعراق والقوميات، وهي كذلك متعددة الأديان، والطوائف الدينية.

❖ مرّت روسيا بأدوار تاريخية عديدة من أبرزها:

- الدور الأول: القيصرية الروسية : (١٥٤٧-١٩١٧م)، في هذه الحقبة تمدّدت روسيا على حساب الشعوب، والمناطق الإسلامية الموجودة في وسط آسيا، فضلاً عن ضمّها لبلاد شمال القوقاز، والمناطق المسلمة الموجودة في محيط نهر الفولغا وسيبيريا.
- الدور الثاني: الحقبة السوفيتية (١٩١٧ - ١٩٩١م).
- الدور الثالث: جمهورية روسيا الاتحادية: بدأ هذا الدور بعد تفكّك الاتحاد السوفيتي في عام (١٩٩١م)، وما زال ممتداً إلى الوقت الحالي.

❖ الإسلام في روسيا الاتحادية :

يحتل الإسلام وفق القانون الذي نظّم الحياة الدينية في روسيا في عام (١٩٩٧م) مرتبة الدين الثاني بعد المسيحية الأرثوذكسية. ومن هنا نفهم المكانة الكبيرة التي يتمتع بها الحضور الإسلامي في روسيا. عدد المسلمين في روسيا الاتحادية حوالي (٣٠) مليون مسلم، حيث تصل نسبة المسلمين إلى حوالي (٢٠٪) من مجموع عدد السكان، أي أنه من بين كل خمسة مواطنين روس يوجد بينهم مواطن روسي مسلم. ينتمي المسلمون الروس إلى أكثر من عشرين عرقية، أبرزها التتار، البشكيريون، القازاق، القوقازيون^(١). للمسلمين اليوم وجود واضح في كافة أنحاء جمهورية روسيا الاتحادية، لكنهم يتجمعون بشكل رئيسي في منطقتين رئيسيتين هما "حوض الفولغا وسيبيريا"، و"شمال القوقاز"، حيث كان لهم وجود تاريخي أصيل ما زال مستمراً وممتداً إلى اليوم.

❖ المنطقة الأولى التي يتجمع فيها المسلمون في روسيا هي :

حوض نهر الفولغا وسيبيريا

انتشر الإسلام في حوض نهر الفولغا^(٢) الذي يقع في وسط روسيا ابتداءً من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي على يد الدعاة والتجار المسلمين.

(١) انظر، الموسوعة العربية الميسرة: (١٦٨١/٣-١٦٨٤).

(٢) نهر الفولغا: أطول أنهار أوروبا وأغزرها، ويقع في قلب الجزء الغربي الأوروبي من روسيا.

ومن ثمّ ترسخ وجود الإسلام على يد التتار من القبيلة الذهبية عندما أسلم أميرها بركة خان في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، فأصبح حوض نهر الفولغا بأكمله مسلماً، وأصبحت مدينة السرا (ساراتوف) على ضفاف نهر الفولغا، والتي تبعد عن موسكو بحوالي (٨٥٨ كم)، مركز الوجود والنشاط الإسلامي فيه.

تضم هذه المنطقة اليوم عدة مقاطعات، وجمهوريتين اثنتين تتمتعان بالحكم الذاتي (جمهورية بشكيريا، وجمهورية تتارستان). وتوجد دائرة دينية واحدة لهذا القسم المسلم هي "الدائرة الدينية لمسلمي سيبيريا وروسيا الوسطى"، ومقر هذه الدائرة مدينة "أوفا" عاصمة جمهورية بشكيريا.

جمهورية بشكيريا

تعدّ بشكيريا أكبر جمهورية مسلمة في روسيا الاتحادية حيث تصل مساحتها إلى حوالي (١٤٣) ألف كلم^٢. عاصمتها "أوفا".

تصل نسبة المسلمين فيها إلى (٧٠٪). وصلها الإسلام في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي في عهد الخلافة العباسية، بفضل الدعاة، والتجار، والبعثات السياسية والدبلوماسية التي أرسلتها الدولة العباسية إلى هذه البلاد.

وقد ارتبط تاريخها منذ ذلك الوقت بالإسلام، وكان أحد أبنائها وهو علم الدين البشكيري نائباً للسلطان المملوكي (قلاوون) (ت ٦٨٩ هـ) في بلاد الشام. ضمّها القيصرية الروس إلى بلادهم في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي.

وتتمتع اليوم بالحكم الذاتي.

وتعدّ من أغنى الجمهوريات في روسيا الاتحادية بسبب ثرواتها الطبيعية، وعلى رأسها النفط.

جمهورية تتارستان

يرجع الوجود الإسلامي في تتارستان إلى القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي بسبب التجارة والرحلات التي قام بها المسلمون إلى هذه البلاد، ومن أشهرها رحلة أحمد بن فضلان، إلى روسيا في عام (٣١٠هـ - ٩٢٢م) في عهد الخليفة العباسي المقتدر بالله.

وقد أسّس التتار دولة مستقلة فيها حتى سقطت في عام (١٥٥٢م) في يدي القيصر الروسي إيفان الرهيب (ت ١٥٨٤م). وعاصمتها قازان تُعدّ ثالث أكبر مدينة في روسيا بعد موسكو، وسانت بطرسبورغ.

تصل مساحة تتارستان إلى حوالي (٧٠) ألف كم^٢. وقد شهدت نهضة إسلامية في مستهل القرن العشرين، حيث كان فيها منذ ذلك التاريخ مطابع عربية، ومكتبات إسلامية مزدهرة. وهي تشهد اليوم مزيداً من الازدهار في بناء المؤسسات الدينية والعلمية. ومن أبرز صروحها العلمية الحالية :

- "جامعة قازان" العريقة التي تأسست عام (١٨٠٤م)، والتي تُعدّ اليوم من أفضل الجامعات الروسية.
- "الجامعة الإسلامية الروسية" في قازان أيضاً وهي ترتبط بعلاقات علمية بعدد من المؤسسات العلمية الإسلامية، ومنها كلية الشريعة في جامعة دمشق. ويتبع لهذه الجامعة مركز دولي للثقافة الإسلامية.

سيبيريا

تقع في شمالي روسيا، كانت جزءاً من الدولة المغولية التي أسَّسها باطو بن جنكيز خان .

وصلها الإسلام عن طريق الدعاة من أهل بخارى وقازان. أصبحت، في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، بلاداً إسلامية عاصمتها سيبير، وهي تحريف من كلمة صابري، وضمَّها الروس عام (١٥٨٠م). تضم اليوم حوالي (٧) ملايين مسلم^(١).

❖ أما المنطقة الثانية التي يتجمع فيها المسلمون في روسيا فهي :

منطقة شمال القوقاز^(٢)

تقع في جنوب غرب روسيا، وصلها الإسلام عن طريق الفتح والدعاة في القرن الهجري الأول، حيث وصل المسلمون إلى مدينة دربند (باب الأبواب) في داغستان في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وتركَّز الإسلام في مناطق شمال القوقاز على يد حبيب بن مسلمة الفهري، ومسلمة بن عبد الملك في العهد الأموي.

(١) انظر، أطلس دول العالم الإسلامي، د. شوقي أبو خليل، (ص/١٦٤-١٦٦).

(٢) القوقاز عبارة عن السلسلة الجبلية التي تربط بين آسيا وأوروبا، والتي تقع بين بحر قزوين في الشرق، والبحر الأسود في الغرب، تتألف بلاد القوقاز الحالية من بلاد شمال القوقاز، وهي الجمهوريات القفقاسية المسلمة السبع التي سنأتي على ذكرها، والتي تقع الآن ضمن سيادة وحدود روسيا الاتحادية. أما بلاد جنوب القوقاز فهي تتكون بشكل رئيس من ثلاث جمهوريات مستقلة، جمهورية أذربيجان المسلمة، وجمهورية جورجيا، وأرمينية.

ضمّتها الإمبراطورية القيصريّة الروسيّة إليها في القرن التاسع عشر الميلادي، بعد صراعٍ مريرٍ مع أبنائها. وهي تضم الآن سبع جمهوريات هي:

جمهورية داغستان

تقع على سواحل بحر قزوين الغربيّة، دخل الإسلام إليها في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عام (٢٢ هـ) على يد سُرّاقة بن عمرو بعد أن فتح أذربيجان، وكان على مقدّمة جيشه عبد الرحمن بن ربيعة، وتابع التّقدم فيها حبيب بن مسلّمة.

ومن داغستان انتشر الإسلام، وتمدّد في بقية أجزاء شمال القوقاز. تبلغ مساحة داغستان (٣٠٠, ٥٠ كم^٢). تشكّل الجبال ثلاثة أرباع داغستان، ومن هنا أتى اسم داغستان باللغة التركيّة "بلد الجبال". وهي تضم (٦) آلاف نهر، تغذي بلاد البلقان الأخرى، وجنوب روسيا بالمياه والطاقة الكهربائيّة.

عاصمتها: "محج قلعة" التي تُعدّ مركزاً علمياً ضخماً في منطقة شمال القوقاز، حيث يوجد فيها "مركز الأبحاث العلميّة التابع لأكاديميّة العلوم الروسيّة".

وثاني أكبر المدن الداغستانيّة مدينة "دربند"/باب الأبواب، وهي مدينة إسلاميّة تاريخيّة، تقع على بحر قزوين، وفيها جامع تاريخي بناه القائد مسلمة بن عبد الملك في سنة (٧٣٤م).

وتبلغ نسبة المسلمين فيها اليوم أكثر من (٩٤٪) من مجموع عدد السكّان. تشهد داغستان حركة تعليميّة إسلاميّة نشيطة على مستوى المدارس والمعاهد الدينيّة العاديّة، والعالية.

جمهورية الشيشان

وصل الإسلام إلى بلاد الشيشان ما بين القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين بسبب الدعوة التي قام بها بعض الضباط، والدعاة، والمتصوفة من داغستان.

عاصمتها: غروزني.

تبلغ مساحتها: (١٥,٨٠٠) ألف كم^٢.

نسبة المسلمين فيها (٩٩٪) من مجموع عدد السكان.

افتتح الرئيس الشيشاني رمضان قديروف في عام (٢٠٠٩م) في عاصمة بلاده "غروزني" جامعة إسلامية، تقوم بتدريس الطلاب العلوم الإسلامية والعلوم الإنسانية والاجتماعية الحديثة، وتستعين هذه الجامعة للقيام بمهامها التعليمية بأساتذة من خارج روسيا، وبشكل خاص من مصر وسورية. وتمتلك الشيشان ثروة نفطية تتركز حقولها حول العاصمة "غروزني".

جمهورية إنغوشية

وصل الإسلام إلى بلاد الإنغوش بعد وصوله إلى إخوتهم أبناء الشيشان، أي في نهاية القرن السادس عشر الميلادي.

كان الإنغوش والشيشان يشكلون جمهورية واحدة ذات حكم ذاتي في الحقبة السوفيتية، ولكن بعد تفكك الاتحاد السوفيتي صدر في عام (١٩٩١م) قرار يقضي بفصل إنغوشية عن الشيشان، وتأسست جمهورية إنغوشية الحديثة في العام (١٩٩٢م).

عاصمتها: ماغاس. وثاني المدن الإنغوشية الكبرى العاصمة القديمة "نزران"، التي تشكّل العصب الأساسي للاقتصاد الإنغوشي.

تبلغ مساحتها: حوالي (٤٣٠٠) كم^٢.

نسبة المسلمين فيها (٩٩٪).

جمهورية قباردية/بلقارية

وصل الإسلام إليها في القرن الهجري الثاني / الثامن الميلادي في أثناء الفتح الإسلامي لبلاد آسيا الوسطى.

عاصمتها : نالتشيك.

تبلغ مساحتها (١٢,٥٠٠ كم^٢).

نسبة المسلمين فيها (٦٦٪).

جمهورية أوسيتية الشمالية/الانية

يُعرف الأوسيت بـ(القوشحة)، وصل الإسلام إلى بلادهم في القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي على يد جيرانهم القبرداي، ثم عزز العثمانيون انتشار الإسلام بينهم، لكنهم وقعوا مبكراً في قبضة قياصرة روسيا في عام (١٧٨٤م).

عاصمتها : فلادي قفقاس.

تبلغ مساحتها (٨٠٠٠ كم^٢).

نسبة المسلمين فيها (٥٣٪).

جمهورية قره شاي شركس

وصل الإسلام إليها في القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي في أثناء الفتح الإسلامي لأرمينية.

عاصمتها : شركسك.

تبلغ مساحتها : حوالي (١٤) ألف كم^٢.

نسبة المسلمين فيها : (٦١٪).

جمهورية الأديغة

يُعرف سكان الأديغة باسم الشركس، دخل الإسلام بلادهم بسبب الدعاة والضباط الذين كانت ترسلهم الدولة العثمانية في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي، وانتشر الإسلام بينهم قبل استيلاء قياصرة الروس على بلادهم عام (١٨٦٤م).

عاصمتها: مايكوب.

تبلغ مساحتها حوالي (٦٠٠, ٧ كم^٢).

نسبة المسلمين فيها (٥٠٪).

وتوجد دائرة دينية إسلامية واحدة لهذا القسم مقرها مدينة باب الأبواب "دربند" في داغستان^(١).



(١) انظر، شعوب شمال القفقاس، بدر الدين أوارى الداغستاني، دمشق، الجمعية الشركسية في سوريا، ٢٠١٢م، (ص/٨-٤٤).

المبحث السادس: المسلمون في دول آسيا الوسطى

تضمّ آسيا الوسطى عدة دول إسلامية، هي: كازخستان وأوزبكستان وتركمانستان وطاجيكستان وقرغيزستان، كان مجموع هذه الدول يشكل في الماضي أرض الترك (التركستان الغربية)، أو بلاد ما وراء النهر.

دخل الإسلام إلى مناطق آسيا الوسطى ابتداء من القرن الهجري الأول/السابع الميلادي، أولاً عن طريق الفتوحات الإسلامية في العهدين الراشدي والأموي بقيادة القائد قتبية بن مسلم الباهلي، ثم استمر دخول الإسلام وانتشاره فيها بواسطة البعثات والسفارات الدبلوماسية، والرحالة، والتجار، والدعاة، والعلماء الذي حملوا الرسالة الإسلامية، ونشروها حيثما حلّوا في هذه البلاد.

وقد أسهمت شعوب هذه الدول مساهمة كبيرة في العلوم والحضارة الإسلامية، وقد ضمت هذه البلاد عدداً من حواضر الإسلام العلمية الكبرى مثل: بخارى وسمرقند وطشقند وجرجان وخوارزم، وأنجبت العديد من كبار العلماء في مختلف العلوم الإسلامية، مثل: الإمام البخاري، والترمذي، والبيروني، والزمخشري، والفارابي، وابن سينا، والخوارزمي، وعبد القاهر الجرجاني.

شهدت بلاد آسيا الوسطى عبر التاريخ ولادة مجموعة من الدول الإسلامية الكبيرة، مثل: الدولة السامانية، دولة المغول، الدولة التيمورية.

سنكتفي هنا بالحديث عن ثلاث دول من آسيا الوسطى فقط، وهي (أوزبكستان، كازخستان، تركمانستان).

جمهورية أوزبكستان

فتحت في القرن الهجري الأول في العهد الأموي على يد القائد قتبية بن مسلم الباهلي (٨٦-٩٦هـ)، قامت بها عدة دول إسلامية في العهد العباسي، منها: الدولة

الإيلخانية، والسامانية، والغزنوية، والسلجوقية. وازدهرت فيها الحضارة الإسلامية ازدهاراً كبيراً^(١).

استولى عليها قياصرة الروس في القرن التاسع عشر الميلادي، ونالت استقلالها عن الاتحاد السوفيتي في عام (١٩٩١م).

تبلغ مساحتها (٤٤٧) ألف كم^٢.

وتبلغ نسبة المسلمين فيها حوالي (٨٨٪).

عاصمتها طشقند، وأهم مدنها سمرقند وخيوة، وبخارى التي ينتمي إليها الإمام البخاري صاحب الجامع الصحيح في الحديث النبوي الشريف.

وكانت لغة الأوزبك تُكتب بالحروف العربية حتى عام (١٩٢٧م) عندما استبدلها الروس بأبجديتهم.

تمَّ في عام (١٩٩٩م) إنشاء "جامعة طشقند الإسلامية"، وهي واحدة من أكثر الجامعات أهمية في أوزبكستان، وهي مؤسسة علمية عالية تتبع مجلس الوزراء.

تسعى هذه الجامعة إلى دراسة الجوانب الفكرية والروحية للدين الإسلامي، والعناية بها، وتهدف إلى إعداد جيل من الشباب الأوزبكي المؤهل علمياً وتربوياً في كافة العلوم الإسلامية من علوم شرعية ولغوية وتاريخ وفلسفة وحضارة، وكل القضايا التي تعيد وتنشط فاعلية الإسلام في كل جوانب حياة المجتمع الأوزبكي، وتؤدي إلى تنميته في ظل القيم والمبادئ الإسلامية الرشيدة.

وتقوم الجامعة بفتح الباب أمام الدراسات العليا للاستزادة في التعليم والبحث العلمي، وهي تعمل على ترجمة التراث الإسلامي إلى اللغة الأوزبكية، إلى جانب وجود الندوات والمؤتمرات الدولية التي تقيمها الجامعة بالتعاون مع جامعات دولية وإسلامية^(٢).

(١) العالم الإسلامي، عمر رضا كحالة، (١٧٩/٢) وما بعدها.

(2) Tashkent Islamic University, From Wikipedia, the free encyclopedia.

جمهورية تركمانستان

عاصمتها : عشق آباد، تبلغ مساحتها أكثر من (٤٨٨) ألف كم^٢. وصلها الإسلام في القرن الرابع الهجري على يد التجار، والدعاة المسلمين، وعلى يد أبناء جيرانهم من أبناء آسيا الوسطى الذين سبقوهم إلى الإسلام. ويعود الدور الأكبر في دخول الإسلام إليها إلى الخليفة العباسي المقتدر بالله (٢٩٥-٣٢٠هـ / ٩٠٨-٩٣٢م) عندما أرسل العالم والرحالة "أحمد بن فضلان" عام (٣١٠هـ / ٩٢٢م)، وقام هو ومن معه بنشر الإسلام وتعليمه في منطقة آسيا الوسطى. وعندما أسلم الأمير بركة خان التري (٦٥٤-٦٦٥هـ / ١٢٥٦-١٢٦٧م)، عم الإسلام كل البلاد المحيطة بنهر الفولغا، ومنها تركستان. وبقيت جزءاً متصلاً بالعالم الإسلامي حتى استولى عليها القيصرية الروس في عام (١٨٨٨م)، ثم نالت استقلالها، وانفصلت عن الاتحاد السوفيتي بعد تفككه في العام (١٩٩١م). تصل نسبة المسلمين فيها إلى حوالي (٩٣٪).

جمهورية كازخستان

أكبر دولة إسلامية من حيث المساحة، حيث تزيد مساحتها على مليونين وسبعمائة ألف كلم^٢. عاصمتها أستانا، تصل نسبة المسلمين فيها إلى (٧٠٪). وصلها الإسلام عن طريق الدعاة والعلماء بعد استقراره في طشقند وبخارى وسمرقند في العهد الأموي. وترسخ الإسلام، واستقر في العهد العباسي في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي. استولى عليها القيصرية الروس في القرن الثامن عشر الميلادي، وضموها بشكل كامل إلى سيادتهم في بداية القرن العشرين في ظل الاتحاد السوفيتي، لكنها انفصلت عنه، ونالت استقلالها الكامل في عام (١٩٩١م).

تمّ في عام (٢٠٠٣م) تأسيس أول جامعة إسلامية في كازخستان باسم "الجامعة المصرية للثقافة الإسلامية"، في مدينة ألماتا، وقد جاءت هذه الجامعة ثمرة للتعاون العلمي بين مصر وكازخستان، وأول رئيس لها كان العالم اللغوي المصري الدكتور محمود فهمي حجازي (٢٠٠٣-٢٠١٤م). تهدف هذه الجامعة إلى تأكيد الهوية الإسلامية، ونشر الوعي الديني في كازاخستان، وتزويدها بأئمة المساجد والخطباء الذين تحتاج الدعوة إليهم. تقوم هذه الجامعة بتدريس العلوم الشرعية من تفسير وحديث وعقيدة وفقه، إلى جانب وجود تخصصات أخرى مثل الترجمة، والثقافة الإسلامية، والإعلام، والتاريخ الإسلامي، والأدب العربي، وذلك لتزويد المجتمع والمؤسسات الكازخية بالمتخصصين في فروع العلوم الشرعية والعربية كلها^(١).



(١) أطلس دول العالم الإسلامي، شوقي أبو خليل، (ص/٢١، ٤١، ٨٧). وانظر، موسوعة ويكيبيديا الحرة، الصفحات المتعلقة بالإسلام في آسيا الوسطى.

المبحث السابع: المسلمون في الصين

الموقع والمساحة والسكان : تقع الصين في الجناح الشرقي لقارة آسيا. وهي ثالث دولة في العالم من حيث المساحة بعد روسيا وكندا، حيث تزيد مساحتها على (٩, ٥) ملايين كم^٢. وتعدّ أكبر دول العالم من حيث عدد السكان، حيث يزيد عددهم على "مليار وثلاثمئة مليون" إنسان، ويعيش فيها حوالي (٢٠٪) من سكان العالم. وتمتلك الصين حضارة من أعرق وأقدم حضارات العالم، إذ يعود تاريخها الحضاري إلى أكثر من خمسة آلاف سنة.

تتألف الصين من (٥٥) قومية، أهمها قومية "الهان" التي ينحدر منها أكثر من (٩٠٪) من الشعب الصيني، ويدين أبناء هذه القومية في أغلبهم بالبوذية والكونفوشية والطاوية، وهي أديان صينية قديمة تتمحور تقديس الطبيعة والكون. ومن أبرز القوميات الأخرى، القوميات المسلمة التالية: (الهوي، والويغور، والقازاق (وهم القوميات المسلمة الأكثر من ناحية عدد السكان)، والقرغيز، والسالار، والطاجيك، والأوزبك، والبونان والتتار)، وهم يشكلون في مجموعهم حوالي (٥٪) من مجموع الشعب الصيني، ويصل عددهم إلى أكثر من (٧٠) مليون مسلم.

ينتشر المسلمون في كل أرجاء الصين، ولكنهم يتركزون في تجمعات خاصة بهم في بعض المقاطعات، وأكبرها مقاطعة "سينكيانغ" في الشمال الغربي للصين، وتسكنه أقلية الويغور من ذوي الأصول التركستانية.

ومن أشهر المقاطعات الأخرى التي يتجمع بها المسلمون أيضاً، مقاطعتا غانغ دونغ، وفوجيان في الساحل الجنوبي للصين، ومقاطعة يوننان في جنوبي شرق الصين، ومقاطعتا قانسو ونيغشيا في شمالي الصين، حيث يشكل المسلمون في هاتين المقاطعتين الأخيرتين أغلبية السكان، لذلك تظهر الهوية والصبغة الإسلامية

على مستوى العبادات والشعائر والعادات والمعاملات والقيم الأخلاقية بشكل بارز فيهما^(١).

❖ دخول الإسلام إلى الصين، وانتشاره فيها:

يعود تاريخ الإسلام وحضوره في الصين إلى أكثر من أربعة عشر قرناً، حيث دخل الإسلام إلى الساحل الجنوبي الشرقي من الصين على يد تجار، ودعاة مسلمين ومهاجرين من بلاد الشرق العربي، والهند، وآسيا الوسطى، وإيران في بداية القرن الهجري الأول/السابع الميلادي، وبسبب وجود بعثات دبلوماسية إسلامية إلى الصين في العهدين الأموي والعباسي، واستقرار أعضاء هذه البعثات وأبنائهم فيها بين القرنين الثاني والرابع الهجريين/الثامن والعاشر الميلاديين. وقد شهد الحضور الإسلامي توسعاً في الصين في القرنين السابع والثامن الهجريين/الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين في عهد مملكة يوان المغولية (١٢٧١-١٣٦٨م)، بسبب تدفق هجرات إسلامية كثيرة إلى شمالي الصين قادمة بشكل رئيس من البلاد الإسلامية في آسيا الوسطى حيث سمحت هذه الأسرة الملكية بوجود دين آخر في الصين سوى البوذية، فضلاً عن سماحهم لمسلمي آسيا الوسطى بالهجرة والإقامة في الصين، وهو الأمر الذي لم يكن مسموحاً من قبل.

وقام المسلمون الصينيون من جهتهم بالاندماج أكثر فأكثر في الحياة الصينية العامة، ووصل بعضهم إلى مناصب عالية في الجيش والدولة، وقدرت السلطات

(١) انظر، الموسوعة العربية العالمية، مجموعة من الباحثين، ط٢، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ١٩٩٩م، (٢٦٥/١٥-٢٦٦). الموسوعة العربية الميسرة، مجموعة من الباحثين، ط٣، القاهرة، ٢٠٠٩م، (٢١٢٢/٤).

الصينية دورهم الإيجابي في المجتمع الصيني لذلك سمحت لهم بإنشاء المساجد، وأطلقت لهم حرية التدين والعبادة.^(١)

ثم جاءت أسرة مينغ الصينية (١٣٦٨ - ١٦٤٤م) التي عاملت المسلمين باحترام واعتدال، واستمرت في السماح لهم بالاندماج في المجتمع الصيني، وممارسة بعض الوظائف الكبرى، وممارسة شعائهم الدينية، وبناء المساجد والعناية بها.

وفي هذه المرحلة، وتحديدًا في القرن السابع عشر الميلادي، كان للطرق الصوفية دورٌ بارزٌ في نشر الإسلام وترسيخه في الصين، وبشكل خاص أبناء الطريقتين النقشبندية والقادرية.

وفي عهد هذه الأسرة ظهر عالم صيني فاضل اسمه "خونغ تشو" وكان يُلقب بـ"أستاذ الأساتذة"، وكان له دورٌ كبير في تطوير الحركة التعليمية للمسلمين في الصين، حيث أضاف في القرن السادس عشر الميلادي إلى مهام الإمام والخطيب مهمة تدريس العلوم العربية والإسلامية، وقام بتنظيم نظام التعليم ومنهاج الدراسة، وقام هو بتنفيذ هذا المنهاج في مقاطعته يوننان، ومنذ ذلك التاريخ إلى اليوم تحولت المساجد في الصين إلى مؤسسات دينية وتعليمية متكاملة تقوم بإعداد، وتأهيل الأئمة والدعاة والعلماء.

يعود إلى هذا النظام التعليمي الذي ألقى أسسه أستاذ الأساتذة "خونغ تشو" رحمه الله تعالى فضلٌ كبير في استمرار الدعوة والعلوم الإسلامية في الصين إلى اليوم.

(1) The Oxford Encyclopedia of The Modern Islamic World, ed, John L. Esposito, Oxford university press, 1995, 2/275_276.

وفي عهد أسرة مانشو (١٦٤٤-١٩١١م)، بدأت تظهر روح التعصب والكرهية للمسلمين، ولكن على الرغم من ذلك فقد تمسك المسلمون بدينهم، بل ظهر من بينهم علماء كبار برزوا في التأليف في العلوم الشرعية، ونشطوا في ميدان الدعوة إلى الإسلام.

وفي هذه الحقبة التاريخية انصهر المسلمون الصينيون (من ذوي الأصول العربية والفارسية والهندية والمغولية)، الوافدون من الخارج مع بعضهم، وشكلوا قومية "الهوي"، التي تتكلم اللغة الصينية التيبّيتية بشكل رئيسي، وأصبحوا قومية من القوميات الصينية المعترف بها.

وفي ظل أسرة مانشو تمدد الصينيون على حساب بلاد وشعوب آسيا الوسطى (الويغور، والتتار، والقازاق، والأوزبك، والقرغيز، والتركمان، والطاجيك) الذين اعتنقوا الإسلام من قبل، وشكلوا معا ما سمي في التاريخ الإسلامي ببلاد "التركستان".

وقام الصينيون في عام (١٧٥٩م) بالاستيلاء على القسم الشرقي من بلاد التركستان الذي كان يسمى "التركستان الشرقية" وعاصمته "كاشغر"، التي كانت إحدى حواضر العلم، ومنازل الإسلام في آسيا، وقيمتها العلمية والدينية لا تقل عن قيمة بخارى وسمرقند، وضم الصينيون كامل هذا الإقليم إلى نطاق دولتهم عام (١٨٨١م)، وأطلقوا عليه اسم "سينكيانغ" أي الوطن الجديد، وترتب على هذا الضم تضاعف عدد المسلمين الصينيين أضعافاً كثيرة.

وقد تعرض المسلمون في النصف الثاني من حياة هذه الأسرة أي في القرن التاسع عشر وحتى بداية القرن العشرين الميلادي إلى صنوف عديدة من الاضطهاد، والإقصاء، والتهميش وحرمانهم من حقوقهم الدينية والاجتماعية، وقاوم المسلمون كل هذه الإجراءات المتعسفة بحقهم وحق دينهم بكل ما أوتوا

من قدرة، لكن الصينيين زادوا من قمعهم لهم، والتضييق عليهم في كافة شؤون حياتهم الدينية والمعيشية.

واستمر الأمر على هذا المنوال المجحف بحق المسلمين حتى قام الصينيون أنفسهم مع مسلمي الصين بالقضاء على الحكم الإمبراطوري، وإعلان الجمهورية، والحكم الوطني في الصين عام (١٩١١م)، عندئذ بدأت مرحلة جديدة في تاريخ الصين، وصفحة جديدة في تاريخ المسلمين فيها، وتم الاعتراف بهم بوصفهم إحدى المكونات الكبرى للشعب الصيني الواحد، وأصبح لهم تمثيل في البرلمان، وقد اتسمت هذه المرحلة بالتسامح والاحترام المتبادل، واستعادة الحرية الدينية، والحقوق المدنية، والاندماج الاجتماعي بين كافة أبناء الصين دون تمييز على أساس الدين، واستطاع المسلمون من جديد استئناف بناء المساجد، وبناء المؤسسات الدينية والتعليمية، وإرسال أبنائهم لدراسة اللغة العربية والعلوم الإسلامية في البلاد العربية وبخاصة في الجامع الأزهر في مصر، وفي المعاهد الشرعية في سورية، وطباعة المصحف الشريف، والكتب الإسلامية.

وبرز عدد كبير من العلماء الصينيين الذين قاموا بالتأليف والترجمة من العربية إلى الصينية، منهم الشيخ "وانغ جينغ تشاي" (ت ١٩٤٩م) الذي أصدر مجلة "نور الإسلام"، وترجم القرآن الكريم إلى اللغة الصينية، وهي أكمل وأفضل ترجمة للقرآن الكريم باللغة الصينية، وألف قاموساً عربياً صينياً، فضلاً عن ترجمته لبعض الكتب الفقهية والأدبية عن العربية والفارسية.

❖ الجمعيات الإسلامية في الصين في هذه المرحلة:

■ الجمعية الإسلامية الصينية: أهم الجمعيات الإسلامية التي تأسست في هذه المرحلة، وعقدت مؤتمرها التأسيسي الأول عام (١٩٥٣م)، وأنشأت لها فروعاً في كل أنحاء الصين، حيث قامت باستئناف طباعة المصحف الشريف، وإعادة

فتح المساجد التي أغلقت في السابق، وقامت بترميمها وإصلاحها، فضلاً عن قيامها بعد ذلك بتشديد الكثير من المساجد الجديدة، وأصدرت مجلة "المسلمون في الصين"، وأنشأت في سنة (١٩٥٥م) في بكين معهداً للعلوم الإسلامية تابعاً لها، وقامت بتنشيط الحركة العلمية والتعليمية الإسلامية في الصين، وقامت برعاية كل الشعائر والآداب الإسلامية التي تتعلّق بجوانب الحياة الاجتماعية، مثل الأمور المتعلقة بالولادة والطعام والشراب والزواج والموت.

■ **جمعية التقدم الإسلامي:** التي أنشأت عدداً كبيراً من الفروع والمدارس الإسلامية في أنحاء مختلفة في الصين، وقد أصدرت هذه الجمعية مجلة "المنبه الإسلامي" التي أدت دوراً كبيراً في إيقاظ الوعي الإسلامي في الصين، وتعليم المسلمين قضايا دينهم، والدفاع عن حقوقهم.

وفي هذه المرحلة استطاعت مقاطعة سينكيانغ ذات الأغلبية الإيغورية المسلمة الواقعة في شمال غرب الصين أن تتحول إلى إقليم له حكم شبه ذاتي في عام (١٩٥٥م)، وكذلك الأمر تحوّلت مقاطعة نينغشيا التي تسكنها قومية "الهوي" المسلمة، إلى إقليم له حكم شبه ذاتي في عام (١٩٥٨م).

ولكن تنبغي الإشارة هنا إلى أن المسلمين على الرغم من كل ما سبق فقد عاشوا أياماً عصيبة في الفترة الممتدة بين عامي (١٩٦٦-١٩٧٦م)، وهي المعروفة بتاريخ الصين الحديث بـ"الثورة الثقافية"، حيث أحكمت السلطات الشيوعية الصينية يدها على كل صغيرة وكبيرة في البلاد، وأرادت تطبيق النظرية الشيوعية بكل صرامة، لذلك فقد عانى المسلمون من الاضطهاد الديني من جديد، ومنعوا من بناء المساجد، بل تمّ تحويل الكثير من مساجدهم إلى منشآت اقتصادية، وأصيبت الحركة التعليمية الإسلامية بالشلل، وأُحرقت المصاحف والكتب الإسلامية، ومنع المسلمون من أداء فريضة الحج، إلى غير ذلك من الإجراءات التعسفية، مثل تهجير آلاف الأسر المسلمة من قراهم ومدنهم، وتوطين آلاف

الأسر الصينية البوذية في أماكنهم التي طردوا منها، وبخاصة في مقاطعات سينكيانغ، ويوننان، وقانصو.

وفي عام (١٩٧٨م) بدأت الحياة الطبيعية تعود للمسلمين بشكل تدريجي، واستأنفوا نشاطاتهم الدينية والعلمية من جديد.

يوجد في الصين اليوم أكثر من أربعين ألف مسجد ينتشرون في كافة أرجاء الصين، وأكثر من ثلاثين معهداً تعليمياً، وتوجد جامعة تتولى تدريس العلوم الإسلامية بكافة تخصصاتها، فضلاً عن إرسال آلاف الطلبة الصينيين إلى البلاد العربية والإسلامية لمتابعة دراساتهم العربية والإسلامية، والحصول على أعلى الدرجات الأكاديمية فيها، وقد كانت وجهة هؤلاء الطلاب بشكل رئيس إلى مصر وسوريا وماليزيا وإندونيسيا والهند، وقد قام هؤلاء الطلاب بعد عودتهم إلى الصين بترسيخ وتطوير الدراسات العربية والإسلامية من خلال التأليف والترجمة، وبشكل خاص الترجمة عن اللغة العربية التي تحظى باهتمام كبير بين الصينيين بوصفها لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، ولغة العبادة والتواصل مع كافة أبناء العالم الإسلامي الذي ينتمون إليه بكل فخر واعتزاز^(١).



(١) الإسلام في الصين، فهمي هويدي، الكويت، سلسلة كتاب عالم المعرفة، الرقم، ٣، (ص/١٤) وما بعدها. أطلس دول العالم الإسلامي، شوقي أبو خليل، (ص/١٦٨-١٧١).

الفصل الرابع

المسلمون في القارة الإفريقية

ويتضمن سبعة مباحث :

المبحث الأول: الإسلام في إفريقيا

المبحث الثاني: المسلمون في إثيوبيا

المبحث الثالث: المسلمون في تشاد

المبحث الرابع: المسلمون في نيجيريا

المبحث الخامس: المسلمون في مالي

المبحث السادس: المسلمون في السنغال

المبحث السابع: المسلمون في جنوب إفريقيا

المبحث الأول: الإسلام في إفريقيا

❖ معلومات عامة عن قارة إفريقيا:

إفريقيا قارة واسعة الأرجاء، وامتدادها الأطراف، وهي أكبر القارات بعد آسيا، ويبلغ حجمها ثلاثة أضعاف حجم قارة أوروبا، تبلغ مساحتها حوالي (٣٠) مليون كم^٢، أي خمس مساحة العالم، ويقطنها عَشْرُ سكان العالم.

يوجد في إفريقيا (٥٤) دولة بما فيها الجزر البعيدة عن الشواطئ، وأهم جزرها: زنجبار ومدغشقر، وجزر القمر، والكناري، والرأس الأخضر.

والقارة الإفريقية محاطة بالمحيطات والبحار من كافة الاتجاهات بخلاف قارتي آسيا وأوروبا، حيث يحيط بها من الغرب، ومن الجنوب الغربي المحيط الأطلسي، ومن الشمال البحر الأبيض المتوسط، ومن الشرق البحر الأحمر، ومن الشرق والجنوب الشرقي المحيط الهندي، ولا تتصل باليابسة إلا من الناحية الشمالية الشرقية فيها، عن طريق شبه جزيرة سيناء التي تتصل بقارة آسيا من جهة فلسطين.

وإفريقيا كتلة أرضية ضخمة على شكل مثلث رأسه في الأسفل، وقاعدته في الشمال تطل على البحر المتوسط، وتقترب كثيرا من القارة الأوروبية عن طريق مضيق جبل طارق في المغرب. وهي تضم صحاري عديدة، أكبرها وأهمها الصحراء الكبرى التي تزيد مساحتها على (٩) مليون كم^٢، ويقع في نطاقها معظم أجزاء الجزائر والنيجر وليبيا ومصر وبعض أجزاء المغرب وتونس والسنغال ومالي وتشاد والسودان^(١).

وتزخر القارة بثروات كبيرة من الموارد المعدنية، حيث تضم أكبر احتياطات العالم من الوقود الأحفوري، والخامات المعدنية، والمعادن الثمينة، والأحجار

(١) موسوعة العالم، مؤسسة نوفل، بيروت، ١٩٨١م، (ص/١٥٥-١٥٦).

الكريمة (حيث تمتلك حوالي ٦٠٪ من ذهب العالم، وحوالي ٩٠٪ من ألماس العالم، و٩٣٪ من معدن الراديوم في العالم)^(١).

كان المسلمون في الأصل يطلقون اسم "إفريقيا" على جزء من بلاد الشمال الإفريقي، وبشكل خاص تونس، وكانت الأجزاء الأخرى من القارة الإفريقية يطلقون عليها أسماء خاصة على النحو التالي: اسم "بلاد الزنج"، وكان يطلق على البلاد الواقعة في الساحل الجنوبي الشرقي لإفريقيا وجنوبها. وكانوا يطلقون اسم "الحبشة" على إثيوبيا، وما جاورها من بلاد القرن الإفريقي (من جيبوتي إلى موزمبيق). وبلاد النوبة على الجزء الواقع في جنوبي مصر. أما اسم "السودان" فكانوا يطلقونه على دول وسط وغرب إفريقيا، ويشمل: السودان الشرقي: السودان الحالية. والسودان الأوسط: تشاد، النيجر، بوركينا فاسو. والسودان الغربي: نيجيريا، مالي السنغال، غانا، غينيا.. ثم أصبح اسم إفريقيا يطلق على كامل القارة إفريقيا^(٢).

سميت إفريقيا بـ "قارة الإسلام" لأن النسبة المئوية للمسلمين فيها تصل إلى حوالي (٥٢٪)، ويبلغ عدد المسلمين فيها أكثر من (٢٥٠) مليون مسلم من أصل مجموع سكان القارة الذي يصل إلى حوالي (٤٧٠) مليون نسمة، ويصل عدد الدول ذات الأغلبية المسلمة فيها إلى (٣١) دولة من مجموع دول القارة الأربع والخمسين. أما المسيحيون فلا تزيد نسبتهم عن (١١٪)، والنسبة الباقية تعتنق ديانات وثنية محلية. هذا يعني أن المسلمين يشكلون أغلبية السكان، ومركز الثقل فيها، في حين أن المسلمين في قارة آسيا على الرغم من كونهم يشكلون أربعة

(١) نيجيريا، محمود شاكر، ط ٢، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٧١م، (ص/٣٠-٣٣).

(٢) انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء، عبد الله سالم بازينة، مطبوعات جامعة ٧ أكتوبر، مصراتة، ليبيا، ٢٠١٠م، (ص/٢١-٢٨).

أخماس المسلمين في العالم فإن نسبتهم في آسيا لا تزيد على (٢٥٪) من مجموع سكان آسيا.

❖ دخول الإسلام إلى إفريقيا:

بدأت علاقة الإسلام بإفريقيا منذ بداية ظهور الإسلام، وتحديدًا في العهد المكي حيث بعث رسول الله ﷺ هجرتين إلى الحبشة (أكسوم) بدءاً من العام الخامس بعد البعثة، بحثاً عن الأمان حتى يقوى عود الدعوة الإسلامية لما عرف عن ملك الحبشة النجاشي أصحمة بن أبجر من عدل ونصرة للحق.

لكن يبدو أن تأثير هاتين الهجرتين كان محدوداً، حيث لم يبدأ انتشار الإسلام بحق في إفريقيا إلا على أيدي الفاتحين المسلمين من بوابة مصر، عندما أرسل الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه الصحابي عمرو بن العاص سنة (٢٠هـ) لفتحها، ثم التوجه إلى برقة وطرابلس الغرب في ليبيا وفتحهما. وفي عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه أرسل والي مصر عبد الله بن أبي السرح، القائد عقبة بن نافع إلى شمال إفريقيا حيث قام بفتح تونس والجزائر، ووصل إلى شواطئ الأطلسي في المغرب، ثم انحدر جنوباً، ووصل بفتوحاته إلى غانا، والسنغال، واستشهد في طريق عودته إلى مدينة القيروان التي أسسها بنفسه، وجعلها منطلقاً لفتوحاته في إفريقيا. وتابع من بعده القائد موسى بن نصير الذي توسع بحركة الفتوحات في غرب إفريقيا، ثم حمل راية الفتح من بعده، في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، القائد زهير بن قيس الذي استشهد في أثناء فتوحاته في غرب إفريقيا.

وبعد فترة من توقف الفتوحات، تم استئنافها في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي على يد الأمير المغربي يحيى بن إبراهيم الجدالي مؤسس دولة المرابطين (٤٤٠-٥٤٢هـ)، حيث قام هذا الأمير باستقدام الشيخ

عبد الله بن ياسين من علماء المغرب الأقصى ، وطلب منه أن يقوم بالدعوة إلى الله تعالى ، ونشر الإسلام في صحراء إفريقيا وجنوبها ، فبدأ يرشد الناس ، ويعلم القبائل ، لكنه أحس بمضايقة أعدائه ، فاعتزل الناس ، وبنى في حوض السنغال رباطاً ، وصار تلاميذه يتوافدون عليه حتى بلغوا أعداداً كبيرة ، وأطلق عليهم اسم "المرابطين" ، فقام بتربيتهم روحياً وعلمياً ، وعمل على تدريبهم ، وتجهيزهم برعاية الأمير يحيى بن إبراهيم ، ثم أمرهم أن ينطلقوا للدعوة في أنحاء غرب إفريقيا ووسطها ، فحاربوا الممالك الوثنية الزنجية ، وأسّسوا دولة المرابطين في جنوب الصحراء الكبرى ، ثم استمرت فتوحاتهم تحت إمرة الأمير أبي بكر بن عمر الذي عينه الشيخ عبد الله بن ياسين ، حتى وصلوا إلى شمال السنغال ، وشمال غانا ، وشمال بنين ، وشمال نيجيريا^(١).

ولكن على الرغم من الدور المهم لجيوش الفاتحين في دخول الإسلام إلى القارة ، إلا أن نور الإسلام قد وصل إلى عموم إفريقيا بشكل سلمي ومتدرج عبر القرون ، وقد وصل إلى ذروته واصطبغت القارة الإفريقية بشكل عام بصبغة الإسلام ، وبدأت تصبح "قارة الإسلام" في الربع الأخير من القرن التاسع عشر ، وهو الوقت الذي لم يكن يمتلك فيه المسلمون أي نوع من أنواع القوة العسكرية.

❖ عوامل انتشار الإسلام في إفريقيا:

لم ينتشر الإسلام في إفريقيا بعد موجة الفتوحات الأولى بسبب دعوات منظمة رعتها دول ، وحكومات كما حدث عند نشر المسيحية على أيدي الإرساليات التبشيرية التي كانت تعمل بالتنسيق ، والدعم الكامل من الدول الأوروبية التي جهّزتها ، وأرسلتها إلى إفريقيا تمهيداً لاستعمارها ، وقامت برعايتها رعاية تامة في

(١) الإسلام في نيجيريا ، آدم عبد الله إللوري ، تقديم عبد الحفيظ أولادوسو ، مكتبة الإسكندرية ، ٢٠١٤م ، (ص/٣٣-٣٥).

مرحلة الاستعمار (من القرن السادس عشر إلى منتصف القرن العشرين)، بل انتشر بسبب هجرة بعض القبائل العربية والمسلمة واستقرارها في إفريقيا، واختلاطها الأخوي الكريم مع الأفارقة عن طريق الزواج والمصاهرة، وبسبب الجهود الفردية التي بذلها الدعاة، والتجار، والعلماء، وفي أحسن الحالات بفضل بعض الجهود الجماعية التي قامت بها بعض الطرق الصوفية.

وكل ذلك لأن كل مسلم يحمل في ضميره ووجدانه مسؤولية الدعوة إلى الله تعالى، وتبليغ دينه، ولا ينتظر دعماً من أحد حتى يقوم بواجبه أمام دينه. ويكفي المسلم حتى يتحول إلى داعية ينشر الإسلام بكل حماسة وإخلاص أن يسمع قول ربه سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]

وقول رسوله الكريم ﷺ: «لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً، خير لك من أن يكون لك حمر النعم»^(١).

وتجدر الإشارة إلى أن الدعاة الأوائل الذين نشروا الإسلام في إفريقيا، بعد مرحلة الفتوح، كانوا من الدعاة والتجار العرب والمسلمين من أبناء شمال إفريقيا حيث قاموا بنشر الإسلام في غرب إفريقيا وفي وسطها، وأبناء اليمن وعمان والجزيرة العربية ومصر في شرق إفريقيا ووسطها، وكذلك أسهم الدعاة والتجار المسلمون القادمون من آسيا، وبشكل خاص من الهند والباكستان في نشر الإسلام في شرق إفريقيا وفي جنوبها. وكذلك آلاف العمالة المالوية الذين استقدمهم الاستعمار الإنكليزي للعمل في جنوب إفريقيا^(٢).

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، رقم (٣٩٨٧).

(2) The Oxford Encyclopedia of The Modern Islamic World, ed, John L. Esposito, Oxford university press, 1995, 2/ 262-264.

ولكن بعد ذلك قام أبناء القارة السمراء أنفسهم بشكل رئيس بالاضطلاع بحمل راية الإسلام في كافة بقاع إفريقيا دون استثناء. لذلك يمكن القول بأن الدعوة الأفارقة المحليين كانوا وما زالوا هم قادة الدعوة الإسلامية في بلادهم. وهذا الأمر جعل قبول الإسلام، واعتناقه أمراً مستساغاً لا يجد فيه الإفريقي انسلاخاً عن شخصيته الإفريقية الأصيلة، كما وجد عندما عرض عليه المبشرون الأوروبيون البيض اعتناق المسيحية، المرتبطون بشكل كامل مع القوى الاستعمارية التي نهبت أرضه وثرواته، واستعبدت أهله، وقتلت وشردت الآلاف منهم. هذا فضلاً عن أن الأفارقة وجدوا في الإسلام وأحكامه انسجاماً أكبر من حيث بساطة عقيدته وسهولة فهمها، وتقبله لبعض عاداتهم الاجتماعية مثل تعدد الزوجات، وقبول مبدأ الطلاق على عكس المسيحية ذات العقائد المركبة والمتشعبة في قضية الزواج المتعدد، والرافضة لمبدأ الطلاق إلا في حالة الزنا فقط. لذلك كان من المألوف في إفريقيا إقبال الناس أفراداً وجماعاتٍ بل وقبائل كاملة على الإسلام، والاستضاءة بنوره^(١).

ويحسن أن نتحدث بشيء من التفصيل عن دور التجار، والصوفية في انتشار الإسلام في إفريقيا:

■ **التجار المسلمون:** الذين كانوا يجوبون القارة السمراء ابتغاء فضل الله تعالى متمثلين العقيدة والقيم الإسلامية في تعاملهم مع الأفارقة، مثل: التسامح، والصدق، والأمانة، والمحبة، والمساواة، والإخاء، والكرم، وحسن الجوار، ورافضين قيم التعالي، والتفريق بين البشر على أساس الدين، والعرق، واللون، واللغة، والحالة المادية.

(١) انظر، إفريقيا قارة الإسلام: انتشار الإسلام في إفريقيا في القرن العشرين، د. حورية توفيق مجاهد. (ص/٣٩-٦٥).

من خلال هؤلاء التجار الذين قَدِموا أساساً من إفريقيا الشمالية، ومن سواحل الجزيرة العربية، ومن الهند، وقف الأفارقة على بساطة مبادئ الإسلام وسهولتها مقارنة بالعقائد المعقّدة التي يسعى المبشرون إلى نشرها بينهم.

كلّ ذلك دفع الكثير من قبائلهم وزعمائهم وعامتهم إلى الإسراع في الدخول إلى الإسلام والاهتداء بهديه. وبعد تلقي الإسلام من هؤلاء التجار قامت مجموعة من القبائل الإفريقية بمهمة نشر الإسلام في إفريقيا، من أهم هذه القبائل "الهوسا" في نيجيريا وغرب إفريقيا، و"السواحليون" في شرق إفريقيا^(١).

يقول الرحّالة جوزف تومسون في تقرير له نشرته جريدة التايمز عام (١٨٨٧م): "إذا بلغنا غربي إفريقيا والسودان الأوسط نجد الإسلام كجسم قوي تدبّ فيه روح الحياة والنشاط، وتتحرك فيه عوامل الحماسة والإقدام كما كان في أيامه الأولى، فترى الناس تدخل فيه أفواجاً أفواجا، وتقبل عليه بإقبال عجيب شبه أيامه السالفة، نرى فيه أشعة نوره منبعثة من شوارع سيراليون، وآخذه في إنارة بصائر القبائل ... عند منبع النيجر. وقد كانت أعظم فتوحات الإسلام في أواسط السودان وغربه كانت على يد جماعة سليمي الطوية، منخفضي الجناح، وفي الأزمان الحاضرة كان القائم بأمره تاجراً ذا همة وإقدام يدعى (هوذا أونوبية)، كان ذلك الداعي يجهد نفسه لنشر لواء ديانته من بحيرة تشاد إلى الأقيانوس الأطلانتيكي، ونتج عن ذلك أن أشرقت شمس الإسلام في سماء هذه الجهة بأجمعها"^(٢).

■ **الطُرُق الصوفية:** التي انتشرت في كل أرجاء إفريقيا، واجتهدت من خلال مساجدها، وزواياها، ومراكزها في نشر الإسلام وتعليم القرآن واللغة العربية، واستطاعت هذه الطرق استقطاب الكثير من الأفارقة الذي أسلموا على يديها،

(١) إفريقيا قارة الإسلام، د. حورية توفيق مجاهد، (ص/٦٥-٦٦).

(٢) انتشار الإسلام وموقف المستشرقين منه، محمد فتح الله الزيايدي، دمشق، دار قتيبة، ١٩٩٠م، (ص/١٣٤-١٣٥).

وتعلّموا الإسلام على يد شيوخها، وبعضهم رحلَ لتلقي العلوم الشرعية والعربية إلى مراكز العلم الشرعي في القارة مثل الجامع الأزهر في مصر، وجامع الزيتونة في تونس، وجامع القرويين في المغرب، ومراكز العلم في مدينة تمبكتو في مالي، وهرر في إثيوبيا، ثم قاموا بعد عودتهم إلى أوطانهم بالمشاركة الفعالة في نشر الإسلام بين أهلهم وقبائلهم وشعوبهم.

أهم الطرق الصوفية التي كان لها دور كبير في نشر الإسلام في إفريقيا هي :

١. الطريقة القادرية: التي أسَّسها في بغداد الشيخ عبد القادر الجيلاني (٤٧٠-٥٦١هـ) في القرن السادس الهجري/القرن الحادي عشر الميلادي، ثم انتشرت في العالم، وأهم من نشرها في إفريقيا، وبشكل خاص في غرب إفريقيا الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، والشيخ محمد فاضل بن مامين، وابنه الشيخ ماء العينين، والشيخ المختار الكنتي (ت ١٧٩٩م)، أما أهمهم فهو الشيخ عثمان بن فودي الفلاني (ت ١٨١٦م).

٢. الطريقة التيجانية: التي أسَّسها في منتصف القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي الفقيه المغربي أحمد التيجاني (١٧٣٧-١٨١٥م) في مدينة فاس، ومنها انطلقت إلى إفريقيا، وبشكل خاص إلى أرجاء غرب إفريقيا على يد الحاج عمر الفتوي، ومن أهمهم في القرن العشرين الشيخ أحمد التيجاني بن عثمان البربري، والشيخ أبو بكر عتيق.

٣. الطريقة السنوسية: التي أسَّسها الشيخ محمد بن علي السنوسي (ت ١٨٥٩م) في جنوب الصحراء الليبية، ثم نشرها مع أتباعه في بقية ليبيا، وشمال إفريقيا، وامتد نشاطهم نحو وسط إفريقيا، وبشكل خاص في تشاد والنيجر حيث أسَّسوا في كل مكان زوايا، ورباطات، اجتهدت في نشر العلوم الإسلامية والعربية، فضلا عن الدعوة إلى الله تعالى التي أدَّت إلى دخول أفواج من الأفارقة إلى الإسلام^(١).

(١) المرجع السابق، الزياي، (ص/١٣٤-١٣٦). الإسلام في نيجيريا، (ص/٦١-٦٧).



المبحث الثاني: المسلمون في إثيوبيا

■ **الموقع:** تقع إثيوبيا في شرق إفريقيا، وهي دولة داخلية بعيدة عن ساحل البحر الأحمر، وخليج عدن، والمحيط الهندي، تحيط بها كينيا من الجنوب، وإريتريا وجيبوتي والصومال من الشمال، والسودان من الغرب، والصومال من الشرق.

■ **التسمية:** "إثيوبيا" كلمة يونانية تعني الوجه المحروق. وأطلق المسلمون عليها اسم "الحبشة" أي الشعوب المختلطة. وكانت تضم إريتريا والصومال، وجزءاً من السودان، وكانت تمتد حتى بلاد النوبة.

■ **المساحة:** (١٢٧، ١٢٧، ١ كم^٢).

■ **اللغات:** الأمهرية، وهي اللغة الرسمية، وتستخدم فيها اللغات العربية والإيطالية والإنكليزية على نطاق واسع.

■ **الأقاليم الإسلامية فيها:**

تضم إثيوبيا عدداً من الأقاليم ذات الأغلبية المسلمة منها:

١. إقليم أوغادين : ومساحته حوالي (٢٥٠ ألف كم^٢)، وفيه مدينة هرر، وهي مركز الإشعاع العلمي الإسلامي في إفريقيا الشرقية والقرن الإفريقي، أنشأها التجار العرب المسلمون في القرن الهجري الأول، وكانت حاضرة الإمارات الإسلامية العديدة التي قامت في هذا الإقليم عبر التاريخ.

٢. إقليم بالي : ومساحته حوالي (١٢٩ ألف كم^٢).

٣. إقليم سيدامو : ومساحته تصل إلى حوالي (١١٧ ألف كم^٢).

تضم إثيوبيا اليوم أكبر جالية إسلامية في القارة الإفريقية، حيث تصل نسبة المسلمين فيها إلى أكثر من (٥٥٪) من مجموع عدد السكان، ولكنها على الرغم من ذلك لا تنتمي إلى منظمة التعاون الإسلامي.

■ الدين الرسمي: الدين الرسمي في إثيوبيا هو المسيحية الأرثوذكسية، مع أن عدد أتباعها من الإثيوبيين لا يزيد على (٤٢٪)، ويدين بقية السكان بالأديان الوثنية المحلية.

❖ انتشار الإسلام في إثيوبيا:

تعدّ إثيوبيا أول دولة في إفريقيا، بل في العالم كله يصل إليها الإسلام خارج الجزيرة العربية، إذ وصل الإسلام إليها في العهد النبوي المبكر، عندما طلب رسول الله ﷺ في العام الخامس بعد البعثة من بعض أصحابه الكرام رضي الله عنهم الذين كانوا يتعرضون للظلم والاضطهاد على يد كفار قريش، الهجرة إلى الحبشة، عند ملكها العادل النجاشي أصحمة بن أبجر الذي أكرم وفد الصحابة الذي كان يتألف من (١٢) رجلاً و(٤) نسوة، وقدم لهم كل ما يضمن لهم الأمن والاستقرار. ثم أرسل رسول الله ﷺ مجموعة أخرى من الصحابة تألفت من (٨٣) رجلاً و(١٨) امرأة. وقام هؤلاء الصحابة بنشر الإسلام ولو بشكل محدود بين سكان الحبشة. وليس غريباً أن يسلم بعض أهل الحبشة بسبب ما لمسوه من حسن سلوك الصحابة ورفعة أخلاقهم. وقد ورد في السيرة النبوية أنّ الرسول ﷺ صلى صلاة الغائب لما جاءه نبأ وفاة النجاشي، وأخبر الصحابة بأنه كان يكتُم إسلامه^(١). يعود الفضل في انتشار الإسلام في إثيوبيا بعد ذلك إلى جهود التجار والدعاة والمهاجرين المسلمين، وبشكل خاص من مصر والجزيرة العربية والهند، الذين وفدوا إلى إفريقيا الشرقية في عهد الدولة العباسية. ونتيجة لهذه الجهود، اعتنقت بعض القبائل الإثيوبية الإسلام.

(١) انظر، محمد رسول الله ﷺ، محمد رضا، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٣٩٥هـ/

١٩٧٥م)، (ص/٩٧-٩٨، ١٠٨).

ومع استقرار الإسلام في إثيوبيا وتوسّعه فيها، قامت مجموعة من الإمارات الإسلامية فيها، منها: إمارة بالي، وهدية، وداره.

وفي القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، بدأ البرتغاليون بالتغلغل في إفريقيا الشرقية، ووصلوا إلى الإمارات الإسلامية في الحبشة، فقام عددٌ من الزعماء المسلمين بالتصدي لهم، كان من أبرزهم الإمام أحمد بن إبراهيم الملقب بـ "جرين"، أمير إمارة هرر الذي قاد حركة الجهاد ضدهم في عام (٩٣٥هـ - / ١٥٢٨م)، وتمكّن من توسيع الحضور الإسلامي في الحبشة، لكن القوات الإثيوبية والبرتغالية استطاعت وقف تمدده والقضاء عليه عام (٩٥٠هـ / ١٥٤٣م).

وبعد وفاته استمر الصراع والتوتر بين الإمارات المسلمة، والإمارات الإثيوبية المدعومة من القوات الاستعمارية لعدة قرون، وانتهى بهزيمة المسلمين عام (١٨٨٧م) بتدخلٍ دولي ممثّل في دولة البرتغال، والكنيسة الكاثوليكية العالمية، وظهور الاستعمار الأوروبي، وهيمنته على القرن الإفريقي.

وفي القرن العشرين استطاعت إيطاليا بسط هيمنتها الكاملة على كامل الأراضي الإثيوبية بين عامي (١٩٣٦م) و (١٩٤١م).

قامت إثيوبيا بعد حصولها على الاستقلال من إيطاليا بضمّ بعض الأقاليم الإسلامية المحيطة بها، حيث قامت بضم إقليم أوغادين ذي الأغلبية المسلمة في أواخر خمسينات القرن العشرين، واستمر النزاع عليه بين الصومال وإثيوبيا حتى عام (١٩٩٣م) حيث تمّ الاتفاق على منحه الحكم الذاتي في إطار دولة إثيوبيا. وقد استولت إثيوبيا في بداية الخمسينات على إرتيريا، ولكن الشعب الإرتيري المسلم قاوم هذا الاحتلال بكلّ بسالة حتى تمكّن من نيل حريته واستقلاله بدعمٍ من الدول العربية والإسلامية في عام (١٩٩٣م)^(١).

(١) الموسوعة التاريخية الجغرافية، مسعود الخوند، ط ١ (لبنان، دار رواد النهضة العربية، د.ت)، (ص/٩٧) وما بعدها. أطلس دول العالم الإسلامي، شوقي أبو خليل، =

❖ أحوال المسلمين في إثيوبيا اليوم:

عانى المسلمون في إثيوبيا في العهد الملكي بقيادة هيلاسيلاسي (١٩٣٠-١٩٧٤م)، ثم في العهد الشيوعي بقيادة منغيستو هيلامريام (١٩٧٤-١٩٩١م)، اللذين خضعت لهما إثيوبيا بعد نيل استقلالها، من كثير من المضايقات والتقييد للحريات، والحرمان من حرية التدين والاعتقاد، والمنع من المشاركة في الحياة العامة، ولكنهم في العهد الجمهوري الديمقراطي الذي بدأ مع الرئيس ورئيس الوزراء الأسبق مليس زيناوي (١٩٩١-٢٠١٢م) تنفّس المسلمون الصعداء، ورأوا أنهم جزء أساسي من الوطن الإثيوبي، وأبدوا الثقة بالحكومة بعد إعطائهم نوعاً من الحرية السياسية والمشاركة في الحكم؛ فمثلاً كانت حكومة مليس تضم (١٢) وزيراً مسلماً، إضافة إلى إنشاء برامج تعليمية وتدريبية للمسلمين في كافة المناطق المسلمة المهمشة مثل فتح أول كلية إسلامية في أديس أبابا.

وشهدت حياة المسلمين تحسناً ملحوظاً على المستوى الاقتصادي والمشاركة في الحياة العامة. وبرز سياسيون مسلمون، أخذوا مواقع مهمة في بناء المجتمع والدولة الإثيوبية.

وقد وصل في عام (١٩١٨م) أول مواطن إثيوبي مسلم إلى منصب رئيس الوزراء وهو الأستاذ أبي أحمد الذي استطاع أن يجلب للمجتمع الإثيوبي الرخاء الاقتصادي والاستقرار السياسي والاجتماعي، بفضل انتهاجه سياسة تقوم على التآزر والتسامح، وتفعيل كل طاقات الشعب الإثيوبي بجميع أطيافه الدينية والعرقية والحزبية، ودمجها في عملية التنمية والتحديث.

= (ص/١٢١). حاضر العالم الإسلامي وقضايا المعاصرة، جميل المصري، ط ٢
(عمّان، دار أم القرى، ١٩٨٩م)، (ص/٤٠٤-٤٠٧).

وقد تمكن المسلمون في السنوات الأخيرة من زيادة ترسيخ وجودهم على جميع المستويات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، واستطاعوا تأسيس العديد من الجمعيات والمدارس والمعاهد والجامعات التي تسعى للحفاظ على حقوقهم، وتحصين هويتهم الإسلامية.

من أبرز هذه المؤسسات: "المجلس الأعلى الإسلامي الإثيوبي"، و"الهيئة العامة لعلماء إثيوبيا"، و"لجنة مسلمي إثيوبيا للتنمية والإغاثة"، و"الوكالة الوطنية الإسلامية للتنمية". و"معهد الدراسات الإسلامية والتقنية".

وتمكن الأزهر الشريف من بناء جامعة إسلامية، وتم افتتاح بنك إسلامي، وهو فرع تابع للبنك الإسلامي للتنمية^(١).



(١) دليل المؤسسات والمعاهد الإسلامية، رابطة العالم الإسلامي، ١٩٩٢م، (ص/٥٢-٥٣).
حاضر العالم الإسلامي، منشورات كلية الشريعة، جامعة دمشق، ٢٠١٤م، (ص/٢١٦-٢١٧).

Encyclopedia of Islam and the Muslim World, edited: Richard C. Martin, Macmillan Reference, USA, 231-232.

المبحث الثالث: المسلمون في تشاد

■ الموقع: تقع جمهورية تشاد في شمال وسط إفريقيا، تحدّها من الشمال ليبيا، ومن الغرب النيجر ونيجيريا والكاميرون، ومن الشرق السودان، ومن الجنوب جمهورية إفريقيا الوسطى.

■ المساحة: (١,٢٨٤,٠٠٠ كم^٢).

تصل نسبة المسلمين في تشاد اليوم إلى حوالي (٩٠٪).

■ اللّغة الرسمية: في تشاد هي الفرنسية والعربية، ولكن العربية تنتشر على نطاق واسع وبخاصة في الأجزاء الشمالية، وهي لغة التواصل بين أبناء معظم القبائل المسلمة في تشاد
■ العاصمة: إنجامينا.

كانت مستعمرة فرنسية منذ مطلع القرن العشرين، ونالت استقلالها عام (١٩٦٠م).

■ القبائل: من أشهر قبائلها المسلمة:

= التيبو، وبيلي: في الشمال.

= وقبائل الهوسا والفولاني والكانوري: في الوسط^(١).

❖ انتشار الإسلام في تشاد:

مثّلت تشاد نقطة اللّقاء الإسلامي القادم من شرق إفريقيا وغربها، وشهدت ولادة عدّة دول إسلامية عبر تاريخها منذ انتشار الإسلام فيها في القرن الخامس الهجري، منها:

(١) الموسوعة العربية الميسرة، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (٩٧٥-٩٧٦)، أطلس دول العالم الإسلامي، شوقي أبو خليل، (ص/٤٥).

● مملكة كانم: التي كانت تقع في شرق بحيرة تشاد الواقعة في جنوب غرب تشاد، اعتنق ملوكها الإسلام في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، واستمرت في الوجود إلى نهاية القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي. ثم تأسست بعدها مملكة برنو غرب بحيرة تشاد، واستمرت حتى سنة (١٨٩٤م) حيث سقطت بيد القوات المُستعمِرة الفرنسية.

ومن الممالك الإسلامية المهمة في تشاد مملكة واداي التي أسسها السلطان عبد الكريم، العربي الأصل في مدينة أبيشة شرق تشاد عام (١٦١١م)، واستمرت في الوجود حتى سقوطها بيد القوات الغازية الفرنسية في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي.

وتأسست مملكة باغيرمي التي تقع في جنوب وسط البلاد في مطلع القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، وازدهرت في أيام السلطان الحاج محمود الأمين (١٧٥١-١٧٨٥م)، وقد عمّ في عهده الإسلام في كافة أجزاء منطقة باغيرمي في جنوب وسط تشاد. واستمرت في الحياة حتى ضمّها الأمير رابح إلى السلطنة الإسلامية التي أنشأها في عام (١٨٩٢م).

● دولة الأمير رابح :

بعد نجاح الإنكليز في القضاء على الزبير بن سليمان سلطان دارفور في غرب السودان (١٨٧٩م)، توجه أحد قادته، وهو الأمير رابح، بصحبة ألف مقاتل إلى تشاد، وقام بإخضاع وتوحيد الممالك الإسلامية فيها (واداي، باغيرمي، كانم، برنو)، وأسس سلطنة إسلامية واحدة بقيادته في عام (١٨٩٢م)، وبدأ بترسيخ الإسلام فيها، لكنه ما لبث أن بدأ معاركة ضد الفرنسيين الذين كانوا يتفوقون عليه

في التجهيزات العسكرية الحديثة، وتمكّنوا في النهاية من قتله في إحدى المعارك التي خاضها ضدهم عام (١٩٠٠م)^(١).

❖ المسلمون في تشاد اليوم:

شهدت تشاد في العصر الحديث ولا سيما بعد الاستقلال عام (١٩٦٠م)، توسّعاً في نشاط الدعوة الإسلامية، وبناء الكثير من المؤسسات الدينية والتعليمية الإسلامية، نذكر منها: "الجنة مسلمي إفريقيا"، و"المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية"، و"معهد التربية الإسلامية"، و"معهد الثقافة الإسلامية"، و"معهد النهضة العربية"، و"جامعة الملك فيصل" التي أُنشئت في عام (١٩٩١م)، والتي تحمل على عاتقها نشر العلوم الإسلامية واللغة العربية وعلوم العصر الحديث في تشاد، وفي عموم إفريقيا، حيث يَفِد إليها الطلاب الأفارقة من جميع البلاد الإفريقية.

أما المعهد التعليمي الرائد في عموم تشاد فهو "المعهد الإسلامي" الذي أسّسه الشيخ الأزهري علي شعووضة (١٩٠٨-١٩٧٥م) في مدينة أبيشة عام (١٩٤٦م)، وكان النواة الرئيسة للحفاظ على العلوم الإسلامية، واللغة العربية، والشخصية الإسلامية لتشاد في الفترة الاستعمارية الفرنسية، وقد خرج هذا المعهد أعداداً كبيرة من الدعاة وطلاب العلم الذين تابعوا دراساتهم الجامعية في الجامعات الإسلامية، وبخاصة في الأزهر الشريف، وعادوا لينشروا العلم والدعوة وروح

(١) انظر، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، د. إسماعيل ياغي، محمود شاكر، الرياض، دار المريخ، ١٩٩٣م، (٢/١٩٦-١٩٨). حاضر العالم الإسلامي، نصار نصار، تيسير العمر، منشورات جامعة دمشق، ٢٠١٤م، (ص/١٩٨-٢٠٤).

الجهاد ضد المحتل الأجنبي في ربوع تشاد لذلك قام الاستعمار الفرنسي بإغلاق هذا المعهد عام (١٩٥٣م)^(١).

ومن أهم الدعاة المعاصرين في تشاد الزعيم القبلي علي رمضان ناجيلي الذي دخل على يديه عدد كبير من زعماء القبائل التشادية إلى الإسلام، وبخاصة في الجنوب التشادي معقل الوثنية والتبشير في تشاد.

❖ يواجه المسلمون في تشاد اليوم مجموعة من التحديات، منها:

١. وجود بعض الصراعات القبلية والدينية بين بعض مكونات المجتمع التشادي.
٢. الانتشار الكثيف للإرساليات التنصيرية في كل أجزاء تشاد، والتي تستقطب الشباب المسلم باستخدام كل وسائل الترغيب المادي مثل ضمان فرص الدراسة في أوروبا، والعودة لاستلام أعلى المناصب الحكومية.
٣. انتشار الفقر، والأمراض، والأمية في المجتمع المسلم في تشاد، وهذا الأمر يهدد طاقات المسلمين، ويحول بينهم وبين المشاركة الفاعلة في مختلف جوانب الحياة العامة في مجتمعهم.
٤. حدوث اشتباكات عسكرية بين تشاد وبين بعض الدول الحدودية المتاخمة لها، وهو الأمر الذي استنفذ جزءاً من مواردها البشرية والطبيعية، وبالتالي أثر على مسيرتها التنموية، واستقرارها الداخلي^(٢).

(١) العوامل الفكرية وانتشار الإسلام في تشاد، موسى عبد الرحمن عربي، (ص/٢٥٠) وما بعدها.

(٢) حاضر العالم الإسلامي، منشورات جامعة دمشق، (ص/١٩٩-٢٠٤).

المبحث الرابع: المسلمون في نيجيريا

■ الموقع : تقع نيجيريا في غرب إفريقيا، وتطل على خليج غينيا، يحدّها من الشمال النيجر ومن الشمال الشرقي تشاد، ومن الشرق الكاميرون، ومن الغرب بنين، ومن الجنوب المحيط الأطلسي.

■ أهم المدن :

- "أبوجا" العاصمة الجديدة، وهي مدينة داخلية حديثة.
 - "لاغوس" وهي العاصمة القديمة، وأكبر المدن النيجيرية، وتعدّ العاصمة الاقتصادية للبلاد، وهي ثاني أكبر مدينة في إفريقيا بعد القاهرة.
 - "كانو" تعد مدينة اقتصادية وصناعية وعلمية هامة تقع في شمالي نيجيريا، فيها "جامعة أحمد بيللو"^(١) الإسلامية.
 - "سوكوتو" تقع في شمالي غرب نيجيريا، وهي مدينة تاريخية عريقة، وكانت عاصمة إمارة إسلامية كبيرة أقامها الفولانيون في غرب إفريقيا.
- المساحة والسكان : تصل مساحتها إلى (٧٦٨, ٩٢٣) ألف كم^٢.

تعدّ نيجيريا أكبر دولة إفريقيا من حيث عدد السكان حيث يقترب عدد سكانها اليوم من (٢٠٠) مليون نسمة، وتصل نسبة المسلمين فيها إلى أكثر من (٦٥٪)، وهم في أغلبهم يتبعون المذهب المالكي.

(١) أحمد بيللو (ت ١٩٦٦م): أحد أعلام الفكر الإسلامي ورجال السياسة في نيجيريا، وقف في وجه الاستعمار البريطاني لوطنه في النصف الأول للقرن العشرين، وشارك في العمل الساسي بعد الاستقلال (١٩٦٠م)، وعمل على نشر الإسلام في القبائل الوثنية، ودافع عن الهوية الإسلامية لنيجيريا، وأسهم في تأسيس رابطة العالم الإسلامي في مكة.

وتصل نسبة المسيحيين في نيجيريا إلى حوالي (٢٥٪)، وباقي النيجيريين يعتقدون بعض الأديان الإفريقية الوثنية القديمة التي تقوم بشكل أساسي على عبادة الطبيعة.

■ القبائل : نيجيريا بلد متعدد الأعراق والقبائل ، حيث يوجد فيها أكثر من (٣٥٠) قبيلة تنتمي إلى عرقيات مختلفة تتكلم حوالي (٤٠٠) لغة محلية.

أما أشهر قبائل نيجيريا المسلمة أو ذات الأغلبية المسلمة فهي :

- الهاوسا والفلولاني : وتعيش في الشمال.
- الكانوري : وتعيش في الشمال الشرقي.
- اليوروبا : وتعيش في الغرب والجنوب الغربي.

يتجمع المسلمون في نيجيريا بشكل أساسي في القسم الشمالي منها الذي تهيمن عليه قبائل الهاوسا والفلولاني ، ويتجمعون بشكل أقل في الوسط ، وفي الغرب وفي الجنوب الغربي ، أما في القسم الجنوبي فالأغلبية فيه للمسيحيين ، مع ملاحظ وجود اللوثنيين النيجيريين في معظم أرجاء نيجيريا ، لكنهم يتركزون بشكل خاص في الجنوب.

■ اللغة الرسمية : الإنكليزية ، وتنتشر فيها بعض اللغات المحلية مثل الهاوسا والفلولاني واليوروبا ، وقد كانت اللغة العربية هي لغة العلم والثقافة فيها قبل الاستعمار البريطاني ، لأنه كان يوجد فيها آلاف المدارس القرآنية التي تعلم العربية وتنشرها.

■ الإدارة والاقتصاد : نيجيريا دولة اتحادية تتألف ثلاثين ولاية بالإضافة إلى العاصمة الاتحادية أبوجا.

وتعدّ من أهم الدول الإفريقية المنتجة للنفط ، وهي عضو في منظمة الدول المصدرة للنفط (أوبك) ، وتعدّ الدولة الثامنة عالمياً في تصدير النفط ، وفيها

مخزونات كبيرة من الغاز الطبيعي، والفحم الحجري، والقصدير والذهب والحديد.

وتحتل نيجيريا مركزاً متقدماً على المستوى العالمي في إنتاج الكاكاو والمطاط، وفيها ثروة حيوانية ضخمة، ويوجد فيها مصانع لتكرير النفط، والفولاذ، وتجميع السيارات^(١).

❖ انتشار الإسلام في نيجيريا:

بدأ انتشار الإسلام في الشمال الشرقي بين قبائل الكانوري، في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، كما بدأت قبائل الهاوسا تدخل إلى الإسلام في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، وانتشر بينهم انتشاراً واسعاً في القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، واستطاعت هذه القبائل تأسيس عدة إمارات إسلامية، من أهمها إمارة كانو، وبرنو.

ومنذ القرن السابع الهجري بدأت قبائل الفولاني تتدفق من الغرب، وبشكل خاص من السنغال، وتستقر في شمالي نيجيريا، وتختلط بشعوب الهاوسا.

وفي مطلع القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي ظهر بين الفولانيين العالم والقائد المسلم عثمان دان فوديو (ت: ١٢٣٢هـ - / ١٨١٧م)، الذي قام في عام (١٨٠٩م) بتوحيد قبائل الفولاني، وعمل على بسط نفوذه على قبائل الهاوسا في شمال نيجيريا، وأقام إمارة إسلامية كبيرة، واتخذ من مدينة سكو تو عاصمةً له. وقام بنشر الإسلام في المناطق الوثنية المجاورة لإمارته، ونشره بين قبائل اليوروبا الوثنية ومنطقة

(١) جغرافية العالم الإسلامي، رياض الجبان، (ص/ ٢٧٥-٢٨٣). الموسوعة العربية الميسرة: (٣٤٤٦/٢).

الغابات في الغرب والجنوب الغربي، وامتدَّ نشاطه الدعوي إلى النيجر وتشاد.

واستمرت أسرته بعد وفاته في عام (١٨١٧م) - وبشكل خاص أخواه محمد وعبد الله - تحكم إمارته وتقوم بتوسيعها حتى عم نفوذها كلَّ شمال نيجيريا، ولكنها مع مرور الوقت تعرّضت للضعف بسبب بعض النزاعات القبلية من الداخل، والهجمات الاستعمارية البريطانية من الخارج، حتى سقطت هذه الإمارة بشكل نهائي في عام (١٩٠٤) على يد الاستعمار الإنكليزي^(١).

لقد بدأ الإنكليز يوسعون نفوذهم الاستعماري في نيجيريا ابتداء من عام (١٨٦١م)، واستمر هذا النفوذ بالتوسع على الرغم من المقاومة الضارية التي أبداه المسلمون له، ولكن الإنكليز استطاعوا مطلع القرن العشرين احتلال كامل نيجيريا، وذلك باستخدام الدهاء السياسي إلى جانب القوة العسكرية، مستغلين الصراعات الدّاخلية بين النيجيريين أنفسهم، ولم ينته هذا الاحتلال إلّا في عام (١٩٦٠م)^(٢).

(1) **The Concise Encyclopaedia of Islam**, Cyril Glassé, Stacey International, London, 1989, p 374.

(٢) تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، د. إسماعيل ياغي، ومحمود شاكر، ط ١ (دار المريح، الرياض، ١٩٩٣م)، (٢/٢٤٢-٢٤٥). نيجيريا، محمود شاكر، ط ٢، ١٩٧١م، (ص/٤٦-٦١)، أطلس دول العالم الإسلامي، شوقي أبو خليل، (ص/١١٥).

❖ المسلمون في نيجيريا اليوم:

تنتشر في نيجيريا الطرق الصوفية انتشاراً واسعاً، وبشكل خاص القادرية والتيجانية، التي قامت وما زالت تقوم بعقد أوثق الصلات الأخوية بين أتباعها من أبناء المسلمين النيجيريين، وتقوم بتوفير الأرضية المناسبة لعقد العلاقات الطيبة بين جميع أبناء القبائل النيجيرية المختلفة.

وفي النصف الثاني من القرن العشرين ظهرت بعض المؤسسات الدينية والعلمية مثل:

- "جمعية الطلاب المسلمين" التي تملك نشاطاً ملموساً على مستوى الجامعات النيجيرية. _ "المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية" الذي يتابع شؤون المسلمين في نيجيريا ويقوم بتنظيم وتنسيق علاقتهم مع أبناء نيجيريا من المسيحيين وغيرهم.

- "منظمة اتحاد الجمعيات النسائية الإسلامية في نيجيريا" التي مارست دوراً بارزاً منذ ثمانينات القرن الماضي وحتى اليوم في توحيد وتنسيق جهود النساء المسلمات على مستوى نيجيريا بأكملها للدفاع عن حقوقهن، ومتابعة كل القضايا التي تتعلق بهن، ودفعهن إلى تحمل مسؤولياتهن في نشر الإسلام، والمساهمة في تحقيق استقرار المجتمع النيجيري وتحقيق نهضته. ويتبع اليوم لهذه المنظمة مئات الجمعيات النسائية، وهي تصدر مجلة "المرأة المسلمة"، وقد عقدت هذه المنظمة عدداً من المؤتمرات السنوية ناقشت فيها عدداً من القضايا الإسلامية الساخنة في المجتمع النيجيري، وبشكل خاص المتعلقة بالنساء.

وقامت منذ النصف الثاني من القرن العشرين مجموعة من المؤسسات والمراكز العلمية والجامعات التي تعنى بالدراسات الإسلامية، نذكر منها: "جامعة أحمد بيللو الإسلامية" التي تأسست في عام (١٩٦٢م) في مدينة كانو في الشمال

النيجيري، وهي أكبر جامعة في نيجيريا، وثاني أكبر جامعة في إفريقيا بعد جامعة القاهرة. و"جامعة عثمان دان فوديو" في مدينة سوكونو.

وظهرت أيضا بعض الشخصيات العلمية والدعوية التي رسّخت الوجود الإسلامي في نيجيريا، نذكر من هذه الشخصيات:

• الشيخ "أبو بكر غومي" (ت ١٩٩٢م): كبير قضاة نيجيريا الشمالية بين عامي (١٩٦٠-١٩٦٦م)، الذي قام بترجمة القرآن الكريم إلى لغة الهاوسا، ودعا كبار طلابه الذي كانوا يعملون في أهم وأكبر الجامعات النيجيرية إلى العمل على تفسير القرآن الكريم بطريقة تساعد المسلم على التكيف مع متطلبات العصر الحديث، وإيجاد الحلول لمشكلاته وأزماته التي تتحدى المسلمين، وتغوق نهضتهم.

ودعا إلى التمسك بالسنة النبوية المطهرة، وإلى تطبيق الشريعة الإسلامية، وإلى تطوير التعليم الإسلامي، والاهتمام بتعليم المرأة المسلمة، وزيادة دورها في المجتمع، والوقوف في وجه التأثيرات الغربية السلبية على ثقافة المسلمين ونظام حياتهم، ودعا أيضاً إلى تفعيل قيم العدل والمساواة بين جميع النيجيريين لبناء وطن نيجيري واحد، يعمل الجميع على حماية مصالحه، وينخرط الجميع في مشروع نهضته وتنميته في كافة المجالات^(١).

• آدم عبد الله الإلوري (١٩١٧-١٩٩٢م): أبرز الشخصيات العلمية والدعوية التي ظهرت في نيجيريا في العصر الحديث، ولد في عام (١٩١٧م) في

(١) تاريخ المجتمعات الإسلامية، أيرام. لايدس، ترجمة فاضل جتكر، ط ٢، (بيروت، دار الكتاب العربي، ٢٠١١م)، (١٢٢١/٢) ما بعدها. The Oxford Encyclopedia of the Modern Islamic World, 3/248-251.

قرية "واسا" في الجنوب الغربي من نيجيريا الحالية، بدأ دراسة العلوم الدينية في وطنه، ثم استكمل تحصيله العلمي في السودان ومصر التي فيها نال شهادته الجامعية من جامعة الأزهر، وقام برحلة علمية إلى بلاد الحرمين الشريفين.

نشأ في عهد الاحتلال البريطاني لنيجيريا، وشهد بأمر عينه حركات التبشير وراقب جهودها في التنصير في بلاده، ولاحظ حرص الاستعمار البريطاني على تصفية اللغة العربية بوصفها لغة الإسلام وثقافته، والعمل في مقابل ذلك على نشر اللغة الإنكليزية وجعلها اللغة الرسمية لمحو الصبغة الإسلامية لنيجيريا، لذلك رفع الشيخ آدم لواء التصدي للاستعمار العسكري والثقافي البريطاني لـ بلاده، وأول شيء قام به بعد عودته من رحلته العلمية هو تأسيس مركز "التعليم العربي الإسلامي"، حيث قام بتخريج جيل جديد من الدعاة والعلماء والباحثين في العلوم الإسلامية والعربية، وقام بتأليف كتبه ونشرها بالعربية على الرغم من إتقانه التام للإنكليزية، وكان يحث طلبته على التأليف بالعربية، وها هو يقول: "نصيحتي إلى الشباب أن يجدوا ويجهتدوا في الكتابة بالعربية، ولا يبالوا بالخطأ، ولا يكتثروا بالمادح والقادح كما فعلت أنا حين ظهرت بالكتابة"^(١).

تخرج في المركز الذي يديره ما يزيد على نصف مليون من طلاب العلم من أبناء نيجيريا وغانا وبنين وتوغو وساحل العاج، أصبح عدد كبير منهم من قادة تعليم العلوم الإسلامية والعربية في غرب إفريقيا في العصر الراهن.

(١) الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو الفلاني، آدم عبد الله الإلوري، تقديم عبد الحفيظ أولادوسو، ط ١، (القاهرة، دار الكتاب المصري، ٢٠١٤م)، (ص/٢٥).

وقد أسس فيما بعد "رابطة الأئمة والعلماء" لتوحيد جهود العلماء والدعاة والتنسيق بينهم، ورعاية أحوالهم، والإشراف على شؤون التعليم والدعوة الإسلامية في نيجيريا.

من مؤلفاته: "آثار العلم والفلسفة والتصوف في مسيرة الدعوة الإسلامية"، "الدين نصيحة"، "نظام التعليم العربي وتاريخه في العالم الإسلامي"، "تاريخ الدعوة إلى الله بين الأمس واليوم"، "الإسلام اليوم وغداً في نيجيريا"، "مصباح الدراسات العربية في الديار النيجيرية"، "الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو الفلاني".

توفي رحمه الله في عام (١٩٩٢م)، وتولى ابنه حبيب الله إدارة المركز التعليمي الذي أسسه، وتابع النهوض بأعباء الرسالة الدعوية والعلمية التي حملها والده من قبل، وهو اليوم من أبرز القيادات الدينية والعلمية في نيجيريا، وغرب إفريقيا بشكل عام^(١).

❖ أهم التحديات التي تواجه المسلمين في نيجيريا اليوم:

- يعاني المسلمون النيجيريون اليوم من تحديات كثيرة، من أهمها:
١. التقلبات السياسية والعسكرية الكثيرة التي عرفتها البلاد من تاريخ الاستقلال حتى اليوم.
 ٢. انتشار آفة العنف بين الجماعات العرقية والدينية والسياسية المتعددة في نيجيريا.
 ٣. انتشار الفقر والتميش الاقتصادي والسياسي والاجتماعي للمسلمين بشكل عام.

(١) المصدر السابق، آدم عبد الله الإلوري، (ص/١٧-٣٤).

٤. انتشار الحركات التنصيرية بين أبناء المسلمين، وإغرائهم بالمكاسب المادية، وتأمين فرص العمل والسفر، والحصول على الخدمات الصحية والتعليم مقابل التحول عن دينهم.
٥. الاختلافات الدينية الداخلية التي تعصف بوحدة المجتمع الإسلامي في نيجيريا، وتمنعه من التركيز على وحدة الصف، والاهتمام بالتنمية الاجتماعية والاقتصادية والعلمية، التي ترقى بأحوال المسلمين، وتحافظ على مصالحهم المشروعة.



المبحث الخامس: المسلمون في مالي

■ الموقع: تقع جمهورية مالي في غرب إفريقيا، وتحدها من الشمال الجزائر، ومن الشرق النيجر، ومن الجنوب بوركينا فاسو وساحل العاج، ومن الغرب والجنوب غينيا، ومن الغرب السنغال وموريتانيا. وهي دولة غير ساحلية، لا تطل على بحر أو محيط، لكن يمر بها نهر النيجر والسنغال.

- المساحة والمدن: تصل مساحتها إلى حوالي (١,٢٥٠,٠٠٠) كم^٢.
 - العاصمة: باماكو، وأهم مدنها: تمبكتو وغاو وكيدال.
 - اللغة الرسمية: في مالي هي الفرنسية، على الرغم من وجود أكثر من أربعين لغة محلية، وتعد اللغة العربية لغة متداولة بين معظم القبائل المالية.
 - السكان: تتألف مالي من قبائل كثيرة، من أهمها: الماندينغ، الفولاني، الصنغاي، الطوارق.
- تصل نسبة المسلمين فيها إلى (٩٣٪)، والوثنيين إلى (٦٪)، والمسيحيين إلى (١٪).

❖ انتشار الإسلام في مالي:

كانت مالي الحالية ذات يوم جزءاً من ثلاث ممالك إسلامية إفريقية غربية سيطرت على مالي وما جاورها من غرب إفريقيا، وهي مملكة مالي وغانا، وصنغاي، ودولة الحاج عمر الفولاني. ثم إن كل هذه الممالك الإسلامية ذهبت ضحية نزاعاتها الداخلية التي نشبت بينها، مما سهّل على الاستعمار الأوروبي أمر القضاء عليها جميعاً.

وعلى الرغم من ذلك فإن تاريخ هذه الدول لم يخل من صفحات بيضاء من الدعوة إلى الله سبحانه، وتوطيد الإسلام في أرجاء مالي.

نذكر في هذا السياق أنَّ مملكة مالي الإسلامية شهدت في عهد ملكها منسى موسى (٧١٢-٧٣٨هـ) توسعاً كبيراً، حيث امتدت من غرب السودان إلى المحيط الأطلسي، وازدهرت في عهده مدينة "تمبكتو" التي جعلها قاعدةً له، وأعلن تبعية مملكته للخلافة العباسية. وكان منسى موسى مسلماً متديناً، وقيل إنه كان يقوم ببناء المساجد الكبرى في جميع أنحاء مناطق نفوذه في مالي. وقد جعل قيامه بأداء فريضة الحج في مكة المكرمة منه شخصيةً معروفة حتى في التاريخ الأوروبي بسبب السخاء، والأعمال الكريمة التي عملها في أثناء طريقه إلى الحج، وأثناء عودته منه.

استولت فرنسا على مالي أثناء الزحف على إفريقيا أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، وجعلتها جزءاً من مستعمراتها في الغرب الإفريقي، وأطلقت عليها سنة (١٩٠٤م) اسم السودان الفرنسي. وفي عام (١٩٢٠م) أصبحت جزءاً من الاتحاد الفرنسي.

وفي عام (١٩٦٠م) استقلت كلٌّ من مالي والسنغال، وشكّلتا معا "اتحاد مالي"، وبعد أشهر قليلة انسحبت السنغال من هذا الاتحاد، واحتفظت مالي لنفسها باسم "جمهورية مالي" منذ عام (١٩٦٠م)^(١).

❖ المسلمون في مالي اليوم:

تعد مدينة تمبكتو التي أنشئت عام (٤٨٠هـ -) أهم مركز ديني وعلمي واقتصادي في غرب إفريقيا، وكانت مكانتها العلمية في إبان ازدهارها تضاهي مكانة القاهرة والقيروان وفاس وقرطبة.

(١) الموسوعة العربية الميسرة، (٦/٢٩٩١). تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، د. إسماعيل ياغي، ومحمود شاكر، (٢/٢٠٢-٢١١). حاضر العالم الإسلامي، تيسير العمر، منشورات جامعة دمشق، (ص/٢٠٤-٢٠٦).

كان يؤمها الطلاب من كافة أرجاء إفريقيا لتلقي العلوم الإسلامية وكان التعليم فيها باللغة العربية، وكان أثرياءها وتجارها يقومون باستضافة طلاب العلم الوافدين إليها، وتقديم كل التسهيلات لهم. وكان الطالب ينال منها إجازة علمية تؤهله للتدريس والقضاء والإمامة.

أنجبت تمبكتو عبر تاريخها عدداً من العلماء البارزين، نذكر منهم:

- الفقيه والمؤرخ أحمد بابا التمبكتي (ت: ١٦٢٧م)، من كتبه "نيل الابتهاج بتدريس الديباج" في تراجم علماء المالكية.
- المؤرخ والإمام عبد الرحمن السعدي (ت: ١٦٥٦م)، من كتبه "تاريخ السودان"^(١).

يوجد اليوم العديد من المدارس والمعاهد الإسلامية في مالي، من أشهرها: "مدارس دار القرآن والحديث" التي أسست منذ عام (١٩٥٩م) في مدينة طوبى على يد الشيخ محمد عبد القادر الطوبي، المشهور بـ (الحاج مودي دو كوري)، وعدد الطلاب في هذه المدارس يزيد على (٣٠٠٠) طالب وطالبة، وعدد فروعها في جمهورية مالي (٦٥) فرعاً. وقد فتحت في المدينة نفسها كلية للدراسات الإسلامية. ونذكر من بين المدارس الإسلامية الأخرى: "المدرسة العربية للتربية الإسلامية"، و"مدرسة النهضة الإسلامية"، و"المدرسة الإسلامية العالمية"^(٢).

(١) أطلس دول العالم الإسلامي، د. شوقي أبو خليل، (ص/١٠٣). الموسوعة العربية الميسرة، (١٠٣٢-١٠٣١/٢).

(٢) دليل المؤسسات والمعاهد الإسلامية، رابطة العالم الإسلامي، ١٩٩٢م، (ص/١٢٤-١٣٠).

Islam in Mali, From Wikipedia, the free encyclopedia.

❖ **يواجه المسلمون في مالي اليوم مشكلات وتحديات كثيرة، منها:**

١. الصدامات بين بعض المجموعات العرقية والقبلية والدينية التي تحول دون توفير الانسجام الكافي بين مكونات المجتمع المالي، وهذا الأمر يقف حجر عثرة في طريق نهضة هذا المجتمع وتقدمه في كافة المجالات.
٢. تمدد الإرساليات التنصيرية التي تقوم على دفع الشباب إلى التخلي عن دينهم مقابل الإغراءات والتسهيلات المادية والمعيشية التي تقدم لهم.
٣. هيمنة الثقافة الفرنسية على المؤسسات التعليمية الحكومية، والتأثير في مناهجها على حساب الشخصية الإسلامية للشعب المالي وهويته الحضارية^(١).



(١) حاضر العالم الإسلامي، نصار نصار، تيسير العمر، منشورات جامعة دمشق، (ص/٢٠٤-٢٠٦).

المبحث السادس: الإسلام في السنغال

■ الموقع : تقع السنغال التي كانت تسمى في السابق بـ - "بلاد التَّكرور" في الجناح الغربي لإفريقيا، تحدها من الشمال موريتانيا، ومن الشرق مالي، ومن الجنوب غينيا وغينيا بيساو، ومن الغرب المحيط الأطلسي.

■ المساحة: (١٩٢, ١٩٦ كم^٢).

■ من أهم مدن السنغال: داكار، وهي العاصمة، وهي أكبر مدينة سنغالية، وهي مركز تجاري نشيط، وهي من الموانئ الإفريقية المهمة، ولها مكانة علمية بسبب وجود أهم الجامعات ومراكز البحوث العلمية، مثل جامعة داكار، ومؤسسة أبحاث باستور العلمية. ومدينة كيديرا، وكوديجو.

■ اللغة الرسمية: هي اللغة الفرنسية ولكن لا تتقنها إلا أقلية سنغالية، ويتحدث عامة الناس بلغات قبائلية عديدة، وبشكل خاص لغة قبيلة الولوف التي تنتشر على نطاق واسع، فضلاً عن شيوع استخدام اللغة العربية أيضاً.

■ السكان والقبائل: تتألف السنغال من قبائل وعرقيات مختلفة.

وتصل نسبة المسلمين فيها إلى (٩٤٪)، يتبعون في أغليتهم المذهب المالكي. وتصل نسبة المسيحيين إلى (٥٪)، والبقية يدينون ببعض الأديان الإفريقية الوثنية المحلية.

■ أهم القبائل المسلمة فيها: الولوف، والسيرير، والتوكولور، والفولاني^(١).

❖ انتشار الإسلام في السنغال:

بدأ دخول الإسلام إلى السنغال على يد القائد الفاتح عقبة بن نافع الفهري في القرن الهجري الأول/ السابع الميلادي في عهد الخلافة الأموية، ولكن الإسلام

(١) جغرافية العالم الإسلامي، رياض الجبّان، (ص/ ٢٥٧ - ٢٧١).

لم ينتشر، ويترسخ فيها إلا عندما اعتنق ملك التَّكرور الإسلامَ في عام (١٦هـ -) على يد القائد والإمام عبد الله بن ياسين زعيم المرابطين، الذي أقام رباطاً دينياً عند مصب نهر السنغال، وانطلق منه للدعوة إلى الإسلام في غرب إفريقيا. قام هذا الملك بعد إعلان إسلامه بدعوة أبناء شعبه إلى الإسلام، فاستجاب له معظمهم، واعتنقوا الإسلام، وساعدهم على ذلك الأخلاق الكريمة التي لمسوها من التجار المسلمين القادمين من إفريقيا الشمالية. وفي نهاية القرن الخامس الهجري اعتنقت الإسلام قبائل الفولاني التي تعيش في السنغال.

ومن أوائل القرن السابع وحتى القرن الحادي عشر الهجري كانت أرض السنغال جزءاً من مملكة مالي الإسلامية.

وقد توسع انتشار الإسلام في السنغال في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين/ السابع عشر والثامن عشر الميلاديين، بفضل جهود الجماعات الصوفية، وبشكل خاص التيجانية والقادرية، وفي القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين أقام الفولانيون إمارة إسلامية كبيرة انتشرت في جنوب السنغال وامتدت إلى سيراليون، وقد امتازت هذه الإمارة التي حملت لقب "الإمامة" بالاعتناء الشديد بتعليم العلوم الإسلامية، والالتزام بالشعائر والقيم الإسلامية، والعمل الحثيث على نشر الرسالة والتعاليم الإسلامية في كل مكان استطاعوا الوصول إليه.

واستمر الإسلام بالانتشار والرسوخ والتجذر، وأصبح المسلمون في السنغال يمثلون النخبة السياسية والاقتصادية والعلمية في المجتمع السنغالي في القرن العشرين وحتى اليوم.

❖ أبرز الشخصيات الإسلامية في السنغال:

- الحاج عمر تال، (ت: ١٨٥٦م) المعروف بالحاج عمر، شيخ الطريقة التيجانية، الذي نشر هذه الطريقة في السنغال، وفي أجزاء عديدة من غرب إفريقيا.
 - الشيخ أمادو بامبا (ت: ١٩٠٠م) مؤسس الطريقة المريدية في السنغال، ترتبط هذه الطريقة بأوثق الصلات بالطريقة القادرية.
- وقد أصبح هذان الشيخان من الرموز الوطنية السنغالية الكبيرة في مكافحة الاستعمار والنفوذ الفرنسي في السنغال، وفي غرب إفريقيا بشكل عام.
- واستمر كفاح الشعب السنغالي تحت راية بعض العلماء والدعاة ضد الفرنسيين الذين تغلغلوا في داخل السنغال ابتداءً من القرن الثامن عشر الميلادي، حتى تمكن السنغاليون من طردهم من بلادهم، ونيل استقلالهم سنة (١٩٦٠م)^(١).

❖ المسلمون في السنغال اليوم:

على الرغم من أنَّ حضور الإسلام في الحياة العامة في السنغال محدود ومتواضع، ولكن السنغاليين استطاعوا بناء بعض الجمعيات والمؤسسات الدينية والعلمية التي تعمل بكل جدٍ ونشاط في سبيل حفظ الهوية الإسلامية للشعب السنغالي، ونشر تعليم اللغة العربية، على الرغم من محدودية إمكانياتها والمعوقات الكثيرة التي تواجهها. نذكر منها:

"جمعية النساء المسلمات للتربية والثقافة الإسلامية"، و"النادي الإسلامي للثقافة العربية في السنغال"، و"الجمعية الإسلامية لتعليم القرآن

(١) الموسوعة العربية الميسرة، (٤/١٩٠٦)، أطلس دول العالم الإسلامي، شوقي أبو خليل، (ص/٦١).

والسنة"، و"معهد الدراسات القرآنية العليا لدار الإسلام" و"الاتحاد الثقافي الإسلامي"، و"الاتحاد الوطني للجمعيات الثقافية الإسلامية في السنغال"، و"جمعية النهضة الإسلامية"^(١).

❖ يعاني الشعب السنغالي من مشكلات كثيرة، من أهمها:

١. سيطرة الثقافة الفرنسية على مدارس، وجامعاته، ومناهج التعليم فيها، التي تلقى كل الدعم والتمويل من الحكومة الفرنسية، في حين أن المؤسسات التعليمية الإسلامية، فقيرة ومتواضعة من حيث الإمكانيات، ومن حيث المناهج التعليمية.
٢. تتعرض السنغال مثل كل دول إفريقيا المسلمة إلى ضغط من حركات التنصير، والتغريب الأوربي التي تهدف إلى تذيب الهوية الإسلامية العريقة لهذا الشعب.
٣. وجود بعض التوتر العرقي والقبلي والديني بين أبناء الشعب السنغالي الواحد.
٤. مشكلات ونزاعات حدودية بين السنغال وبين جمهورية موريتانيا الإسلامية تعرقل حركة الأخوة، والتنمية، والتكامل الشاملة التي يسعى إليها هذا الشعبان المسلمان الشقيقان.
٥. أدى قيام دولة غامبيا في وسط السنغال بموجب معاهدة بين الاستعمارين الإنكليزي والفرنسي في القرن الماضي إلى ضرب الوحدة الجغرافية والبشرية للسنغال، وأعاق مشاريع التنمية الاقتصادية والاجتماعية فيها^(٢).

(١) المسلمون في السنغال معالم الحاضر وآفاق المستقبل، عبد القادر محمد سيلا، كتاب الأمة رقم (١٢)، قطر، ١٤٠٦هـ، (ص/١٥٦-١٦٦).

(٢) تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، د. إسماعيل ياغي، ومحمود شاكر، (ص/٢٢٣-٢٢٧). دليل المؤسسات والمعاهد الإسلامية، رابطة العالم الإسلامي، ١٩٩٢م، (ص/١٧٥-١٧٨). جغرافية العالم الإسلامي، رياض الجبان، (ص/٢٧١).

المبحث السابع: المسلمون في جمهورية جنوب إفريقيا

تضمّ جمهورية جنوب إفريقيا جاليةً إسلامية متواضعة الحجم حيث لا تزيد نسبتها عن أكثر من (٥٪) من مجموع عدد السكان^(١)، إلا أنها، على الرغم من ذلك، تُعدّ أهم وأنشط جالية إسلامية في القارة الإفريقية. ولها حضور متمدّد، وفاعل، ومؤثّر في كل مناحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعلمية والسياسية في جمهورية جنوب إفريقيا.

ولها اليوم دور كبير في نشر الإسلام فيها بوتيرة متصاعدة لافتة للنظر بسبب حكمتها، وأساليبها العلمية والحضارية الراقية في الحوار بين الأديان، وجهودها الملموسة في توحيد أبناء المجتمع الجنوب الإفريقي المتعدد الأديان والأعراق في سبيل تنمية وطنهم، والحفاظ على مصالحه العليا.

❖ انتشار الإسلام في جنوب إفريقيا:

وصل الإسلام إلى جنوب إفريقيا على ثلاث مراحل: المرحلة الأولى: حيث قامت القوات الاستعمارية الهولندية في أرخبيل الملايو وشرق إفريقيا وغربها في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين، في الفترة الواقعة بين (١٦٥٢-١٨٠٧م) بإرسال عدد كبير من المسلمين الإندونيسيين والماليزيين عقاباً لهم على مقاومتهم لها، إلى إقليم الكيب (رأس الرجاء الصالح) في جنوب إفريقيا.

من أبرز المسلمين في هذه المرحلة كان الشيخ يوسف شقيق (ت ١٦٩٩م) ملك جزيرة جاوة الإندونيسية، ورأس المقاومة للاحتلال الهولندي فيها، لذلك نفاه الهولنديون إلى جنوب إفريقيا برفقة حوالي (٥٠) مسلماً من أتباعه في عام

(١) تصل نسبة المسيحيين في جنوب إفريقيا إلى حوالي (٦٨٪)، ونسبة الهنود إلى حوالي (٢٪)، وينتمي بقية السكان إلى أديان إفريقية وثنية محلية.

(١٦٩٤م)، وقد بدأ بالدعوة إلى الإسلام هناك إثر وصوله مباشرة، وعُرف فيما بعد بأنه "مؤسس الإسلام في الكيب".

ونذكر أيضاً القاضي عبد السلام (ت ١٨٠٧م) من بلاد الملايو أيضاً، وهو الذي أرسى أسس بناء أول مسجد في جنوب إفريقيا.

المرحلة الثانية: حيث قامت القوات الاستعمارية البريطانية في القرن التاسع عشر الميلادي، وتحديدًا في الفترة الواقعة بين (١٨٦٠-١٩١٤م) بإرسال مجموعة كبيرة من عمال السخرة المسلمين من مستعمراتها في الهند إلى منطقتي الناتال والترنسفال في جنوب إفريقيا.

وفي الفترة الواقعة بين عامي (١٨٧٣-١٨٨٠م) وصلت مجموعة كبيرة من مسلمي زنجبار إلى جنوب إفريقيا.

كان الكثير من المسلمين الذين أتوا في هاتين المرحلتين ينتمي إلى طرق صوفية، وبشكل خاص إلى الطريقة القادرية، لذلك فإننا نجد حتى اليوم أن التصوف يعدّ ملمحاً أساسياً من ملامح الإسلام في جنوب إفريقيا، وقد أدى التصوف وما زال يؤدي دوراً بارزاً في نشر الإسلام والدعوة إليه هناك.

وقد أصدر المسلمون الهنود في نهاية المرحلة الثانية مجلة "الإسلام"، وهي مجلة دينية وسياسية كانت تصدر أسبوعياً بين عامي (١٩٠٧-١٩١٠م) في إقليم الناتال.

المرحلة الثالثة: بعد انتهاء نظام الفصل العنصري في جنوب إفريقيا في عام (١٩٩٤م)، وصلت موجة هجرة مسلمة إليها من عدد من البلاد الإسلامية بحثاً عن فرصة عمل وتحسين المستوى الاقتصادي، وبشكل خاص من دول شمال إفريقيا، وجنوب آسيا.

وقد استقر هؤلاء المهاجرون في المدن الكبرى، مثل دربان، وكيب تاون، وجوهانسبورغ.

❖ المسلمون في جنوب إفريقيا اليوم :

ازدادت في العقود الأخيرة نسبة الإقبال على الإسلام بين أبناء جنوب إفريقيا، لأنهم وجدوا فيه الملاذ الآمن لهم من الانهيار الأخلاقي الذي يتفشى في مجتمعهم، مثل الإباحية، والإيدز، والخمور والمخدرات، والعنف الأسري، وانتشار الجريمة المنظمة. فضلاً عن إعجابهم، مثل بقية الأفارقة، بالقيم الإسلامية العليا التي تضمن كرامة البشر جميعاً، وتحفظ الحقوق، والفرص المتساوية بينهم بغض النظر عن الأصل واللون والعرق. ولهذا فإن الإسلام هو الدين الأكثر نمواً وجاذبية في جنوب إفريقيا اليوم.

يشارك المسلمون اليوم في كافة مجالات الحياة العامة، ولهم مجموعة من الأحزاب السياسية التي تمثلهم بشكل سلمي وديمقراطي مثل "الحزب الإسلامي الإفريقي".

وفي سنة (١٩٩٤م) قامت أول حكومة ديمقراطية ألفها المؤتمر الإفريقي الوطني بقيادة نلسون مانديلا زعيم الكفاح الوطني الإفريقي ضد نظام الفصل العنصري، بتعيين أول مسلم وزيراً للعدل فيها تقديراً لجهود المسلمين بسبب وقوفهم إلى جانب إخوتهم الأفارقة في كفاحهم العادل ضد سياسة التمييز والفصل العنصري الذي مارسته الحكومات المتعاقبة لعشرات السنين^(١).

❖ المؤسسات الدينية والعلمية :

ينتشر في جنوب إفريقيا منذ القرن التاسع عشر الميلادي، وإلى اليوم عدد كبير من المساجد، يصل إلى المئات، من أقدمها "مسجد نور الإسلام" الذي بني في مدينة كيب تاون، عام (١٨٤٤م).

(1) The Oxford Dictionary of Islam, John L. Esposito, Oxford University Press, 2003, 299.

ويوجد في جنوب إفريقيا عددٌ من المؤسسات الدينية والدعوية التي تتابع وترعى شؤون المسلمين في كل المجالات. من أبرز هذه المؤسسات:

- "جمعية العلماء في ترنسفال": تأسست عام (١٩٢٣م).
 - "المجلس الفقهي الإسلامي في الكيب": تأسس في عام (١٩٤٥م).
 - "حلقة الدراسة العربية" في الكيب تأسست في عام (١٩٥٠م).
 - "المؤسسة الإسلامية المركزية" في جوهانسبرغ في عام (١٩٥٢م).
 - "معهد البحث الإسلامي للحوار بين الأديان": الذي يرمى الحوار الرشيد بين كافة المكونات الدينية المختلفة في جنوب إفريقيا، ويقم جسور التواصل والتعاون بينها، ويوفر لأبناء الديانات الأخرى كل المعلومات التي يحتاجونها لفهم الإسلام بصورة علمية سليمة.
 - "مجلس جنوب إفريقيا للحج والعمرة" الذي يعلم المسلمين أحكام الحج والعمرة، ويساعدهم على أدائها بشكل ميسر وسليم.
- ويوجد اليوم في جنوب إفريقيا عدد كبير من المدارس الإسلامية يصل إلى المئات، يتلقى فيها الطلاب المسلمون من داخل جنوب إفريقيا، ومن خارجها كل مواد التعليم الشرعي والعصري في وقت واحد.
- ومن رواد الحركة التعليمية الإسلامية في جنوب إفريقيا الطبيب والمصلح التربوي الدكتور عبد الرحمن (ت ١٩٤٠م) الذي قام بمساعدة رسمية من الحكومة بتأسيس عدد كبير من المدارس الإسلامية الابتدائية.
- ونذكر من أشهر المعاهد الشرعية في جنوب إفريقيا مثل "معهد دار العلوم في نيوكاسل" في الناتال. و"معهد حبشية الإسلامي" في الكيب الذي أسسه هناك أتباع طريقة هندية صوفية أسسها الشيخ الهندي غلام محمد حبشي (ت ١٩١٠م).
- ويذهب عدد من خريجي هذه المدارس لمتابعة الدراسة والتخصص في العلوم الإسلامية واللغة العربية في الجامعات والمعاهد والمدارس الدينية الكبيرة في

العالم الإسلامي، مثل مدرسة دار العلوم في ديوبند، ومدرسة دار العلوم في ندوة العلماء في الهند، وجامعة الأزهر الشريف في مصر.

وفي الفترة الأخيرة، قامت بعض الجامعات الحكومية في جنوب إفريقيا (مثل جامعة دربان ويست فيل) بافتتاح أقسام للدراسات الإسلامية فيها، يدرس فيها نخبة من العلماء المسلمين من جنوب إفريقيا، نذكر منهم الدكتور فريد إسحاق، والدكتور إبراهيم موسى.

ومن أبرز الجمعيات التي ترفع شؤون الشباب والطلبة الجامعيين المسلمين "منظمة الشباب الإسلامي في جنوب إفريقيا" التي تأسست في عام (١٩٧٠م) في دربان، والتي كانت تقوم بدور كبير في تنشيط الدعوة الإسلامية في جنوب إفريقيا، وكانت تدعو عدداً من كبار الشخصيات الإسلامية الدينية والعلمية مثل الدكتور إسماعيل راجي الفاروقي رحمه الله (ت ١٩٨٦م)، والدكتور أحمد خورشيد للإشراف على المؤتمرات والدورات التعليمية وتطوير شؤون الدعوة وتطوير جهود وقدرات العلماء والدعاة في جنوب إفريقيا.

وقد أسست هذه المنظمة مجموعة من الجمعيات الإسلامية المتميزة على الصعيد الإسلامي، والصعيد الاجتماعي العام، مثل:

"الجمعية الإسلامية الطبية"، و"جمعية جنوب إفريقيا لعلماء الاجتماع المسلمين"، و"صندوق الزكاة الوطني في جنوب إفريقيا"، و"حركة الدعوة الإسلامية في جنوب إفريقيا"، و"جمعية النساء المسلمات"، و"جمعية الطلبة المسلمين في جنوب إفريقيا" التي تأسست في عام (١٩٧٤م)، ولها فروع في كل أرجاء جنوب إفريقيا، و"وكالة الإغاثة الإسلامية".

وقد امتد نشاط المسلمين في جنوب إفريقيا إلى الإعلام، حيث أسسوا مجموعة من الإذاعات، مثل "راديو الإسلام"، والقنوات التلفزيونية المحلية والفضائية مثل "قناة الإسلام"، وأصدروا مجموعة من الصحف الإسلامية، مثل:

صحيفة "الإسلام طريق الحياة"، وصحيفة "القلم"، و"أخبار المسلمين" وكلها كانت ومازالت وسائل أساسية استخدمها المسلمون للتعبير عن أفكارهم الإسلامية، ومناقشة قضاياهم الاجتماعية والسياسية. كل هذا فضلاً عن مشاركتهم الفعالة في كل وسائل الإعلام العامة التي تشرف عليها الحكومة^(١).

في ضوء ما سبق، نستطيع القول بأن الحضور الإسلامي في جنوب إفريقيا يشكل أنموذجاً إسلامياً راقياً، يصلح للاقتداء به في بقية الدول الإفريقية المسلمة التي تضم جاليات إسلامية فيها، للاستفادة من خبرته ودروسه الحضارية، عسى أن يعمّ نور الإسلام في كل أرجاء إفريقيا، وتغدو بحق، بإذن الله تعالى، "قارة الإسلام".



(١) تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، د. إسماعيل ياغي، محمود شاكر، ط١ (دار المريخ، الرياض، ١٩٩٣م)، (٢/٢٧٤-٢٧٥).

The Oxford Encyclopedia of the Modern Islamic World, 4/93-95.

Islam in South Africa, From Wikipedia, the free encyclopedia.

الفصل الخامس

المسلمون في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية وكندا

وأستراليا

ويتضمن أربعة مباحث :

المبحث الأول: المسلمون في أوروبا

المبحث الثاني: المسلمون في الولايات المتحدة الأمريكية

المبحث الثالث: المسلمون في كندا

المبحث الرابع: المسلمون في أستراليا

المبحث الأول: المسلمون في أوروبا

يعود الحضور الإسلامي في القارة الأوروبية إلى أزمان بعيدة، وهو حضور متجدد ومستمر حتى الوقت الحاضر، على الرغم من أنه قد تعرّض إلى لحظات مدّ وجزر كثيرة منذ لحظة وصوله إليها. وهذا الحضور يتجسّد الآن بأشكال ومظاهر متعددة ومتنوعة، تختلف من بلد إلى آخر حسب عوامل كثيرة، منها:

- الموقع الجغرافي بالنسبة للعالم الإسلامي.
- العلاقة التاريخية التي كانت تربط هذا البلد بالدول الإسلامية التي وقعت تحت قبضته الاستعمارية في السابق.
- قوانين الهجرة والمواطنة فيه.
- فضلاً عن مساحة التسامح الديني، والمجالات العملية والاقتصادية التي تُفتح أمام المسلمين للعيش بحرية وكرامة وازدهار دون المساومة على هويتهم الدينية، والحيلولة دون التمسك بحقهم في الالتزام بأحكام دينهم.

قبرص

بدأت علاقة المسلمين بأوروبا في القرن الهجري الأول في عام (٢٧هـ/٦٤٧م)، عندما فتح معاوية بن أبي سفيان والي الشام، في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه قبرص، وهي جزيرة في البحر الأبيض المتوسط تقع بين السواحل السورية والتركية واليونانية، وكان في جيش معاوية الصحابة أم حرام مع زوجها عبادة بن الصامت، ومعهم من الصحابة أبو الدرداء وأبو ذر وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين. وماتت أم حرام في قبرص، وقبرها موجود إلى اليوم، ويعرف هناك باسم "قبر المرأة الصالحة". واستمر وجود الإسلام في قبرص إلى اليوم بغض النظر عن حالات المدّ والجزر التي عاشها الوجود الإسلامي في تلك البلاد.

وتصل نسبة المسلمين اليوم في عموم قبرص إلى أكثر من (٣٠٪). وفي عام (١٩٧٥م) انقسمت قبرص إلى منطقتين تركية في الجزء الشمالي، ويونانية في الجزء الجنوبي، ومنذ ذلك التاريخ إلى اليوم يسعى الشعب القبرصي لاستعادة وحدة جزيرته ووحدة شعبها، وضمان حرية التدين والاعتقاد مع ضمان حقوق المواطنة للجميع^(١).

المسلمون في الأندلس

أطول وجود إسلامي عرفته البلاد الأوروبية هو الوجود الإسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية (إسبانيا والبرتغال اليوم) التي عرفت في التاريخ الإسلامي ببلاد الأندلس.

بدأ هذا الوجود عندما أمر الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك عامله على إفريقيا موسى بن نصير بفتح بلاد الأندلس في سنة (٩٢هـ/٧١١م)، فقام بتجهيز جيش من المسلمين تعداده سبعة آلاف مقاتل بقيادة طارق بن زياد، فعبر البحر من مدينة (سبتة) المغربية، ونزل في المنطقة الصخرية التي لا تزال تحمل اسمه حتى اليوم، أعني جبل طارق.

وبعد عامين من المعارك والمناوشات بين المسلمين والفرنجة تمكّن المسلمون من فتح الجزيرة، وبسط النفوذ الإسلامي فيها، وقد استمر هذا الوجود الذي تعاقبت عليه دول عديدة لمدة تصل إلى ثمانية قرون (٩٢ – ٨٩٨هـ/٧١١ – ١٤٩٢م)^(٢). وقد بلغ ذروته في عهد الخلافة الأموية في الأندلس (٣٠٠-٤٢٢هـ/٩١٢-١٠٣١م).

(١) أطلس دول العالم الإسلامي. شوقي أبو خليل، (ص/١٧٤).

(٢) بين العقيدة والقيادة، محمود شيت خطاب، ط١، دمشق دار القلم، ١٩٩٨م، (ص/٢٥٦-٢٥٨).

وقد انحسر الحكم الإسلامي في الأندلس نهائياً بسقوط غرناطة عام (٨٩٨هـ / ١٤٩٢م).

على الرغم من التقلبات السياسية العديدة التي شهدتها الحكم الإسلامي في الأندلس، فإن المسلمين قد أقاموا حضارة إسلامية وازدهاراً في تلك البلاد الأوروبية، فقد نبغ فيها عدد كبير من علماء الإسلام وأعلامه في كافة المجالات الدينية والأدبية والعلمية، نذكر منهم:

- الإمام ابن حزم الأندلسي صاحب كتاب "المحلّى"، ومجدد المذهب الظاهري في الأندلس.
- الأصولي أبو إسحق الشاطبي صاحب كتاب "الموافقات في أصول الشريعة" في أصول ومقاصد الشريعة، وكتاب "الاعتصام".
- القاضي أبو بكر ابن العربي الإشبيلي صاحب تفسير "أحكام القرآن"، وكتاب "العواصم من القواصم".
- المفسر ابن عطية الغرناطي صاحب كتاب "المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز".
- الإمام القرطبي صاحب تفسير "الجامع لأحكام القرآن".
- الحافظ أبو عمر ابن عبد البر القرطبي: صاحب كتاب "الاستيعاب في معرفة الأصحاب"، و"الاستذكار" شرح موطأ الإمام مالك.
- الطبيب والفيلسوف ابن طفيل صاحب كتاب "حي بن يقظان".
- الصوفي الفيلسوف محيي الدين بن عربي صاحب كتاب "الفتوحات المكية".
- الفقيه والفيلسوف ابن رشد صاحب كتاب "بداية المجتهد ونهاية المقتصد" و"الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة"، و"فصل المقال في تقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال".

● المؤرخ والفيلسوف ابن خلدون صاحب "مقدمة ابن خلدون" التي اكتشف فيها قوانين نهوض الأمم والحضارات وسقوطها، والتي عدَّ بسببها مؤسساً لعلم الاجتماع، ورائداً من رواد علم التاريخ وفلسفته.

ومنهم: ابن خفاجة، ولسان الدين ابن الحطيب، وابن زيدون في الأدب والشعر، والفلكي أبو القاسم المجريطي، والطبيب الجراح أبو القاسم الزهراوي. وقد شهدت الأندلس في العهد الإسلامي حركةً فكريةً، ونهضةً عمرانية، وتقدمًا حضارياً كبيراً في بناء المدن والقصور والبيوت والري والزراعة والطب والجراحة وعلم النبات والفلك والرياضيات.

وبنى المسلمون المدارس والمعاهد العلمية التي كانت مقصد الأوروبيين لتلقي العلم والمعرفة، فضلاً عن حركة الترجمة العلمية والفلسفية التي قام بها الأوروبيون لنقل العلوم والفلسفة من الأندلس إلى بلاد الغرب.

وقد حفظ لنا التاريخ وثيقة مهمة تُظهر رغبة الغرب الشديدة في اقتباس العلم من مسلمي الأندلس، وهي رسالة من "جورج الثاني" ملك انكلترة والغال والسويد والنرويج إلى الخليفة الأموي في الأندلس هشام الثالث، نصّ الوثيقة: "من جورج الثاني ملك انكلترة والغال والسويد والنرويج إلى الخليفة ملك المسلمين في مملكة الأندلس صاحب العظمة هشام الثالث الجليل المقام.

بعد التعظيم والتوقير فقد سمعنا عن الرقي العظيم الذي تتمتع بفيضه الصافي معاهد العلم والصناعات في بلادكم العامرة، فأردنا لأبنائنا اقتباس نماذج من هذه الفضائل، لتكون بداية حسنة في اقتفاء أثركم لنشر أنوار العلم في بلادنا التي يسودها الجهل في أركانها الأربعة، ولقد وضعنا ابنة شقيقنا الأمير "دوبانت" على رأس بعثة من بنات أشراف انكلترة، لتتشرف بلشم أهداب العرش، والتماس العطف، لتكون مع زميلاتنا موضع عناية عظمتكم، وحماية الحاشية الكريمة، وحَدِّب من اللواتي سيتوفرن على تعليمهن ...

ولقد أرفقتُ مع الأمير الصغيرة هدية متواضعة لمقامكم الجليل، أرجو التكرم بقبولها مع التعظيم والحب الخالص... من خادمكم المطيع جورج. م. أ. (١).

أولاً: المسلمون في أوروبا الشرقية

حاول المسلمون، بعد فتح الأندلس، التقدم في بلاد الغال (فرنسا وبلجيكا الحاليتين) لكنهم توقّفوا في عام (١١٣هـ/٧٣٢م) إثر هزيمتهم في معركة بلاط الشهداء في مدينة بواتيه في جنوب فرنسا. ولكن حركة الفتوحات الإسلامية لم تتوقف في أوروبا تماماً بل امتدت لتصل إلى بعض الجزر في البحر المتوسط القريبة من العالم الإسلامي، مثل صقلية ومالطة اللتين خضعتا للحكم الإسلامي لمدة تزيد على القرنين والنصف من عام (٢١٢هـ - /٨٢٧م إلى ٤٨٤هـ/١٠٩١م)، بسبب غزو القوات النورماندية لهما، والاستيلاء عليهما.

عاد المسلمون إلى أوروبا بعد خروجهم من الأندلس مع موجات جيوش الدولة العثمانية التي بدأت بدخول بلاد البلقان في منتصف القرن الرابع عشر الميلادي، وفي عام (٨٥٧هـ - /١٤٥٣م) استطاع المسلمون فتح القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية، التي ضموها إلى العالم الإسلامي، وأصبحت منذ ذلك التاريخ تحمل اسم "إستانبول".

وبعد ذلك حاول العثمانيون التمدد في غرب أوروبا، وشمالها لدرجة أنّ جيشهم وصل إلى أسوار فيينا عاصمة النمسا، وقام بمحاصرتها، ولكنه فشل في اختراقها عام (٩٣٦هـ/١٥٢٩م). وكانت نتيجة ذلك ظهور أعداد كبيرة من المسلمين في كافة بلاد البلقان (اليونان، صربيا، البوسنة والهرسك، كوسوفو، مقدونيا، ألبانيا، وبلغاريا، رومانيا) بسبب دخول أعداد كبيرة من أبناء تلك البلاد

(١) كواشف زيوف، عبد الرحمن حبنكة الميداني، ط٢، دمشق، دار القلم، ١٩٩١م، (ص/٤٠-٤١).

في الإسلام، بالإضافة إلى هجرة عدد كبير من الأتراك المسلمين إليها واستقرارهم فيها. وفي هذه المرحلة أصبح معظم الشعب الألباني والشعب البوسني مسلماً. وامتد بعد ذلك الحضور الإسلامي في أوروبا إلى ليتوانيا وبولندا وهنغاريا حيث بقي في هذه البلاد من القرن الخامس عشر إلى القرن السابع عشر الميلادي. وقد تقلص الوجود الإسلامي في بولندا وهنغاريا، وفي رومانيا وبلغاريا واليونان، وفي أماكن أخرى في أوروبا في مطلع القرن العشرين إثر الحرب العالمية الأولى التي انتهت بسقوط الدولة العثمانية في عام (١٩١٨م)، وانسحابها من كل البلاد الأوروبية التي سبق لها أن دخلتها، ولكنها على الرغم من ذلك تركت وراءها تجمعات إسلامية كبيرة في كل هذه البلاد. استعاد الوجود الإسلامي حيويته في منطقة البلقان بسبب انهيار يوغسلافيا الاتحادية في عام (١٩٩١م)، ونشوب حروب عرقية في منطقة البلقان في تسعينات القرن الماضي، الأمر الذي أدى إلى ولادة دول ذات أغلبية مسلمة، وهي:

جمهورية ألبانيا

ألبانيا هي إحدى دول إقليم البلقان الواقع في جنوب شرق أوروبا. يحدها من الشمال الغربي الجبل الأسود، وكوسوفو من الشمال الشرقي، وجمهورية مقدونيا من الشرق، واليونان من الجنوب والجنوب الشرقي. تطل ألبانيا على البحر الأدرياتيكي في الغرب وعلى البحر الأيوني في الجنوب الغربي.

تصل مساحتها إلى (٧٤٨,٢٨ كم^٢).

وعاصمتها: "تيرانا".

وتصل نسبة المسلمين فيها إلى (٨٠٪).

فتح العثمانيون ألبانيا في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين أثناء محاولات تقدم جيوشهم في غرب أوروبا وشمالها، وقد انتشر الإسلام فيها وترسخ في القرون التالية، وأصبحت ألبانيا جزءاً من الدولة العثمانية منذ القرن السادس عشر الميلادي.

وفي عام (١٩١٢م) تم تأسيس دولة ألبانيا التي تمتعت بحكم ذاتي في إطار الدولة العثمانية. ولكن بعد نهاية الحرب العالمية الأولى التي انتهت بهزيمة الدولة العثمانية انفصلت ألبانيا عنها في عام (١٩٢٣م)، وتم اقتطاع أجزاء من ألبانيا، وضمها إلى الدول المجاورة بتخطيط ورعاية من بريطانيا وفرنسا (ضم إقليم كوسوفا إلى صربيا، وإقليم كاميريا إلى اليونان)، وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية دخلت ألبانيا في مرحلة الحكم الشيوعي فيها، وفي عام (١٩٦٧م) منعت السلطات الشيوعية كل المظاهر الدينية والجمعيات والمؤسسات الإسلامية في البلاد، وأغلقت كل المساجد، والمدارس والمعاهد الإسلامي، واستمر هذا التضييق على المسلمين فيها حتى انهيار الحكم الشيوعي فيها عام (١٩٩١م)، حيث شهدت ألبانيا منذ ذلك التاريخ وحتى اليوم استعادة واضحة للوجود والهوية الإسلامية فيها، حيث تم إعادة فتح المساجد، وتشيد مئات المساجد الأخرى، وانتعاش الحركة العلمية الإسلامية والاجتماعية فيها، فقد تم تأسيس عشرات المؤسسات والجمعيات الإسلامية فضلاً عن تأسيس عشرات المدارس والمعاهد والكليات الإسلامية، وإرسال أعداد كبيرة من الشباب الألباني لتلقي العلوم الإسلامية في حواضر العلم في العالم الإسلامي، وبشكل خاص في تركيا، ومصر وسوريا وماليزيا، حيث نجد أعداداً كبيرة من الطلبة الألبان في هذه البلاد يتخصصون في كل التخصصات العلمية والإسلامية، ويعودون إلى بلادهم لتعليم أبناء وطنهم وتنشيط الحياة الدينية والعلمية في كافة المجالات. وتوجد في ألبانيا

مؤسسة كبيرة تنسق جهود هؤلاء الخريجين تدعى "اتحاد خريجي الجامعات الإسلامية في ألبانيا".

من بين أهم المؤسسات الدعوية والعلمية الموجودة في ألبانيا اليوم نذكر: "المركز الإسلامي في تيرانا"، و"مجمع التضامن الإسلامي في تيرانا"، و"المنتدى الإسلامي الألباني" و"معهد التفكير والحضارة الإسلامية الألباني". وألبانيا اليوم هي العضو الأوروبي الوحيد الذي يتمتع بالعضوية الكاملة في منظمة "التعاون الإسلامي".

وهي دولة عضو في حلف شمال الأطلسي، ومنظمة الأمن والتعاون في أوروبا، ومجلس أوروبا، ومنظمة التجارة العالمية، وأحد الأعضاء المؤسسين للاتحاد من أجل المتوسط.

جمهورية البوسنة والهرسك

تقع البوسنة والهرسك، وهي إحدى جمهوريات يوغوسلافيا السابقة، في جنوب أوروبا، يحدها من الشمال والغرب والجنوب كرواتيا، ومن الشرق صربيا والجبل الأسود. لها منفذ من جهة الجنوب الغربي على البحر الأدرياتيكي، تسيطر عليه كرواتيا.

وكان لموقعها دور هام في عبور الجيوش العثمانية جنوب أوروبا حتى وصلت إلى بلغراد وحتى أسوار فيينا.

تصل مساحتها إلى (١٢٩, ٥١ كم^٢).

وعاصمتها "سرايفو".

وتصل نسبة المسلمين فيها إلى (٧٥٪). وبقية السكان من الصرب والكروات المسيحيين.

وهي عضو مراقب في منظمة التعاون الإسلامي.

حازت على استقلالها بعد تفكك الاتحاد اليوغسلافي في عام (١٩٩١م). ولكنها تعرّضت لحرب مدمرة شنتها عليهم القوات الصربية بين عامي (١٩٩٢-١٩٩٥م)، خلّفت أكثر من ثلاثين ألف قتيل، ودمرت البنية التحتية لها، فضلاً عن تدمير عدد كبير من المساجد والمؤسسات والمعالم الإسلامية فيها، لكن مسلمي البوسنة منذ نهاية التسعينات (بزعامة الرئيس المفكر علي عزت بيجوفيتش (ت ٢٠٠٣م) أول رئيس لجمهورية البوسنة والهرسك بعد نهاية حرب البوسنة، وصاحب كتاب "الإسلام بين الشرق والغرب"، و"عوائق النهضة الإسلامية") يسعون لاستئناف أنشطتهم الإسلامية، وإحياء هويتهم الإسلامية من خلال بناء عدد كبير من المساجد والمؤسسات الدينية والدعوية والعلمية الإسلامية.

جمهورية كوسوفو

تصل مساحتها إلى (٥٧٧, ١٠ كم^٢)، وعاصمتها "بريشينا".
وتصل نسبة المسلمين فيها إلى حوالي (٩٥٪).
حصلت على استقلالها من صربيا في عام (٢٠٠٨م).

جمهورية مقدونيا

تصل مساحتها إلى (٢٥, ٧١٣ كم^٢)، وعاصمتها "سكوبية".
وتصل نسبة المسلمين فيها إلى حوالي (٧٠٪).
حازت على استقلالها بعد تفكك الاتحاد اليوغسلافي في عام (١٩٩١م)^(١).

(١) أطلس دول العالم الإسلامي، د. شوقي أبو خليل، (ص/١٥، ٣٩، ١٢٩).

ثانياً: المسلمون في أوروبا الغربية

بدأ تدفق المسلمين إلى أوروبا الغربية في النصف الثاني للقرن التاسع عشر الميلادي يزداد بسبب استقدام الغربيين الكثير من مسلمي مستعمراتهم للعمل في مشاريع البنية التحتية، والمزارع والمصانع، ومناجم الفحم في بلادهم. وشهدت أوروبا في النصف الثاني من القرن الماضي أيضاً تزايداً في أعداد المسلمين بسبب قنوات عديدة، من أهمها: الالهتداء إلى الإسلام، والهجرة من العالم الإسلامي.

ومنذ نهاية الحرب العالمية الثانية قامت الدول الأوروبية، وبشكل خاص الدول التي شاركت في الحرب (ألمانيا، فرنسا، بريطانيا)، باستقدام أعداد هائلة من العمالة الإسلامية من دول المغرب العربي، وغرب إفريقيا، وتركيا، وشبه القارة الهندية كي تسهم في إعادة إعمار أوروبا، وتزويد الحياة الصناعية والزراعية باليد العاملة الرخيصة لتعويض خسائرهم البشرية في أتون الحرب العالمية الثانية، والعمل على استعادة مكانة أوروبا العلمية والاقتصادية.

وقد استقر معظم المسلمين في فرنسا، وألمانيا، وبريطانيا، والنمسا، وهولندا، وبلجيكا، والدول الإسكندنافية (السويد، النرويج، الدنمارك)، ودفعهم استقرارهم هذا إلى بناء مساجد، ومؤسسات لتعليم الإسلام، والدعوة إليه في كل أنحاء أوروبا.

ففي فرنسا بنى المسلمون أول مسجد لهم في باريس في عام (١٩٢٢م). وفي بريطانيا بنى المسلمون في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي أول مساجدهم في مدينة ليفربول، وفي ضواحي لندن، وبنوا المسجد الكبير، والمركز الإسلامي في لندن في عام (١٩٧٧م).

وقد استقر المسلمون في ألمانيا منذ القرن التاسع عشر الميلادي بسبب علاقات التعاون التاريخي بين ألمانيا والدولة العثمانية، والتحالف بينهما في

الحرب العالمية الأولى ، واستطاع المسلمون بناء أول مساجدهم فيها في عشرينات القرن الماضي.

ويعود النمسا الوجود الإسلامي فيها إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي بسبب استيلاء الإمبراطورية النمساوية الهنغارية على البوسنة والهرسك ، وانتزاعها من الدولة العثمانية في عام (١٨٧٨م) ، وبعد زمن يسير كان في فيينا مفت مسلم لرعاياها المسلمين. وبعد مدة من هذا التاريخ سمحت المحاكم النمساوية بالعمل وفق قانون الأحوال الشخصية الإسلامي لرعاياها المسلمين. وقد اعترفت كل من النمسا في عام (١٩٧٩م) ، وبلجيكا في عام (١٩٧٤م) ، وإسبانيا في عام (١٩٩٢م) بالإسلام بوصفه ديناً رسمياً فيها ، أي لأتباعه كل الحقوق الدينية والمدنية المكفولة في الدستور والقانون لأتباع الدين المسيحي واليهودي.

يصل عدد المسلمين في أوروبا اليوم إلى ما يزيد على (٥٠) مليون مسلم ، أي ما يزيد على (٧٪) من مجموع سكان أوروبا. وتعد فرنسا أكبر دولة أوروبية من حيث نسبة المسلمين حيث يصل عددهم إلى أكثر من (٦) ملايين مسلم (وأغلبهم من المستعمرات الفرنسية السابقة في دول شمال وغرب إفريقيا).

ويزيد عدد المسلمين في ألمانيا على (٤) ملايين مسلم (أغلبهم من تركيا). ويصل عددهم في بريطانيا إلى ما يزيد على الثلاثة ملايين (أغلبهم من المستعمرات الإنكليزية في شبه القارة الهندية في جنوب آسيا).

ويشارك مسلمو أوروبا اليوم بشكل فاعل في الحياة الاجتماعية والسياسية والعلمية في البلاد التي يعيشون فيها ، وقد أصبح عدد منهم بعد حصولهم على الجنسية ، واكتسابهم حقوق المواطنة الكاملة ، أعضاء في مجالس محلية ، وأحزاب ، وبرلمانات بلادهم ، بل وصل بعضهم إلى مناصب قيادية في الحياة

العامة، فعمدة لندن في هذه الأيام هو مسلم من أصول باكستانية. ووزيرة العدل في فرنسا مسلمة من أصول مغربية.

ويشارك المسلمون بفعالية في الحياة الاقتصادية، حيث يقوم بعضهم بافتتاح مشاريع اقتصادية كبرى، ويشارك في الحياة العلمية، حيث يوجد منهم الآن عدد من أجمع العلماء والأكاديميين في أرقى الجامعات الأوروبية.

وقاموا بتأسيس عدد من المعاهد التعليمية العالية التي تختص بتدريس العلوم الإسلامية لمسلمي أوروبا.

❖ الإسلام في فرنسا اليوم:

أصبح الإسلام منذ ستينيات القرن العشرين، الدين الثاني في فرنسا، بعد الكاثوليكية، وقبل البروتستانتية واليهودية. وينتشر المسلمون في مدن فرنسا وفي ريفها على السواء.

أصل أغلب المسلمين من أبناء أو أحفاد الطبقة العاملة الوافدة من المغرب العربي (الجزائر والمغرب وتونس)، ويوجد أيضا مسلمون منحدرين من إفريقيا، لاسيما من البلاد التي كانت قد استعمرتها فرنسا في غرب إفريقيا مثل مالي والسنغال والنيجر وساحل العاج، كما يوجد كذلك مسلمون من بلاد المشرق العربي مثل سوريا ومصر والعراق وفلسطين، إضافة إلى أعداد كثيرة من المسلمين الأتراك. فضلا عن مئات الآلاف من المهتدين الفرنسيين إلى الإسلام.

يتراوح عدد المسلمين في فرنسا، حسب إحصاءات غير رسمية، ما بين ٥ و٧ ملايين نسمة، ووفقا لهذا العدد فإن نسبة المسلمين بشكل في فرنسا تصل إلى حوالي ٨٪ من مجموع عدد السكان.

يوجد اليوم أكثر من ثلاثة ملايين مسلم يحمل الجنسية الفرنسية ويتمتعون قانونياً، بكامل حقوقهم، وعليهم من الواجبات ما على كل الفرنسيين.

فمن المسلمين وزراء ومستشارون وأعضاء برلمان، ورؤساء بلديات. أما عدد الطلاب والأطُر العليا كآساتذة الجامعات والباحثين، والمهندسين والأطباء والفنيين وحتى السياسيين فهو في تزايد مستمر وملحوظ. ويوجد اليوم في فرنسا أكثر من ألفي مسجد. ويوجد فيها عدد كبير ومتزايد من الجمعيات والمؤسسات الدعوية والعلمية الإسلامية، نذكر منها:

■ المعهد الإسلامي ومسجد باريس الكبير الذي بُني عام (١٩٢٢م) ودُشن في (١٩٢٦م) والمساجد الإقليمية التابعة له، وقد اعتبرت هذه المؤسسة لعدة عقود الممثل الفعلي للإسلام في فرنسا. وأبرز شيوخ هذا المعهد قدور بن غبريط، أحد مؤسسي مسجد باريس، وأول مدير له من سنة (١٩٢٢م) حتى سنة (١٩٥٤م)، والشيخ حمزة بوبكر من سنة (١٩٥٧م) حتى سنة (١٩٨٢م). ثم خلفه الشيخ عباس بن الشيخ الحسين، الذي تولى الرئاسة بين عامي (١٩٨٢-١٩٨٩م) وقام خلالها بإصلاحات في المسجد، وخلفه تيجاني هدام التي ترأس المسجد بين عامي (١٩٨٩-١٩٩٢م)، وهو طبيب عمل قبل وبعد رئاسته للمعهد في مناصب سياسية في الجزائر، ثم خلفه العميد الحالي الطبيب دليل بوبكر، الذي تولى أول رئاسة للمجلس الفرنسي للديانة الإسلامية، الممثل الرسمي للمسلمين أمام الحكومة الفرنسية الذي تأسس في عام (٢٠٠٣م).

■ الفيدرالية الوطنية لمسلمي فرنسا وقد تأسست سنة (١٩٨٥م) رعاية رابطة العالم الإسلامي التي اعتمدت في إيجادها وتسييرها على فرنسيين معتنقين للإسلام من أمثال الشيخ يعقوب روتي، ويوسف لوكليرك. وتضم حاليا أكثر من (١٥٠) جمعية.

■ المعهد الأوروبي للعلوم الإنسانية: تم تأسيسه في فرنسا في عام (١٩٩٢م)،

يضم هذا المعهد ثلاث مؤسسات تعليمية، هي:

١- الكلية الأوروبية للدراسات الإسلامية.

٢- معهد القرآن الكريم.

٣- معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها.

ولهذا المعهد فروع في مدن أوروبية أخرى. وله فرع للدراسات العليا في مدينة "برمنغهام" في بريطانيا.

❖ الإسلام في بريطانيا اليوم:

يُعدّ الإسلام في بريطانيا ثاني أكبر ديانة فيها، ويتزايد المسلمون فيها بشكل ملحوظ، يتركز معظمهم في لندن، ومانشستر وغلاسكو، حيث يسكن في لندن أكثر من مليون مسلم يشكلون أكثر من ١٣٪ من عدد سكانها.

يزيد عدد المسلمين في بريطانيا عن ثلاثة ملايين، بنسبة تقريبية تُقدر بـ ٤, ٥٪ من إجمال عدد السكان فيها، وذلك تبعاً للإحصائيات البريطانية.

أغلب المسلمين في بريطانيا هم مهاجرون أو من أصول تعود لشبه القارة الهندية) التي تشمل الهند والباكستان وأفغانستان (وإيران، والشرق الأوسط وشمال أفريقيا، ومن ثم دول أخرى مثل ماليزيا ونيجيريا. كما يعتنق الإسلام عددٌ متزايد من البريطانيين سنوياً.

يوجد في بريطانيا عددٌ كبيرٌ من الجمعيات والمراكز والهيئات الإسلامية، حيث يوجد اليوم أكثر من (١٤٠٠) مركز إسلامي، يوجد معظمها في لندن.

تم بناء أول مسجد للمسلمين في إنجلترا عام (١٨٨٩م)، وتحديدًا في منطقة "وكينغ كان"، وفي العام نفسه تم بناء مسجد آخر في مدينة ليفربول على يد عبد الله كويليام.

وتمّ تشييد أول مسجد في العاصمة لندن عام (١٩٢٤م)، المعروف بمسجد فضل، أو مسجد لندن، وأصبح عدد المساجد في بريطانيا بحلول عام (٢٠٠٧ م) يزيد عن (١٥٠٠) مسجد بفضل تزايد أعداد المسلمين في البلاد.

يلعب المسلمون دوراً مهماً في الحياة السياسية في البلاد، إذ يوجد عدد من النواب المسلمين في البرلمان البريطاني، وعدد من الشخصيات في هيئة اللوردات، وعدد من الشخصيات الفاعلة في حزب العمال البريطاني، وعمدة لندن اليوم هو صديق خان مسلم من أصل باكستاني.

يوجد في بريطانيا اليوم من الكليات والمؤسسات العلمية التي تقوم بتعليم العلوم الإسلامية واللغة العربية، نكتفي بذكر:

— كلية لندن المفتوحة للدراسات الإسلامية: تأسست عام (١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م) وهي مؤسسة تعليمية تابعة للمتدّى الإسلامي في لندن، تسعى إلى نشر العلم الشرعي من خلال اعتماد مقررات علمية مصوّغة بأسلوب علمي ميسر، ومن خلال نقل هذه العلوم إلى الدارسين في مواقعهم، عبر وسائط حديثة، تربطهم بنخبة مؤهلة من الأساتذة المتخصصين. وتقدم الكلية برامجها باللغتين العربية والإنجليزية للذكور والإناث معاً.

تغطي مناهج الكلية في مرحلتي الدبلوم والبكالوريوس المحاور التالية: محور العقيدة، القرآن وعلومه، السنة وعلومها، أصول الفقه، الفقه الإسلامي، التاريخ والحضارة، اللغة العربية، المواد التربوية.

والأهداف المرجوة للكلية هي:

١. تعليم أصول الدين.
٢. نشر العلم الشرعي بالوسائل التعليمية الحديثة.
٣. تصحيح المفاهيم الخاطئة عن الإسلام في الغرب.
٤. تخريج دعاة يحملون الإسلام بوسطية واعتدال.

يوجد في بريطانيا اليوم أيضاً عددٌ كبير من الجامعات البريطانية التي تقدم برامج علمية إسلامية يعمل بها عدد من العلماء المسلمين، نذكر على سبيل المثال: "مركز الدراسات الإسلامية" التابع لجامعة لندن، والذي يشرف عليه العلامة الدكتور محمد سعيد عبد الحليم صاحب ترجمة ممتازة للقرآن الكريم إلى اللغة الإنكليزية، ورئيس تحرير مجلة "الدراسات القرآنية" الصادرة عن جامعة إدنبرة. ويوجد أيضاً "مركز أوكسفورد للدراسات الإسلامية" التابع لجامعة أوكسفورد العريقة.

ونذكر من بين أبرز الجامعات الأوروبية التي تعتني بالدراسات الإسلامية خارج فرنسا وبريطانيا:

- "جامعة أوروبا الإسلامية": وهي مؤسسة أكاديمية هولندية إسلامية، مقرها مدينة روتردام، تسعى الجامعة من خلال تركيزها على التعليم العالي، والبحث العلمي إلى الاهتمام بمصالح الأقليات المسلمة المنتشرة في أوروبا، وتمكينها من تحصيل العلوم الدينية الإسلامية من جهة، والاستفادة من التراث الأكاديمي الغربي بمختلف فروع من جهة أخرى^(١).

❖ أهم المشكلات التي تواجه المسلمين في أوروبا:

على الرغم من استقرار المسلمين في أوروبا، واندماجهم في بلادهم، ومشاركتهم الفعالة في الحياة العامة إلا أنهم يعانون من بعض المشكلات التي تسبب لهم الكثير من المضايقات، وأهم هذه المشكلات انتشار ظاهرة الخوف من الإسلام التي تروجها بعض وسائل الإعلام الأوروبية ذات التوجه العنصري، والتي تهدف إلى تشويه صورة الإسلام في أوروبا، ومنع استقرار المسلمين فيها،

(١) صفحة موقع المعهد الأوروبي للعلوم الإنسانية، في الانترنت، وموسوعة ويكيبيديا الحرة، صفحة: "جامعة أوروبا الإسلامية".

وتدعو لإخراجهم منها، أو على الأقل تقييد حريتهم الدينية، ومشاركتهم في الحياة الأوروبية العامة^(١).



(١) انظر، انتشار الإسلام وموقف المستشرقين منه، محمد فتح الله الزيادي، (ص/١٤٠-١٤٣).

Encyclopedia of Islam and Muslim world, editor in chief Richard C. Martin, Macmillan Reference USA, 2004, 1/235 - 239.

Encyclopedia of Islam, Juan A Campo, New york, 2009, 217 - 219.

وصفحة الإسلام في فرنسا والمملكة المتحدة في موقع ويكيبيديا في الإنترنت.

المبحث الثاني: المسلمون في الولايات المتحدة الأمريكية

يذهب عددٌ كبير من علماء الغرب ومفكره إلى أنّ القرن الواحد والعشرين سيكون قرنَ الإسلام، ويقولون إنّ الإسلام يمثل قوة حيوية جوهرية، ويحمل في داخله، ومن خلال تاريخه الحضاري العريق كلّ المقومات التي تساعد على الانتشار والتوسع بل والازدهار داخل العالم الإسلامي وخارجه، وبشكل خاص في القارة الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية وكندا وأستراليا واليابان والصين، على الرغم من كل المعوّقات والتحديات الكثيرة التي تواجه الإسلام والمسلمين في العصر الحديث.

ويجزم كثير من المؤرخين وعلماء الأديان بأنّ الإسلام هو الدين الأسرع نمواً وانتشاراً في الولايات المتحدة الأمريكية. حيث يصل عدد المسلمين اليوم من (٨ إلى ٩) مليون مسلم، والعدد يزداد بشكل مطّرد بسبب اعتناق الإسلام، وهجرة المسلمين إلى أمريكا.

يشكّل المسلمون في الولايات المتحدة نموذجاً مصغراً للعالم الإسلامي من حيث التنوع العرقي والثقافي واللغوي والاقتصادي، ومن حيث الشعوب والدول التي ينتمون إليها في الأصل.

وتشكّل المجموعة ذات الأصول الإفريقية المجموعة الأكبر بينهم إذ تصل نسبتهم إلى حوالي (٤٠٪) من مجموعهم، ثم تأتي المجموعة الهندية التي تصل نسبتها إلى حوالي (٣٠٪)، ومن ثم المجموعة ذات الأصول العربية التي تشكّل حوالي (٢٥٪) من مجموع مسلمي أمريكا.

❖ وصول الإسلام إلى الولايات المتحدة الأمريكية وانتشاره فيها:

بدأ المستعمرون الأوروبيون بجلب الأفارقة الذين وقعوا في أسرهم، واستعبادهم من مستعمراتهم في غرب إفريقيا إلى المستعمرات البريطانية في أمريكا الشمالية التي أصبحت فيما بعد دولة الولايات المتحدة الأمريكية في مطلع

القرن السابع عشر الميلادي، واستمروا في عملهم هذا إلى سنة (١٨٦٥م) تاريخ إلغاء العبودية القانونية في أمريكا. وكانت نسبة المسلمين من بين هؤلاء الأفارقة تصل إلى (١٥٪). ولكن قسماً كبيراً من هؤلاء الأفارقة المسلمين فقد هويته الإسلامية أو تحول إلى المسيحية، بسبب قطعهم عن جذورهم، وإخراجهم من بيئاتهم المحلية، وعزلهم عن آبائهم وإخوانهم وأقاربهم الذين يمكن أن يتعلموا منهم دينهم، وبسبب إجبار الكثير منهم على ترك دينه.

بعد إيقاف حركة جلب الأفارقة إلى أمريكا بمدة يسيرة، بدأت منذ سبعينات القرن التاسع عشر الميلادي موجة هجرة إسلامية، وصل عددها إلى عشرات الألوف إلى أمريكا، أتت بشكل رئيس من البلاد العربية التي كانت خاضعة للدولة العثمانية آنذاك (وبشكل خاص من بلاد الشام) بسبب عدم استقرار الأوضاع السياسية والاقتصادية فيها، وقد استمرت هذه الهجرة بالتدفق حتى الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥م)، وقد استقر هؤلاء المهاجرون في تجمعات سكنية كبيرة في مدن أمريكية كبيرة، مثل مدينة "ماساشوسيتس"، ومدينة "إيوا" التي أقاموا فيها أول مسجد في أمريكا الشمالية كلها.

ويعدّ أبناء موجة الهجرة هذه هم من أقدم وأنشط الجاليات الإسلامية في الولايات المتحدة اليوم.

وابتداءً من عشرينات القرن الماضي جاء إلى أمريكا عدد كبير من مسلمي تركيا، ودول البلقان، واستقروا في مدن كبيرة مثل "ديترويت" و"ميتشغان"، وأنشؤوا مقبرة إسلامية يتم الدفن فيها حسب الشريعة الإسلامية، واشتغل أبناء هذه الجالية في كل الأعمال الزراعية والصناعية، وبشكل خاص في صناعة السيارات التي كانت تشهد نمواً متصاعداً في "ديترويت".

ومنذ عشرينات القرن الماضي عاد عدد من الأفارقة من أصحاب الأصول الإسلامية إلى دينهم، واعتنق عدد كبير من الأفارقة الآخرين الدين الإسلامي،

بسبب الدعوة إلى الإسلام بوصفه دين الحرية والمساواة والمحافظة على الكرامة الإنسانية، والداعي إلى الوحدة الإنسانية الشاملة بين جميع الشعوب والأعراق على قاعدة أن الأفضلية للأتقى، وليس للأبيض أو الأكثر ثروة ونفوذاً. كما يبين ذلك القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

وقول رسول الله ﷺ في حجة الوداع: «يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى»^(١).

وفي النصف الأول من القرن العشرين ظهرت أول ترجمة للقرآن الكريم في أمريكا حتى يتمكن المسلمون الذين لا يعرفون العربية من تلاوة القرآن الكريم ودراسته.

وظهرت أولى الصحف الإسلامية التي تنشر مبادئ الإسلام، وتعلم المسلمين أحكام دينهم الأساسية.

وفي هذا السياق قام بعض الأفارقة المسلمين بتأسيس عدد من الجمعيات الدينية التي عملت على نشر الإسلام بين الأفارقة الأمريكيين، من هذه الجمعيات:

جمعية "مسجد كليفلاند الأول" التي أنشأها الأمريكي الإفريقي المهتدي إلى الإسلام والي أكرم (ت ١٩٩٤م).

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده.

جماعة أمة الإسلام:

لا يمكن الحديث عن الأفارقة المسلمين في أمريكا دون الحديث عن جماعة دينية كبيرة انتشرت بينهم، وما زالت تمارس تأثيراً كبيراً عليهم حتى اليوم، حيث يصل عدد أتباعها إلى مئات الألوف من الأفارقة المسلمين. عرفت هذه الجماعة باسم "أمة الإسلام".

نشأت هذه الحركة نشأةً دينية مضطربة، على يد رجل يدعى ولاس فارد في عام (١٩٣٠م)، بسبب عدم تمكنه من معرفة الإسلام بشكل سليم، لكن هذا الرجل ما لبث أن اختفى في ظروف غامضة في عام (١٩٣٤م)، وخلفه إيجا محمد، الذي أدخل على الجماعة بعض العقائد الدينية المنحرفة، والأفكار العنصرية إزاء الإنسان الأمريكي الأبيض، من قبيل أن الجنس الإفريقي أشرف نسباً، وأكرم عنصراً من الجنس الأبيض الذي يعود أصله إلى الشيطان.

سعت هذه الجماعة إلى تحقيق التنمية والاستقلال الاقتصادي للأفارقة من خلال نشر قيم التقشف، والعمل الشاق، والابتعاد عن الدين، والاعتماد على الذات، وعملت على استعادة الهوية الإفريقية الأصلية التي تم تهيمشها بل سحقها والاستهتار بها في الحياة الأمريكية العامة التي كانت تقوم على سياسة التمييز العنصري ضد الأفارقة والسود عموماً.

كان من أبرز أتباع إيجا محمد شابٌ موهوب صاحب شخصية قيادية نافذة اسمه "مالكوم إكس" (١٩٢٥-١٩٦٥م)، الذي انضم إلى جماعة "أمة الإسلام" في عام (١٩٤٨م)، بعد مرحلة من حياته قضاها في السجن، وفي الاضطهاد العنصري من قبل الأمريكيان البيض.

كان "مالكوم إكس" في أول انضمامه لـ "أمة الإسلام"، مؤمناً بل داعياً متحمساً لأفكار "إيجا محمد" بما فيها المنحرفة والعنصرية منها، لذلك وصل إلى أعلى المناصب القيادية في جماعته، إلا أنه بسبب تعلّمه اللغة العربية، واختلاطه ببعض

المسلمين المهاجرين من أصحاب الكفاءة العلمية، أعلن انسحابه من جماعة "أمة الإسلام"، ورفضه لأفكارها، وقرر الذهاب لأداء فريضة الحج في عام (١٩٦٤م)، وهناك لمس بيديه السمو الأخلاقي الإسلامي، والكرامة والمساواة التامة بين المسلمين بغض النظر عن أعراقهم وألوانهم ومستوياتهم الاجتماعية والاقتصادية، ولاحظ الفرق الكبير بين أفكار إيلجا محمد، وأحكام الإسلام ومبادئه القويمية، وسمى نفسه منذ ذلك الحين باسم "الحاج مالك الشاباز"، وعندما عاد إلى أمريكا بدأ يدعو بكل حماس واقتدار إلى الإسلام الحق، وإعلاء ثقافة التسامح الديني والعنقي مع الأمريكيين البيض، مع تمسكه الراسخ الشديد بإعطاء الأفارقة كل الحقوق المدنية والسياسية التي تجعلهم على قدم المساواة التامة مع بقية المواطنين الأمريكيين، ودعوته إلى وحدة الأمة الإسلامية وتحريرها من المتسلطين والأعداء. إلا أن هذا التغيير الجذري في مواقف "مالكوم إكس" لم يرق لإيلجا محمد وأتباعه المخلصين له، لذلك قاموا بالتواطؤ مع السلطات الأمريكية باغتياله سنة (١٩٦٥م).

لكن موجة تصحيح مسار جماعة "أمة الإسلام" لم تمت بموت "مالكوم إكس"، وذلك لأن هذه الجماعة قد انشقت بعد وفاة "إيلجا محمد" في عام (١٩٧٥م) إلى جماعتين اثنتين، قاد الأولى، وهي الأكبر، أحد أبناء إيلجا محمد نفسه، واسمه وارث الدين محمد، الذي قام بانتقاد أفكار والده وعقائده الباطلة وأفكاره العنصرية، وأعلن تخليه عنها، وأعطى جماعته وجهة إسلامية سليمة، وأطلق على جماعته اسم "الأمة العالمية للإسلام في الغرب".

في حين قاد الجماعة الثانية رجل يدعى لويس فرقان الذي حاول تقريب جماعته من تعاليم الإسلام الصحيحة، لكن دون أن يصل إلى درجة التطابق معها، وحافظ في الوقت نفسه على بعض أفكار إيلجا العنصرية، واحتفظ لجماعته باسم الجماعة الأول أي "أمة الإسلام".

❖ أحوال المسلمين في الولايات المتحدة الأمريكية اليوم :

جاءت إلى الولايات المتحدة، في أعقاب الحرب العالمية، موجةٌ جديدةٌ من الهجرة الإسلامية، تكونت بشكل رئيس من العرب، والهنود، والماليزيين والاندونيسيين، والأوربيين، والأفارقة الذين سارعوا بالتواصل مع المسلمين الذين سبقوهم إلى الاستقرار في أمريكا، وفي هذه المرحلة بدأ المسلمون المهاجرون بتكوين آلاف من الجمعيات والمؤسسات الدينية والاجتماعية والسياسية والعلمية والمراكز الثقافية التي تمثلهم، وتوحد جهودهم، وتدافع عن حقوقهم، وتسعى لتطوير حضورهم في الحياة العامة في أمريكا.

من هذه المؤسسات :

■ "اتحاد الجمعيات الإسلامية في الولايات المتحدة وكندا"، الذي ظهر في عام (١٩٥٢م)، والذي يشرف على شؤون عشرات المساجد في الولايات المتحدة وكندا.

■ "جمعية الطلاب المسلمين في الولايات المتحدة وكندا" التي تأسست في عام (١٩٦٣م). وهي تقوم بتقديم الخدمات لمئات الآلاف من الطلاب المسلمين القادمين من خارج حدود أمريكا الشمالية للدراسة والتخصص الأكاديمي في جامعاتها ومعاهدها العلمية ومراكزها البحثية. ترى هذه الجمعية أن الإسلام له طبيعة عالمية تتجاوز كل اللغات والأعراق البشرية والقوميات والاختلافات الثقافية بين الشعوب، انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرِ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبا: ٢٨]، و﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، لذلك فهي تقدّم خدماتها لجميع الطلاب المسلمين دون أدنى تمييز بينهم على أي أساس كان. وكثير من هؤلاء الطلاب

يعود إلى بلاده ليمارس دوراً مهماً في نشاطات الدعوة الإسلامية في بلاده وخارجها.

وقد قام بعض خريجي الطلاب من أبناء هذه الجمعية بتأسيس "الجمعية الإسلامية الطبية" في عام (١٩٦٣م)، حيث تقوم هذه الجمعية بتقديم الخدمات الطبية والرعاية الصحية لكل الطلاب المنتمين لهذه الجمعية.

وقد قام طلاب آخرون بتأسيس "جمعية الباحثين والمهندسين المسلمين" في عام (١٩٦٩م)، تهدف هذه الجمعية إلى تطوير البحث العلمي على أساس من الأصول والمبادئ الإسلامية.

وقام بعضهم أيضاً بتأسيس "جمعية علماء الاجتماع المسلمين" في عام (١٩٧٢م)، وهي جمعية مهنية وأكاديمية وتربوية لتجديد الفكر الإسلامي وفتح الآفاق المعرفية والحضارية أمامه.

■ "مجلس العلاقات الأمريكية الإسلامية" الذي يقوم بالدفاع عن الحقوق المدنية للمسلمين، ويقوم بتوضيح الإسلام وشرح مفاهيمه وقيمه للأمريكيين، ويشجع المسلمين على المشاركة في الحياة الأمريكية العامة.

■ "المجلس الأمريكي الإسلامي" الذي يتابع شؤون المسلمين، ومشكلاتهم السياسية في العالم، ويحاول التأثير في السياسة الخارجية الأمريكية لصالح القضايا الإسلامية العادلة.

■ أما أكبر تلك المؤسسات فهي "الجمعية الإسلامية لأمريكا الشمالية" التي أسستها "جمعية الطلاب المسلمين" في عام (١٩٨٢م). كي تعمل كمظلة إسلامية شاملة لرعاية مصالح المسلمين العامة في كل الولايات المتحدة. وأصبحت جمعية الطلاب المسلمين نفسها جمعية فرعية تابعة لها، وتكتفي برعاية شؤون الطلاب المسلمين في الجامعات الأمريكية. تشرف هذه الجمعية على مئات المساجد في كافة أرجاء الولايات المتحدة، وهي تعقد مؤتمراً سنوياً تناقش فيه كل

المستجدات، والمشكلات، والتحديات التي تواجه المسلمين الأمريكيان، وتنشر مجلة "آفاق الإسلام"، وتقيم دورات تعليمية لتعليم الإسلام، وتعتقد لقاءات وندوات حوارية بين المسلمين وأتباع الديانات الأخرى. ومن بين المؤسسات الإسلامية الأخرى التي تعتني بالجوانب العلمية والأكاديمية نذكر:

■ "المجلس الفقهي لأمريكا الشمالية".

■ "المعهد العالمي للفكر الإسلامي" الذي تأسس في عام (١٩٨١م) في ولاية فيرجينيا، وهو يقدم برامج أكاديمية في جامعة قرطبة التابعة له يحصل فيها الدارسون على درجة الماجستير في العلوم الإسلامية، بالإضافة لرعايته لبرامج تدريبية للأئمة والدعاة والباحثين في العلوم الإسلامية، ويصدر هذا المعهد سلاسل كتب ودراسات علمية تتناول أعماق وأبرز القضايا التي تواجه الإسلام والمسلمين في العصر الحديث، وتصدر مجلة علمية إسلامية مرموقة "إسلامية المعرفة".

ومن أبرز مؤسسي هذا المعهد الدكتور إسماعيل راجي الفاروقي (من أهم كتبه مفهوم التوحيد ومضامينه في الفكر والحياة)، والدكتور عيد الحميد أبو سليمان (من أهم كتبه: الرؤية الكونية الحضارية القرآنية: المنطلق الأساس للإصلاح الإنساني)، وهما اللذان سعيًا إلى تأسيسه استناداً إلى رؤية إسلامية عميقة تسعى لاستعادة الحضور الأصيل للإسلام والمرجعية الإسلامية الفذة في بناء الحضارة والتقدم المعرفي الإنساني الشامل.

وتنتشر اليوم أيضاً مئات المدارس الإسلامية التي تعتني بتدريس اللغة العربية، وكل العلوم الشرعية، بالإضافة إلى مواد الدراسة العادية التي تدرس في المدارس الحكومية.

ونظراً للسمعة العلمية والأخلاقية الطيبة لهذه المدارس فهي تستقبل ، بالإضافة إلى الطلاب المسلمين ، طلاباً أمريكيين غير مسلمين ، لأن آباء هؤلاء الطلاب يرون أن المدارس الحكومية فقدت جاذبيتها لهم ولأبنائهم بسبب انتشار العنف والمفاسد الأخلاقية فيها ، مثل شرب الخمر والمخدرات والإباحية ، وانتشار الثقافة الاستهلاكية ، لذلك فهم يفضلون عليها المدارس الإسلامية التي تحمي طلابها من هذه المفاسد بسبب تمسكها بالقيم والأخلاق الإسلامية الرفيعة والطاهرة.

وتؤدي المساجد الإسلامية في أمريكا (التي تزيد على ألفي مسجد ، ينتشرون في المدن الداخلية والصغيرة ، وفي ضواحي المدن ، بل وفي الأرياف أيضاً) أدواراً متعددة في حفظ الهوية الإسلامية ، والدعوة إلى الإسلام ، فهي أولاً بيوت الله سبحانه التي يقيم فيها المسلمون شعائر دينهم ، وهي تفتح أبوابها لأبناء المسلمين كباراً وصغاراً كي يتلقوا تعاليم دينهم في المؤسسات التربوية والتعليمية التابعة لهذه المساجد.

يستقبل المسلمون في هذه المساجد كلَّ مَنْ يريد أن يتعرّف الإسلام ، ومنها ينطلق الدعاة كي ينشروا الإسلام بين بقية الأمريكيين أو على الأقل لتجلية صورة الإسلام وتعاليمه النقية أمامهم ، وفي هذه المساجد تقام جلسات الحوار بين الأديان والثقافات المختلفة التي تسهم في بناء جسور الثقة ، والتعاون بين المسلمين وغيرهم.

وفي عام (١٩٧٨م) تم تأسيس "مجلس المساجد في الولايات المتحدة الأمريكية" الذي تم تأسيسه برعاية رابطة العالم الإسلامي.

بفضل هذه الجمعيات والمؤسسات استطاع المسلمون الأمريكيان ، ابتداءً من النصف الثاني من ستينات القرن العشرين أن يصلوا إلى أعلى الدرجات الأكاديمية ، وأن يكونوا نخبة كبيرة من الدعاة ، والعلماء ، والأكاديميين ،

والمدرسين، والأطباء والمهندسين، والصحفيين، ورجال الأعمال والصناعيين، والطلاب، والعمال الذين انتشروا في كل أرجاء الولايات المتحدة، وحملوا معهم الإسلام ورسالته حيثما ذهبوا.

ومنذ ستينات وسبعينات القرن الماضي اعتنق كثير من الأمريكيين البيض الإسلام على يد بعض الدعاة الصوفية الذين كانوا يدعون إلى مبادئ الإسلام، وقيمته بصورة روحية وخلقية سمحة، تستجيب لتطلعات الإنسان الأمريكي الذي سحقتة الحياة المادية، وأتعبته قيمها المادية والاستهلاكية المسرفة.

وفي هذا السياق ظهرت في أمريكا جمعيات صوفية عديدة من أبرزها: "جمعية النساء الصوفيات" التي كان لها وما يزال دور بارز في تنشيط حياة ودور الفتيات المسلمات في الحياة الاجتماعية العامة في أمريكا في كافة الصعد والمجالات.

❖ الصعوبات التي يواجهها المسلمون في الولايات المتحدة الأمريكية اليوم:

لقد عاش المسلمون منذ لحظة وصولهم إلى الولايات المتحدة في بيئة مشحونة بالتحسس، والنفور، والتخوف منهم، بل والكراهية لهم في بعض الأحيان، والأسباب الكامنة وراء هذه الظاهرة عديدة، من أهمها الذاكرة التاريخية التي يحملها الأمريكي الأبيض القادم من أوروبا عن حالة العداء والصدام مع المسلمين في الحروب الصليبية، وما حدث بعدها من احتلال أوربي لمعظم بلاد العالم الإسلامي، لذلك كان من الصعب على الإنسان الأمريكي أن يتخلص من هذه الذاكرة التي تشكلت خلال مئات من السنين، والتي رسختها، وما زالت ترسخها السياسة الأمريكية المتحيزة ضد العالم الإسلامي، وبشكل خاص تدخلها العسكري المباشر في عدد من الدول الإسلامية. فضلاً عن انحيازها الكامل ودعمها غير المحدود للكيان الصهيوني في فلسطين المحتلة، وعدائها المستمر لتطلعات الشعوب العربية والإسلامية، وحققها الأصيل بالكرامة، والسيادة، والتنمية والتقدم.

ولا ننسى في هذا السياق الإشارة إلى الدور غير الأخلاقي الذي تمارسه بعض وسائل الإعلام الأمريكية لتشويه صورة الإسلام والمسلمين من خلال تصوير المسلمين كذباً وبهتاناً بأنهم جهلة، وبرابرة ينشرون العنف، وسفك الدماء في العالم، وأنهم يحرمون المرأة من حقوقها، ومن ممارسة دورها في المجتمع. ويعاني مسلمو أمريكا اليوم من صعوبات في الحصول على فرص عمل، ومن مضايقات كبيرة في الحركة والتنقل، وبشكل خاص عند استخدام الطائرات. ويتعرض المسلمون وممتلكاتهم، في بعض الأحيان للإعتداء المباشر من قبل بعض العناصر الأمريكية. وما زالت بعض وسائل الإعلام الكبيرة والشعبية، وبعض المجالات الأكاديمية، بل بعض المناهج التعليمية، وبرامج الترفيه تقوم حتى اليوم بتسويق صور وكتابات وأفكار سلبية عن الإسلام والمسلمين والعرب، ونشر معلومات كاذبة ومضللة عنهم.

وفي مواجهة هذه الحملات الدعائية يقوم بعض الدعاة والعلماء والأكاديميين المسلمين بالتعاون مع بعض المؤسسات الدينية والعلمية الإسلامية، بالرد عليها عن طريق الاستفادة من الهامش الذي تتيحه بعض وسائل الإعلام للمسلمين، ومن خلال نشر بعض الكتب والمجلات، والتسجيلات المصورة والمسموعة، والقيام ببعض المبادرات، والنشاطات الاجتماعية، والعلمية والبرامج التلفزيونية والفنية، وبرامج الإنترنت، والاشتراك في برامج حوارية لبيان حقيقة الإسلام الحضارية السمحة، وآثاره وإسهامات أبنائه الكبيرة في مجال الفكر والفلسفة والعلوم والفنون والآداب والحضارة من جهة، ولتفنيد الصورة السلبية المقدمة عنه، وعن أتباعه للمواطن الأمريكي من جهة أخرى، فضلاً عن بذل الجهود القانونية للدفاع عن حقوق المسلمين، ومصالحهم المشروعة التي تتعرض للاعتداء والانتهاك، والقيام بتنفيذ برامج دعم وإسناد قانونية وسياسية للمسلمين الذين يتعرضون إلى مضايقات،

وخصوصاً في مجال الحصول على فرصة عمل ، أو ترقية في مجال أعمالهم بسبب كونهم مسلمين^(١).



(١) انظر ، حاضر العالم الإسلامي ، منشورات جامعة دمشق ، (ص/ ٣١٧ - ٣٢٠).

Encyclopedia of Islam and the Muslim World, edited by Richard C. Martin, Macmillan Reference, USA, New York, 2004, p 707-713.

The Oxford Encyclopedia of the Modern Islamic world, 4/277-284.

The oxford Dictionary of Islam, 18-19, 188-189, 231. **A concise Encyclopedia of Islam**, Gordon D. Newby, One World, Oxford, 2002, 137-138.

المبحث الثالث: المسلمون في كندا

بدأ الوجود الإسلامي في كندا يتكوّن بشكل بطيء ومتدرج منذ نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، حيث أظهرت الإحصاءات الكندية في عام (١٨٧١م) أنّ عدد المسلمين في كندا آنذاك لا يزيد على (١٣) مسلماً.

ومع قدوم القرن العشرين بدأ عدد المسلمين بالازدياد، وبدأوا ينتشرون أكثر فأكثر في كثير من أنحاء كندا. وأول مسجد بُني فيها هو "مسجد الحكيم" في مدينة "إدمنتون" في ولاية "ألبرتا" في عام (١٩٣٨م).

وصل عدد المسلمين في كندا وفق إحصاء الحكومة الكندية في عام (٢٠٠١م) حوالي (٥٨٠) ألف مسلم، وأما عددهم اليوم فهو يزيد على (مليون ونصف مسلم)، ويشكّلون نسبةً تزيد على (٣٪) من مجموع سكان كندا. ويعدّ الإسلام اليوم هو الدين الثاني في كندا، ولذلك فهو أسرع الأديان نمواً وانتشاراً في أمريكا الشمالية كلها.

❖ المؤسسات الإسلامية في كندا:

تمّ في كندا تأسيس مجموعة من المؤسسات والمراكز الإسلامية التي تعتني بالدعوة والتعليم والبحث ورعاية شؤون المسلمين فيها، فضلاً عن انتشار المساجد في كل المدن الكندية. نذكر من بين المؤسسات الإسلامية الكندية ما يلي:

"اتحاد الجمعيات الإسلامية في الولايات المتحدة وكندا" في عام (١٩٥٢م)، وقد عقدَ هذا الاتحاد أول مؤتمر له في عام (١٩٥٥م) في مدينة "لندن" في ولاية "أونتاريو".

ومع نمو الجالية الإسلامية في أمريكا الشمالية، ومع إقبال عدد كبير من الشبان المسلمين من كل البلاد المسلمة، وبشكل خاص من العالم العربي، وإيران وتركيا والهند والباكستان للدراسة والهجرة إلى أمريكا الشمالية تمّ تأسيس

"جمعية الطلاب المسلمين" في عام (١٩٦٣م). ومنذ ذلك التاريخ تمارس هذه الجمعية نشاطاً دينياً وفكرياً واجتماعياً بارزاً في أروقة أهم الكليات والجامعات في أمريكا الشمالية.

وفي عام (١٩٨٢م) تم تأسيس "الجمعية الإسلامية لأمريكا الشمالية" في ضواحي "تورنتو" في ولاية "أونتاريو"، وهي أكبر وأهم جمعية إسلامية في أمريكا الشمالية.

وفي عام (١٩٨٣م) تم تأسيس "مجلس المساجد في كندا"، وهو يعمل بالتنسيق مع "مجلس المساجد في الولايات المتحدة الأمريكية" ويعملان معاً كمجلس قاري للمساجد في أمريكا الشمالية يعمل على تقديم المساعدة من أجل تشييد المزيد من المساجد مع تأمين المراكز الثقافية والمدارس التابعة لها، ورعاية الخدمات الاجتماعية والتربوية التي تقدمها هذه المساجد، فضلاً عن رعاية دورها في تنشيط الحوار الإسلامي/المسيحي.

ويوجد في كندا أيضاً عددٌ من المعاهد العلمية الإسلامية، والجمعيات النسائية الإسلامية، منها: "المعهد الكندي للتربية والبحوث الإسلامية"، و"المجلس الكندي للنساء المسلمات"^(١).



(1) The Oxford Encyclopedia of the Modern Islamic world,
1/250_253.

The oxford Dictionary of Islam, 50.

المبحث الرابع: المسلمون في أستراليا

تعني كلمة "أستراليا" باللغة اللاتينية، "الجنوبية"، أي القارة الجنوبية. وهي جزيرة تقع بين المحيطين الهادي والهندي. تبلغ مساحتها حوالي سبع ملايين وسبعمائة ألف كم^٢. وهي تُعد أصغر قارات العالم^(١).

يعود تاريخ شعوب أستراليا الأصليين إلى (٤٠) ألف سنة، وهم في الأغلب قد جاؤوا من جنوب آسيا، وبنوا لهم عبر هذا التاريخ مجموعة من الثقافات المتعددة.

لم يكتشف الأوروبيون هذه القارة إلا في القرن السابع عشر الميلادي. وفي نهاية القرن الثامن عشر الميلادي، أعلن الإنكليز إلحاقها بالتاج البريطاني، ومنذ ذلك التاريخ، بدأ الإنكليز بالهجرة إليها، وبناء مستوطنات فيها، واستمر هذا التدفق في القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين.

واستطاع أحفاد هؤلاء المستوطنين أن يكونوا أصحاب الهيمنة والقوة النافذة في أستراليا. وشكلوا ما نسبته ثلثي سكانها، والثلث الباقي كان يتألف من السكان الأصليين، ومن أبناء المستعمرات البريطانية في الهند، وجنوب شرق آسيا.

❖ دخول الإسلام وانتشاره في أستراليا:

أول من وصل من المسلمين إلى أستراليا عددٌ من سائقي الجمال من مسلمي الأفغان الذين جلبتهم حكومة إنكلترة للاستعانة بهم من أجل اكتشاف الصحاري الواسعة والأماكن المجهولة في أستراليا^(٢).

(١) الموسوعة العربية الميسرة، (١/٢٦٨-٢٦٩).

(٢) المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية، محمود شاكر، ط١، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٩٧٧م، (ص/١٦٩).

ثم وصل إلى أستراليا عددٌ من العمال وصيادي الأسماك من بنغلاديش وإندونيسيا وماليزيا في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي وبداية القرن العشرين. ولكن لم يصل عدد المسلمين فيها إلى درجة الحضور الواضح والفاعل والمستمر إلا في خمسينات القرن العشرين عندما قدم عددٌ كبير من المسلمين من بلاد الشرق العربي وتركيا مهاجرين في أعقاب الحرب العالمية الثانية، وعندما جاء عددٌ كبير من مسلمي لبنان الذين هربوا من أتون الحرب الأهلية التي اندلعت في لبنان في عام (١٩٧٥م). يشكل اليوم مسلمو لبنان وتركيا النسبة العظمى من مجموع عدد المسلمين في أستراليا.

وقد هاجر إلى أستراليا أيضاً أعداد كبيرة من مسلمي دول البلقان، وبقية الدول العربية (مصر، والمغرب والجزائر وتونس)، ومسلمي جنوب وجنوب شرق آسيا.

ومع مرور الوقت زاد إقبال المسلمين على الهجرة والاستقرار فيها، حتى وصل عددهم في عام (١٩٨٦م) إلى أكثر من (١١٠) ألف مسلم حسب الإحصاءات الأسترالية الحكومية، ومنذ ذلك التاريخ تصاعدت وتيرة الحضور الإسلامي حتى وصل إلى حوالي (١٥٠) ألف نسمة في عام (١٩٩١م).

ويصل عدد المسلمين اليوم إلى حوالي مليون مسلم تقريباً بسبب استمرار الهجرة، واعتناق الإسلام، وارتفاع نسبة المواليد بين المسلمين. ولهذا فإن نسبتهم اليوم تزيد على (٣٪) من مجموع عدد السكان في أستراليا.

والإسلام هو الدين الثالث في أستراليا بعد المسيحية والبوذية من حيث عدد الأتباع.

ينتمي مسلمو أستراليا اليوم إلى أكثر من خمسين دولة، وهم ينتشرون في كل أنحاء أستراليا، ولكنهم يتركزون في المدن الرئيسية الواقعة في الجزء الجنوبي الشرقي لأستراليا.

في النصف الثاني من القرن العشرين بدأت المجالس والجمعيات والمؤسسات الإسلامية الأسترالية بالظهور، وممارسة دورها في رعاية شؤون المسلمين الدينية والاجتماعية والتربوية والعلمية، وهذا ما أدى إلى ولادة "الإتحاد الأسترالي للمجالس الإسلامية" في عام (١٩٧٥م)، وهو المؤسسة الإسلامية الكبرى التي تقوم بالإشراف على كل المؤسسات الإسلامية المنتشرة والتنسيق بين جهودها وأنشطتها الدينية والتربوية والثقافية والتعليمية والاجتماعية في كل أرجاء القارة الأسترالية.

وقد أدى تزايد الحضور الإسلامي في أستراليا إلى ولادة المزيد من المؤسسات الإسلامية، مثل: جمعية النساء المسلمات المتحدات، والاتحاد الأسترالي لجمعية الطلبة المسلمين، والمركز الأسترالي للتربية والثقافة^(١).

وقامت السلطات الأسترالية بتعيين مفتٍ عام لأستراليا. والمفتي السابق لأستراليا هو الفقيه المصري تاج الدين الهلالي، المعروف بنشاطه الواسع في مجال الدعوة الإسلامية، وفي الدفاع عن مصالح المسلمين وحقوقهم، وتصويب كل الآراء والصور السلبية التي تسوقها بعض وسائل الإعلام الأسترالية لتشويه صورة الإسلام والمسلمين، وإصاق تهمة العنف، والتخلف بهم.

ويحرص المسلمون اليوم على افتتاح المدارس والمعاهد التعليمية التي تعني بتربية أبنائهم، وتعليمهم العلوم الإسلامية واللغة العربية، حيث قاموا بتأسيس عشرات المدارس.

(١) دليل المؤسسات والمعاهد الإسلامية، (ص/٢-٩).

وتنتشر عشرات المساجد، وأماكن الصلاة في المدن الأسترالية الكبرى، وبخاصة في "سيدني" و"ملبورن". وفي الآونة الأخيرة تمّ في مدينة "سيدني" افتتاح "كلية الزهرة" وهي أول معهد تعليمي عالي للعلوم الإسلامية في أستراليا. وقامت بعض الجامعات الأسترالية الحكومية بإنشاء أقسام للدراسات الإسلامية، يقوم بالتدريس فيها بعض العلماء الأستراليين المسلمين، مثل الدكتور عبد الله سعيد، صاحب كتاب "المسلمون الأستراليون: عقائدهم، وممارساتهم، ومؤسساتهم"^(١).

❖ أهم المشكلات التي تواجه المسلمين في أستراليا:

١. عدم اتفاق المسلمين، ولو بشكل عام على صورة موحدة للإسلام، الأمر الذي يؤدي إلى حدوث بعض الخلافات التي تشوش مسيرة الدعوة الإسلامية في أستراليا.
 ٢. تعمل كثير من وسائل الإعلام الأسترالية على تصوير المسلمين بصورة سلبية قاتمة، تعمل على تنفير الناس منهم، وتنتشر ظاهرة الخوف من الإسلام في المجتمع الأسترالي.
 ٣. انعكس الأمر السابق على حرمان المسلمين من فرص العمل، وتهميشهم في الحياة العامة الأسترالية، وهذا أدى إلى نشر الفقر، وأحياناً الجريمة في بعض تجمعاتهم السكانية المهمشة^(٢).
- ولكن على الرغم من كل الصعوبات الداخلية والخارجية التي يواجهها المسلمون في أستراليا، فإن الإسلام بما يملك من عقيدة سليمة، ومبادئ أخلاقية قوية، وبما يملك في داخله من حق وطاقه روحية خلّاقة، ومن قدرة على

(1) Encyclopedia of Islam, Juan E. Campo. 70-70.

(2) Islam in Australia, From Wikipedia, the free encyclopedia.

The Oxford Encyclopedia of the Modern Islamic world, 1/154.

التجدد الذاتي، والتكيف مع كل الظروف، فلنّذه ما زال يتابع مسيرة حضوره وانتشاره، بل هو، باعتراف الباحثين الأستراليين أنفسهم، الدين الأسرع نمواً، والأكثر انتشاراً فيها.



الفصل السادس

الإسلام والتحديات المعاصرة^(١)

الأستاذ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي رحمه الله

(١) هذا البحث مأخوذ من كتاب "الإسلام والعصر: تحديات وآفاق"، الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، والدكتور طيب تيزيني، من سلسلة حوارات لقرن جديد، ط٢، دمشق، دار الفكر، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، (ص/١٩-٧٤).

الإسلام . . . والنظام الإسلامي :

في النصف الثاني من هذا القرن الذي أوشك على الانقضاء، ظهرت أنشطة إسلامية في سورية وفي كثير من البلاد العربية الأخرى، جرت إلى جانب كثير من الآثار المفيدة ، نتائج غير حميدة، من أهمها أنها مدت غاشية من اللبس بين الإسلام والنظام الإسلامي، حتى أصبح كثير من الناس، ولا سيما البعيدون عن الإسلام والمتعاملون مع أنظمة ومذاهب اجتماعية واقتصادية أخرى، يظنون أن الإسلام إنَّ هو إلا مجموعة أنظمة وشرائع فوقية، هي تلك التي ينادي بها (الإسلاميون) ويسعون إلى فرضها بديلاً عن الأنظمة والمذاهب الوضعية التي يتبنونها ويدعون إليها.

وسبب هذا اللبس أن جُلَّ الذي كانوا ولا يزالون، يمارسون أنشطتهم الإسلامية (وإنما أعني بالإسلاميين الحزبيين) إنما يركزون من الإسلام عند الحديث عنه على أنظمتهم وأحكامه الاجتماعية والاقتصادية التطبيقية، ويوجهون جهودهم وطاقاتهم كلها إلى العمل على إزاحة الأنظمة والأحكام القائمة، وإلى العمل على الوقوف في وجه الأنظمة والمذاهب الوافدة كالشيوعية والمذاهب اليسارية المتنوعة، ومجابهة أربابها والدعاة إليها بالمقاومة والعنف في كثير من المناسبات والاحتكاكات.

فلقد ترسَّخ من جرّاء ذلك في أذهان هؤلاء اليساريين واللا إسلاميين على اختلافهم أن الإسلام المطروح والذي يقاومهم الإسلاميون من أجله إنما هو مجموعة القوانين القاضية بإقامة الحدود وإلغاء الربا، وإغلاق دور اللهو ونحو ذلك مما يدخل تحت الاسم الجامع له وهو (الشرعية الإسلامية).

ولعلَّ هذا المنهج أخذ شكله البارز، بل الصارخ عندما أُتيح لأكبر جماعة إسلامية في سورية أن تشترك في الحكم في أوائل الخمسينيات، وطرح موضوع الدستور وبنوده للنظر والمناقشة، وفي مقدمتها مسألة دين الدولة.. فقد فوجئ

الناس آنذاك من هذه الجماعة، بتهوينها لمسألة النص على دين الدولة في الدستور، والاهتمام بالبديل الذي يغني عنها، وهو النص آنذاك على أن الشريعة الإسلامية هي المصدر الأول للتشريع.. وصدر آنذاك منشور عن هذه المجموعة بعنوان " لماذا يجب أن يكون دين الدولة الإسلام "؟ تضمن الدفاع عن وجهة نظرها، أمام جدل بل غضب (رابطة العلماء) آنذاك.

إذن، فقد كان الاهتمام متجهاً إلى التركيز على الدعوة إلى تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية بدلاً عن القوانين والأنظمة الوضعية التي كان ينادي بها الآخرون، بقطع النظر عن أساس ذلك، من المعنى الديني الذي يجب أن يهيمن على العقل والنفس والذي هو جوهر الإسلام.

وقد لوحظ أن هذا الاهتمام كان المحور الأساسي لأنشطة أكثر الجماعات والأحزاب الإسلامية أي أن قصارى همهم أن تكون القوانين النافذة في مجتمعاتهم هي قوانين الشريعة الإسلامية.

فهذا النشاط الذي أخذ هذا المنحى باسم الإسلام، خيل إلى كثير من الناس، وأعني بهم هنا الشاردين عن الإسلام والجاهلين به، أن الإسلام الذي بعث به الرسل والأنبياء الذين ختموا بمحمد ﷺ، والذي ألح على تطبيقه هؤلاء الإسلاميون، إنما هو هذه الأنظمة الفوقية التي ينبغي أن تحتل مكان المذاهب والأنظمة الوضعية، فإذا طبقت في مجتمع ما فقد غدا بذلك مجتمعاً إسلامياً، وغدا أفراد مسلمين صالحين..!

وعلى الرغم من أن هذا التصور وهم باطل، بل هو خلط خطير، لا ينزلق إليه من كانت لديه أدنى بصيرة بالإسلام وعقائده، فإن هذا الوهم كان لابد أن يسري للسبب الذي ذكرت، إلى أذهان الأحزاب والفئات اللا إسلامية، بل كثير من الجاهلين أيضاً، ثم كان لابد أن تتراكم عوامله في أفكارهم ونفوسهم، من جراء الاحتكاكات المستمرة التي كانت تتسم بالعنف بينهم وبين (الإسلاميين) والتي

كان (اللا إسلاميون) يجرمون من خلالها لسبب واحد، هو اختيارهم الأنظمة والقوانين الوضعية ، أيًا كانت ، بدلاً عما يقابلها من الأنظمة والقوانين الإسلامية. لقد كان طبيعياً بل منطقياً أيضاً ألا يزداد (اللا إسلاميون) على اختلاف فئاتهم إلا تبرّماً من هذا الإسلام التطبيقي الذي يدعون إليه ، والذي لم يترسخ له في أذهانهم إلا مصداق واحد، هو إحلال نظام في مكان نظام، بقطع النظر عن المصدر أو الجذور ... إن دعوة من هذا القبيل إلى نظام إسلامي مبتور من جذوره، لن تتغلب على القناعة المهيمنة على عقول أولئك الناس الذين تشبعوا نفسياً وفكرياً بالأطروحة القائلة بأن الأنظمة الحضارية الحديثة أكثر استجابة للحاجات والمصالح العصرية التي تتطلبها إنسان هذه الحضارة اليوم، من أنظمة قديمة تُساق إليهم من حواجز القرون باسم الإسلام .

ثم إن هؤلاء الناس كانوا ولا يزالون مشبعين فكرياً بأن تيار التحديات العصرية والمقبلة إلينا من الغرب أو الشرق ، أقوى وأعتى من أن تمتصها أو تتغلب عليها أنظمة وقوانين قديمة صيغت لعهود غابرة لم تكن تعاني شيئاً من هذه التحديات ، ما دامت أنها أنظمة وقوانين مجردة.

ولا أزال أذكر يوم أقبل إليّ واحد من ذوي الاتجاهات اللا إسلامية ، ومن الذين تراكمت في أذهانهم عوامل هذا التصور، للسبب الذي أوضحت ، فقال لي (وقد كنت أحدثه عن الإسلام ومشكلة شرود المسلمين اليوم عنه وجهلهم الشديد به): إذا قررنا أن نطبق الإسلام (يعني الشريعة الإسلامية) منذ اليوم ، فما المدة التي ينبغي أن نقضيها ليحررنا الإسلام من التخلف الذي نعاني منه؟

لقد نبهني سؤاله هذا إلى أن المطلوب مني أن أبدأ فأصحح فهمه للإسلام الذي أحدثه عنه قبل أن أجيبه عن سؤاله الذي كان منطقياً في طرحه. فما من شك أنه عندما يدعى إلى تطبيق (إسلام علاجي) لا يتمثل إلا في قائمة من الأنظمة والأحكام يطلب منه أن يعمل على أخذ المجتمع بها بدلاً من طائفة أخرى من الأنظمة والأحكام المشابهة أو المقابلة، فمن حقه أن يسأل عن السر وعن السبب

والفرق، ثم إنَّ من حقه أن يلحَّ في السؤال عن الدليل على أن طائفة الأحكام الشرعية، هي الكفيلة بحلِّ المشكلات الاجتماعية المتنوعة وبتحقيق عوامل التقدم والازدهار فيه، على الرغم من تقادم العهود عليها، لا الأحكام والأنظمة الحديثة الأخرى التي يفتتن جمهرة كبيرة من الناس بها^(١).

بل إنني أؤكد أنه لو طرح عليَّ سؤال يقول: ما مدى ضمانات تطبيق مجتمع ما لأنظمة الإسلام وأحكامه الفوقية لانتشاله من التخلف، والارتفاع به إلى صعيد التقدم والازدهار؟ فلسوف يكون جوابي الذي لا بديل له عندي: لا ينطوي تطبيق الأنظمة الفوقية على أي ضمانات من هذا القبيل.

وذلك لأنَّ الإسلام الجوهر الضامن والكفيل، لا أنظمتها وأحكامه الفوقية المفصولة عنه، ولأنَّ الوعد الذي قطعه الله على ذاته العلية في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [النور: ٥٥]. إنما هو لمن هيمن الإسلام يقيناً ووجداناً على كيانه، وليس لمن هيمنت نظمه وشرائعه المنفصلة عنه على شخصه أو مجتمعه.

ومما لا ريب فيه أنَّ كلَّ من خضع كيانه العقلي والوجداني للإسلام ديناً، لا بد أن يتقبلَّ نظمه وأحكامه شرعاً ومنهاجاً. ولكن ليس كل من اختار نظم الإسلام شرعاً ومنهاجاً، يخضع بالضرورة لجذوره الإيمانية عبودية وتديناً^(٢).

(١) كان هذا السؤال من ذوي الميول اليسارية، ثم إنه هُدي بعد ذلك إلى الإسلام وشرح الله صدره له. وهو اليوم من الملتزمين بأحكامه أيضاً.

(٢) أرجو أن لا يضيق الإخوة الإسلاميون ذرعاً بهذا الكلام الذي طالما نصحتُ به نفسي. =

فرق ما بين الإسلام ونظمه :

ولعل من الخير أن نزيد فرق ما بين جوهر الإسلام وأنظمته بياناً وتفصيلاً.
إن فرق ما بينهما أشبه ما يكون بفرق ما بين محرك السيارة وهيكلها الخارجي.. فعلى الرغم من ضرورة وجود الهيكل الخارجي هذا، إلا أن الضمانة منوطة بالمحرك الذي هو الجوهر والأساس.

الإسلام يربي الفرد ويعرفه على ذاته ويهذب النفس الإنسانية. وأنظمة الإسلام تهذب المجتمع وترعى العدالة التي يجب أن تظل سارية بين أفراد.. ولما كان المجتمع هو الفرد المتكرر، فقد كانت صلاحية المجتمع وقفاً على صلاحية أفراد، قبل أن تكون وقفاً على صلاحية القوانين السارية في أبحاثه.

وبيان ذلك أن النفس الإنسانية، بالإضافة إلى ما فيها من فطرة إنسانية صالحة، تنطوي على آفات سيئة وخطيرة، كالأثرة والأنانية والعصبية واتباع الشهوات والأهواء، بدلاً مما يمليه العقل ويتطلبه الخلق.. ومن ثم فلا بد من علاج

= وأرجو أن يعلموا وأنا واحد منهم — أنه قد حان لهم بعد التجربة المضنية التي طال أمدها، أن يقفوا فيلتقطوا أنفاسهم، ويلتفتوا إلى حصاد هذه التجربة، ثم يقفوا في ساعة قدسية مع النقد الذاتي.

والذي أعلمه، هو أنه لا يوجد في الدنيا من يغامر في سبيل التجربة، ثم لا يلتفت عائداً بذهنه إلى الماضي ليتبين حصادها، ويقف على مكان الخطأ والصواب فيها. وأعتقد أننا جميعاً عندما نتقيد بهذا النهج متحررين عن حظوظنا وأهوائنا وعصبياتنا، فلسوف ندرك ضرورة الرجوع بأنشطتنا الإسلامية إلى هذا المعين التربوي الذي أركز عليه.

إنني أنشد الإخوة الإسلاميين أياً كانوا، أن يتدبروا الأمر من هذا المنطلق، وأن يتأكدوا أن مفاتيح النصر رهن باتباع هذا السبيل، وأنها لعل مقربة منهم، ولسوف يجدونني بانتظارهم لنسلك معاً هذا الطريق.

لتربية هذه النفس وتهذيبها وتحريرها من سلطان هذه الشوائب وإخضاعها لقرارات العقل وأحكامه.

ولطالما انصرف الباحثون من علماء الأخلاق والفلسفة والمجتمع، على اختلاف مذاهبهم، من أقدم العصور إلى هذا اليوم، إلى التنقيب عن العلاج الناجع الذي من شأنه أن يطهر النفس الإنسانية، من شوائبها ومن صفاتها المرذولة، فلم ينتهوا من بحثهم وتنقيهم إلى أي قرار أو اكتشاف تؤيده تجربة التطبيق والواقع.

بل انتهى المنصفون من الباحثين والعلماء والمفكرين، وفي مقدمتهم الفلاسفة، إلى أن الإسلام هو الطهور الذي لا بديل عنه لتهذيب النفس الإنسانية وتركيتها.

ذلك لأن الإسلام في جوهره الاعتقادي، إنما هو اكتشاف لحقيقة الذات، وبقطة تامة إلى أبرز ما يسري داخل كيان الإنسان، ألا وهو الشعور الخفي بواقع عبوديته ومملوكيته لله عز وجل.. وتلك هي مهمة القرآن الأولى إذ يتوجه بخطابه الحوارى الهادى إلى الناس.

وما يكاد الإنسان يقف من الإسلام وكتابه الأول هذا، أمام مرآة ذاته متأملاً ومدققاً في موضوعية عقلانية متحررة، حتى تبدأ حالة من التمرد داخل نفسه على الشوائب التي كانت متراكمة عليها، بينما تنتعش الفطرة الإيمانية التي كانت كامنة بين جوانحه (وإنها لحقيقة راقدة أو مستيقظة في كيان كل إنسان) ثم تزداد قوة وانتعاشاً كلما ازداد صاحبها إصغاءً إلى خطاب الصانع المنبه إلى وجوده وربانيته وإلى قصة نشأة الكون، والمركز القيادي الذي يتبوؤه الإنسان في خضم هذا الوجود الكونى، والمنبه له إلى أنه إنما يتحرك داخل قبضة محكمة من سلطان الله ونافذ حكمه، ثم إلى المآل الذي لا بد أن يصير إليه بعد الموت.

وليس الإسلام الذي ابتعث الله به الرسل والأنبياء جميعاً، إلا مجموعة من هذه الحقائق التي يجب أن يتحلى بها الإنسان يقيناً يؤمن به عقله، ووجداناً تتفاعل به مشاعره، حباً ومهابةً وتعظيماً^(١).

فإذا استقر الإسلام يقيناً في العقل ووجداناً في أغوار النفس، تهذب الكيان الإنساني وتحرر من الكدورات العالقة به، كالكبر والعصية والأنانية وما يتفرع عنها من مشاعر الحسد والضغائن والأحقاد، وكالتعلق بالمغانم المالية والمتع النفسية وما يتفرع عنه من غش وخديعة ومكر وعدوان على حقوق الآخرين.

وتلك هي التزكية التي يدعو الله إليها الإنسان، من خلال دعوته إلى الإسلام.

وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ۖ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ [الأعلى: ١٤ -

١٥]. وفي مثل قوله عز وجل: ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى ۖ وَاهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾

[النازعات: ١٨ - ١٩]، ومن أهم آثار هذه التزكية أنها ترفع الغشاوات التي تتراكم عادة على العقل مجتمعة من ضرام الشهوات والأهواء والعصيات ونوازع الكبر والاعتداد بالذات. فيرى العقل ما كان محجوباً عنه، وتتبلور أمامه الحقائق صافية عن شوائب الأهواء ورعونات النفس.

(١) كثيرون هم الذين يظنون أن لكل من الرسل والأنبياء ديناً مستقلاً بعث به، وأن الإسلام هو الدين الذي بعث به آخرهم، وهو محمد عليه الصلاة والسلام. وهذا وهم عجيب يردده صريح كلام الله تعالى في أكثر من موضع في القرآن. من أوضحها وأصرحها قول الله عز وجل: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]، ولكن

الناس مع مرور الزمن غيروا وبدلوا ما تركهم عليه رسلهم وأنبياءهم، فظهر الدين الواحد من جراء ذلك في مظاهر أديان متخالفة شتى. ومن هنا شاعت كلمة (الأديان السماوية).

ولا شك في أن الدعوة إلى هذه التزكية النفسية التي لا سبيل إليها إلا بالانقياد لجوهر الإسلام، جاءت قبل الحديث عن الأنظمة والأحكام والتعريف بها والدعوة إليها والأمر بها.

والحكمة من هذه الأسبقية أو هذا الترتيب، أن الإنسان لا يتهيأ لقبول شرائع الله وأحكامه، والتقيدها بها، ولا يثق الثقة التامة بما في التمسك بها من الخير، وما قد يترتب على الابتعاد عنها من الشر، ولا يستيقن بأنه العلاج الأوحد لمشكلات المجتمعات الإنسانية، إلا بعد أن يستيقن بأن هذه الشريعة آتية من عند الله، وأنها هي التعليمات والوصايا التي عناها قول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤]. وقوله تعالى: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٦]. ولا يمكن أن يتحقق لديه هذا اليقين إلا بعد أن يتشبع عقله يقيناً ويتفاعل قلبه وجداناً بالإسلام الاعتقادي الذي أوضحناه.

وليكن معلوماً أن الإنسان حتى لو اقتنع بأدلة المنطق والتجربة، أن أحكام الشريعة الإسلامية تتضمن الحل العملي واليقيني للمعضلات القائمة في مجتمعاتنا، فإن ما فيها من القيود التي يثاقل منها الإنسان بطبعه، بالإضافة إلى ما جبل عليه من الرغبات والأهواء النفسية التي ألمحنا إليها، من شأنه أن يصدّه عن الخضوع لهذا الذي آمن به عقله.. وأنت تعلم أن عقل الإنسان محكوم في أكثر الأحيان لسلطان نفسه وما فيها من وحي العصبية والأهواء.. وإنما السبيل الوحيد إلى تذويب تلك الرغبات النفسية وتحرير العقل من سلطانها، هو هذه التزكية

التي لا تتأتى إلا عن طريق تشبع الإنسان بحقائق الإسلام الاعتقادية، عن طريق اليقين العقلي أولاً، ثم التربية الوجدانية ثانياً.

فإذا ربّي الإنسان هذه التربية العقلية والوجدانية، تكونت له من ذلك قوة عجيبة تجعله ذا ثقة تامة بشرائع الله وأحكامه، علم وجه الفائدة منها أم لم يعلم، وتجعله حارساً أميناً على رعايتها وتنفيذها جهد استطاعته، وتجعله يصمد أمام الضغوط الوافدة المعاكسة، يغالبها حتى يتغلب عليها، دون أن يجد في طريقه إلى ذلك عائقاً من فكره أو من نفسه.. أما الفكر فلأنه اطمأن إلى بالغ حكمة الله وعظيم رحمته، ووثق بعدالته في كل ما يأمر به وينهى عنه، وأما النفس فلأنها زكيت وتخففت من أثقال رعونتها وعصبيتها وأهوائها.. فأنى للتحدي أن يسري ويتغلب سلطانه على هذا الإنسان.

النموذج الذي لا ينسى :

تتجسد هذه الحقيقة التي أذكر بها، ولا أقول: أكتشفها أو أعرف بها، إذ هي من البدهيات التي لا يجهلها العقلاء، ولكن قد ينساها الغافلون أو المتشاغلون.. أقول: تتجسد هذه الحقيقة كأبرز وأظهر ما تكون، في المنهج الذي سارت عليه بعثة خاتم الرسل والأنبياء محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلّم. وإليك بياناً موجزاً بذلك.

كان العرب الذين هم أول من اتجه إليهم القرآن بخطابه الحوارى الداعي إلى الإسلام والإيمان، مضرب المثل في الرعونات النفسية بأنواعها، من عصبية وأناية وانجراف في تيار الشهوات والأهواء، إلى جانب الغلو في كل شيء، والجهل تقريباً بكل شيء، بالإضافة إلى ما ركنوا إليه من تقاليد اجتماعية وخرافات دينية وأوهام اعتقادية.

ولاشك في أن القرآن إنما اتجه بالخطاب أولاً إلى هؤلاء العرب، داعياً لهم إلى الإسلام.

فإلى أي الإسلاميين (إن جاز التعبير) دعاهم بادئ الأمر، بل خلال مدة لا تقل عن ثلاثة عشر عاماً؟.. ألى الإسلام الذي هو الشرعة والقانون والنظام، أم إلى الإسلام الذي هو تعريف العقل بحقائق الكون والإنسان والحياة وبهوية الإنسان عبداً مملوكاً لله وحده، ومن ثم الإسلام الذي يحرر النفس من رعوناتها ويخضعها لسلطان العقل وحقائق العلم؟..

عدّ إلى ما تضمنته السور المكية التي تنزلت على رسول الله ﷺ قبل هجرته إلى المدينة المنورة، تعرف الجواب عن هذا السؤال.

إن هذه السور لا تتضمن أكثر من إيقاظ للعقل، وتوجيه له إلى حقائق العلم، إلى جانب تهذيب النفس باستثارة ما فيها من مشاعر الرغبة والرغبة، وربط النعم بالمنعم، ومظاهر المكنونات بالمكنون، وإذكاء مشاعر الحب في الإنسان لمن هو أولى الكائنات بحبه، سواء ما يأتي منه بدوافع الإحسان أو بعوامل التمجيد والانبهار، أو بتأثير معاني الجمال وصوره.

تحت سلطان هذا الحوار الذي استمر لسنوات عديدة، صيغت النفوس العربية صياغة جديدة، فزكيت وتخلّصت مما علق بها من شوائب العصبية والرعونات والأهواء، واستيقظت حوافز العقل متجهة إلى الفكر والتدبر، واتجهت مشاعر النفس تحت وطأة الحوار القرآني إلى محبة المحبوب الأول وإلى تعظيم العظيم الأوحد.

ولاريب أن الوصول إلى هذه الغاية استغرق زمناً طويلاً واحتاج إلى جهاد كبير وصبر جميل عليه، وليت أن (الإسلاميين) الذين يقفزون فوق هذا الجهاد الدعوي التربوي الذي كان الشغل الشاغل لرسول الله ﷺ، ويتحدثون بدلاً عن ذلك عن جهادهم التخريبي، عرفوا قيمة هذا الجهاد التربوي وأهميته، وليت أنهم فازوا بسهم منه، ولم يمروا من جنبه مستهزئين وغير عابئين.

إن تلك النفوس التي صيغت في بوتقة العقيدة والتربية الإسلامية، وتحررت من ثقل العصبية والرعونات، خلال جهاد طويل، كانت هي المناخ المهيأ

للتقياد لشرائع الإسلام وأنظمتها وأحكامها دون أيّ تبرّم من قيودها، ودون أي شعور بتحديات الأفكار والأنظمة الحضارية المحيطة بذلك المناخ.

ثم إنّ النفوس التي صيغت تلك الصياغة الجديدة، كانت هي السياج الذي وقى شرائع الله وأحكامه من التبدد والاضمحلال.. وكانت هي القوة الفعالة التي غالبت تحديات العادات والتقاليد العربية الداخلية، وتحديات الفلسفات والحضارات الخارجية حتى تغلبت عليها.

أيهما أعتى وأشدّ.. تحديات اليوم أم تحديات الأمس؟

والآن.. حان لنا أن نتكلم عن التحديات المعاصرة التي تواجه المسلمين اليوم، والتي يقوم ويقعد بالحديث عن خطورتها والتأفف منها والشكوى من صعوبة التغلب عليها كثير من هؤلاء المسلمين.

ولا نشكّ في أن حديث جُلِّ هؤلاء الناس عن هذه التحديات بهذا الشكل، إنما هو مقدمة تبريرية بين يدي قرار، بل إعلان وشيك عن عدم صلاحية الإسلام، من حيث هو شرعة ونظام، في هذا العصر الذي تواجه تحدياته العلمية والحضارية العالم الإسلامي، بل تغزوه هذه التحديات بتقنياتها وفنونها وتياراتها الاقتصادية التي لا قبل لأحد بالوقوف في وجهها. ومن ثم فلا مناص من الاستسلام طوعاً أو كرهاً لسلطانها، واللاحق بالعالم الغربي الذي آلت إليه قيادة العالم الثالث، بل العالم كله، وهي القيادة التي تسوق العالم الإسلامي اليوم إلى عولمة لا اختيار له فيها...

إنّ الذي يصغي إلى هذه الشكوى المتكررة والمريرة من هذه التحديات، ليكاد يتصور أنها تحديات خانقة لا قبل لأحد بالوقوف في وجهها، وأنها توشك أن تطبق بسلطانها على العالم الإسلامي، وتأخذ منه بالخناق!.. وأنّ أحدنا ليخيل إليه أنّ المجتمع الإسلامي لم يمر في تاريخه كله بمنعطف حرج ضيق من هذه التحديات، كالذي يمرّ به في هذا العصر!..

فهل الأمر كذلك؟.. هل هي المرة الأولى التي يواجه فيها المسلمون ما يناقض إسلامهم، ويقابلون من ذلك تياراً من المستجدات الحضارية والاجتماعية، لا قبل لهم بالصمود في وجهها فضلاً عن التغلب عليها؟..

لقد واجه العرب في عهد البعثة النبوية أثناء تحولهم من الشرك والحياة الجاهلية إلى الإسلام، تحديات مماثلة.. فتعال نوازن ثم نتساءل: أي التيارين من التحديات أشدّ وأعنى؟ تلك التي واجهها العرب المسلمون وهم يؤسسون حياتهم الإسلامية وقيمون بنيانها الاعتقادي ثم التشريعي، فوق أرضية من نسيج العادات والتقاليد الجاهلية، فضلاً عن التيارات الحضارية الوافدة المناقضة، أم هذه التي يواجهها المسلمون اليوم، وهم يتفيؤون من الإسلام ظلال حضارة يانعة متكاملة، وبعد أن ورثوا من ماضي الإسلام العلمي والتشريعي والاجتماعي والإبداعي تياراً تغلب خلال العصور المنصرمة على تيارات حضارية متنوعة مناهضة شتى؟!..

كانت التحديات التي واجهها المسلمون في عصرهم التأسيسي، مزيجاً من تحديات داخلية تمثلت في أعراف متحكمة وعقائد خرافية متوارثة، وعصبية معاندة لما كان عليه الآباء والأجداد.. كما تمثلت في تيارات وافدة سرت إليهم من العالم المتحضر الذي كان يحيط بهم من سائر الأطراف، وذلك قبل أن يتكون لهم نسيج حضاري مقاوم يتحصنون فيه.. كل ذلك والإسلام الذي أقبلوا إليه وارتضوه كسوة جديدة لحياتهم الاعتقادية والنفسية والاجتماعية، كان لا يزال غضاً لم ترسخ قواعده بعد في مجتمعاتهم، ولم يضرب بجذوره الفكرية، ثقافة وحضارة وعلماً في عقولهم ونفوسهم!..

فهل تبلغ التحديات التي يتأفف منها بعض المسلمين اليوم معشار تلك التحديات؟..

ثم إن الأحكام الشرعية التي تلاحق نزولها كاملة خلال عشر سنوات فقط، كانت متناقضة مع أولئك الناس الذين تنزلت عليهم وقضت بنقلهم بشكل انقلابي من فوضى الحياة القبلية إلى نظام تشريعي صارم، يفظمهم عن كثير من الأهواء

والرغبات والمحبيات، ويثقلهم بكثير من الأعباء والقيود.. لقد كان سلطان الأنظمة والقيود الشرعية من حيث هي جديداً عليهم طارئاً على حياتهم. وكان بينها وبين نهج حياتهم المألوفة ما بين النقيض والنقيض. ومع ذلك فقد قارع الإسلام الذي هيمن على حياة أولئك الناس، تلك التحديات المتهاجة كلها، حتى أذابها وقضى عليها!. ثم يأتي بعض المسلمين اليوم، وقد احتاج بهم دلال طامع، واستذلهم تخاذل واجف، يشكون ويتأفون من أوهام يسمونها التحديات. ولم يثبت إلى الآن أنّ هذه الأوهام استجابت لحاجة لم تستجب لها شرعة الإسلام، أو حلت مشكلات لم تتمكن من حلها وصايا الله وأوامره عز وجلّ.

والسؤال الذي لا بدّ أن يقفز هنا إلى الذهن، هو أنّ هذه المفارقة العجيبة واقعة فعلاً!.. ولكن فما سرها، وما السر الكامن وراءها؟.. ما السر الذي جعل أولئك العرب يتغلبون في عصرهم التأسيسي على كل التحديات الداخلية القاهرة، وعلى سائر التحديات الحضارية الوافدة، في حين أنّ المسلمين اليوم، وهم ورث حضارة ومدنية وتشريع، يستخذون أمام أوهام خيل إليهم أنها تحديات.. ويستسلمون لأفكار ومعايير اجتماعية وافدة، متصورين أنها السلطان المتغلب والبديل الناسخ!.. ما السبب في صمود ذلك الرعيل الأول أمام تحديات حقيقية دون أي اهتمام بها، وفي استسلام كثير من المسلمين اليوم لأوهام لا تتحدى، ولا أخيلة لا تقاوم!..

الجواب الذي يغيب عن بال كثير من المسلمين اليوم، أنّ الذي تغلب على تلك التحديات المتهاجة والتمتردة في حياة العرب في صدر الإسلام، لم يكن نظام الحكم الإسلامي الذي يقارع به (الإسلاميون) اليوم التحديات المعاصرة. وإنما الذي تغلب هو الإسلام الاعتقادي والتربوي.. إسلام العبودية والخضوع لسلطان الله، إسلام الدينونة والطوعية الراضية لربوبية الله.. وذلك بعد أن سرى الإسلام يقيناً إلى العقول، ثم هيمن عاطفة ووجداناً على القلوب. فكان لا بدّ عندئذ لذلك اليقين العقلي الذي دعمه الوجدان حباً ومهابةً وتعظيماً وثقة، أن

يتغلب على كل تلك التحديات.. أي على رواسب العادات والعصبيات المسيطرة في الداخل، وعلى تيارات الموروثات الحضارية التي اندلقت إلى الجزيرة العربية خلال الفتح الإسلامي من الخارج.

ولو أن محمداً ﷺ بدأ فدعاً أولئك المثقلين بكل تلك القيود الداخلية والضغوط الخارجية، إلى التحرر من ذلك كله، والانضباط بدلاً عن ذلك بمجموعة الأحكام الشرعية المتعلقة بالمال والمعاملات والحدود والعقوبات، لما وجد فيهم أيّ أذن صاغية، ولو لبث فيهم أضعاف عمر نوح.. ولاريب أنه لو استطاع أن يقنع عقولهم بأفضلية الشريعة الإسلامية، لما استطاع أن يخضع مشاعرهم الوجدانية ورعوناتهم النفسية لواجب التمرد على كل تلك الموروثات التي كانوا يركنون إليها ويأمنون بها ويتعصبون لها.. ولاعتذروا عن رفضهم للبديل الذي هو أحكام الشريعة الإسلامية بأضعاف ما يعتذر به الناس الذين يشكون اليوم من وطأة التحديات المعاصرة.

وهذا يعني أن الإسلاميين الذين لا يتحرّقون من الإسلام كله إلا على إقامة ما يُسمى بالمجتمع الإسلامي، لو رجعوا، ثم رجعوا إلى مرحلة القاعدة والتأسيس، فاشتغلوا بتربية النفوس وركزوا اهتماماتهم على تغذية العقول بحقائق الإسلام التي تبدأ فتعرف الإنسان على حقيقة هذا الكون والحياة، وعلى قصة الرحلة الإنسانية في فجاج هذه الدنيا، ثم ألهبوا مشاعر الناس بمحبة الله ومهابته وتعظيمه.. ولو أنهم سلكوا إلى ذلك السبيل ذاته الذي سلكه رسول الله ﷺ مع أولئك الناس الذين توجه إليهم بالإبلاغ والدعوة والحوار، صابرين محتسبين، إذن لكان هؤلاء الناس أنفسهم هم الباحثين عن أحكام الله وشرعه ليسعدوا أنفسهم بتطبيقها والالتزام بها، ولما شعروا بشيء مما يسمونه بالتحديات.. فضلاً عن أن يركنوا إليها ويستسلموا لها، وعن أن يتأففوا من ثقل الأحكام الشرعية تجاهها.

ولكن الجاهلية مضت.. والناس اليوم مسلمون!

هذا ما يقوله بعض الإسلاميين أو جلّهم عندما يقال لهم هذا الكلام الذي ذكرناه.. إن الحديث عن العقيدة وسلوك النهج التربوي، غير وارد في نظرهم لأن الناس اليوم مسلمون. ولا يسمى الإنسان مسلماً إلا إن كانت العقيدة الإسلامية قد عمرت لبّه، ولذا فإنّ الذي ينقصهم هو أن يتفيؤوا ظلال مجتمع تطبق فيه أحكام الإسلام.

والجواب أنّ المسلمين أمشاج من فئات شتى، فيهم قلة من المسلمين الذين تتجلى فيهم سيرة أصحاب رسول الله ﷺ، إيماناً وعاطفة وسلوكاً.. وفيهم كثرة تنتمي إلى الإسلام تراثاً وتعزّز به أمجاداً وتاريخاً، ثم هي مستسلمة لتيار الرغائب والأهواء وكل طراز جديد.. وفيهم كثرة أيضاً تعيش دون أن تعلم شيئاً عن معنى الإسلام الذي وجدت نفسها تنتمي إليه دون أن تكتشف أيّ خيار لها في قبوله أو رفضه، قد شغلته ظروف الحياة وتراكم المشكلات، وتلمس أسباب المعاش عن النظر في هذا الأمر الذي التصق بها دون أن يعينها وفيهم كثرة أخرى نشؤوا في ظروف نفسية وربما فكرية وفلسفية، شكّلت لديهم عقداً ومشاعر سلبية تجاه الإسلام من حيث هو، فانطلقوا يبحثون عن البديل اعتقادياً وثقافياً وحضارياً^(١).

(١) كثير من هؤلاء الإخوة المعقّدين، لا يحملون في أخيلتهم من ذكرى أي تعريف لهم بالإسلام أو دعوة إليه، ووجهوا بهما إلا آثار سيات كانت تهوي بها على ظهورهم ورؤوسهم أيدي الدعاة إلى الله والمعرفين بدينه، في أبهاء الجامعة وبين مباني الكليات، وذلك في المظاهرات التي كانت تقام في المناسبات السياسية.. فقد كان على الإسلاميين أن يستحضروا عصيهم الغليظة من المساء، ليُلْقِنُوا الضالين والملحدين أبلغ دروس (الدعوة إلى الله) لا بألسنتهم المحاورّة، وإنما بسياطهم الكاوية!!..

وليس عذراً، أن يقول قائل: ولكن حوار السيات لم يكن من طرف واحد فقط.. إذ إن سبيل الآخرين كان ولا يزال سبيلاً واحداً، ألا وهو الثورة. وهو السبيل الذي ظلّ الإسلام في كل عهوده الغابرة مترفعاً فوقه. لأن مطمح نظر الإسلام في عمله هو العقول والألباب، أما قصارى هدف الآخرين هو الجبر والإلزام. على أن أحداث تلك الأيام =

فهذا المجتمع الذي يتحرك فيه (الإسلاميون) سعياً إلى فرض خِلة (النظام الإسلامي) عليه!

صحيح أنه ليس مجتمعاً جاهلياً كالذي كان أيام بعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ولكن فيه من التشاكس وتراكم التناقضات الفكرية والنفسية، بالإضافة إلى سلطان التيارات الوافدة ما يفرض ابتداء منهج الدعوة الإسلامية فيه من أول الطريق، ويجعله يرقى في عمل الدعاة إلى قمة معاني الجهاد.. وهذا يعني أنهم لا بد أن يعودوا بحكم الضرورة إلى النهج ذاته الذي سلكه رسول الله ﷺ، عندما أقبل إلى ترسيخ القواعد الأساسية الأولى للمجتمع الإسلامي.

إن هذا المجتمع الملون في أفكاره، والمتنوع في آماله وأحلامه، والمتعارض في سلوكات أفراد، سرعان ما يستجيب للنداء الذي يعود بأفراده إلى الجذور ويقف بهم على المعين (وهما موجودان بحمد الله) والذي يضعهم من فطرتهم أمام مرآة الذات؛ بشرط أن يصادفوا منادياً يناجيهم بلوعة قلبه، لا بفن لسانه، يشعل بين جوانحهم جذوة إيمانهم بالله، ويحيي في قلوبهم كوامن عبوديته له، ويعيدهم برائع أخلاقه وسلوكه إلى سيرة رسول الله .. ويوقظهم شيئاً فشيئاً إلى ذكر دائم لله، ويسقيهم قطرة فقطرة شراب محبة الله، ويصرفهم من صور الدنيا إلى مكنون جمال الله عز وجل.

أجل.. فليس بين واقع هذا المجتمع وبين أن يتحول أفراداه فيستجيبوا لهذا النداء، سوى أن يكون المنادي (بكلمة جامعة لكل ما ذكرت) مخلصاً لله عز وجل، وأن يكون المخاطبون بالنداء متحررين من كبريائهم وما قد يتفرع عنها من الأنانية والعصبية.

= ناطقة - مع ذلك - بأن الإسلاميين كانوا هم الأسرع إلى هذا الأسلوب، وكانت عصيهم أكثر غلظة وأشد إيلاماً .

وعندما يوقظهم هذا النداء، ويفعل في كياناتهم فعله، فإن المعنى التقليدي للإسلام، يختفي ويدوب، ليحل محله حضور إسلامي فعال، يهيمن على عقولهم، ويلهب مكانهم وجدانهم، وتنحل عندئذ العقد النفسية لدى الشاردين والتائهين، ويصحو أولوا الشهوات والأهواء من سُكر رغائبهم، وقد أدركتهم منها السامة والملل.. وإذا الكل قد تلاقوا مجتمعين أمام مرآة الذات، متعارفين بين يدي نَسَب عبوديتهم لله، يبحثون عن أنس قلوبهم في تلاوة كتابه وتدبر وصاياه وحكمه وأحكامه.. وكما قلت: لن يشذ عن هذه الاستجابة – بالشروط التي ذكرتها في شخص الداعي – إلا مستكبر على الله معاند الحق، مستسلم لسلطان عصبية.

وعندما تسمو بهم التربية الإيمانية إلى هذا المستوى، فلا حاجة عندئذ إلى من يذكرهم بضرورة الانقياد لشرعة الإسلام ونظامه.. إذ إن مشاعر عبوديتهم لله تذكرهم بضرورة البحث عن واجباتهم تجاهه.. وتلاوتهم لكتاب الله تعرفهم بتلك الواجبات، وتعظيمهم الدائب لله يدعوهم إلى القيام بها وإلى الانقياد لها.. أما الدعاة والمرشدون، فلن يبقى عليهم حينئذ إلا واجب التعليم والبيان، وكشف الغوامض وإزالة الشبهات.

إذن.. من أين تنبثق التحديات التي يشيع الحديث عنها اليوم؟

نعود إلى حال المسلمين اليوم بما يتصف به من تشاكس واضطراب.. وإلى النهج الذي يصير أكثر (الإسلاميين) اليوم على اتباعه، وهو التوجه مباشرة إلى فرض أحكام الشريعة الإسلامية عليهم، أي بعيداً عن تعبيد الطريق إلى ذلك، والمتمثل – كما قلنا – في العود بهم إلى الجذور وأخذهم بالوسائل التربوية التي ذكرنا طرفاً منها، نعود إلى هذا الواقع لتساءل:

من أين تنبثق التحديات التي تواجه هؤلاء المسلمين اليوم، والتي يقوم ويقعد بالحديث عنها والشكوى منها شتى فئات الباحثين والمثقفين، بمن فيهم كثير من الإسلاميين أنفسهم؟..

إنَّ ما قد ذكرته يوضح بجلاء أنَّ سلطان هذه التحديات إنما ينبثق غالباً من الحال الداخلية والنفسية، التي يمرُّ بها المسلمون اليوم، وليس آتياً من قهر حضاري أو تيار فكري أو اجتماعي ضاغط ووافد من الخارج.

إنَّ الخليط الذي تتألف منه تركيبة مجتمعاتنا الإسلامية اليوم، يعاني في مجموعته، من فراغٍ (أيديولوجي) إن جاز التعبير.. ومن ثمَّ فإنه يعاني من حالة استسلامية تجعله معرضاً لقبول كل ما يَفِدُ إليه، بل كل ما يمر به..

هنالك ثوب ذو رقع متنافرة شتى، من أحلام الأفكار والأيديولوجيات المختلفة، يرتديه خليطنا الاجتماعي هذا. ولكنه في الحقيقة ليس أكثر من مظهر أو ترجمة دقيقة للفراغ الذي يعاني منه.

إنَّ هذا الفراغ من شأنه أن يورث، كما قلت، قدراً كبيراً من الاستسلام للتيارات والاتجاهات والمذاهب المتنوعة الوافدة، ونظراً إلى أنها تيارات واتجاهات مختلفة، فلا بدَّ أن يكون الاستسلام لها انتقائياً. وهو الذي يزيد المجتمع - بحكم الفراغ الذي يعاني منه - تصدّعاً وشقاقاً.

إنَّ هذا الفراغ الباعث على هذا الشكل من الاستسلام، هو مصدر عجز المجتمع عن الانقياد (في هذه الحال) لنظام الشريعة الإسلامية وأحكامها. وهي كما قلنا حالة عائدة إلى المعاناة النفسية ومن ثم الفكرية التي تستبدُّ بكثير من أفراد مجتمعاتنا الإسلامية اليوم. أي إنَّ سلطان التحدي في هذه المستجدات الوافدة ليس منبثقاً من ضرورتها أو زخم فاعليتها، ولا من ظروفنا المصلحية الداعية إليها.. ولكنه منبثق من عجزنا عن اتخاذ القرار المتفق مع معتقداتنا ودستور حياتنا. وذلك لسبب واضح، هو أننا - في مجموعتنا - لا نملك معتقدات جامعة فعّالة. ومن ثم فإننا لا نصدر في أعمالنا وشؤوننا عن مبدأ جامع راسخ يقود حياتنا.

إنني أتأمل في هذه التي يُسمونها تحديات تواجهنا، سواء أكانت ثقافية أم علمية أو اقتصادية أو اجتماعية أو سياسية، فلا أجد في شيء منها ما يحوجنا إلى إعادة النظر في شيء من مبادئنا أو معتقداتنا، أو إلى التخلي عن شيء من أحكام شريعتنا.. هذا بقطع النظر عن أننا، كسائر العالم الثالث نعاني من مشكلات فُرضت علينا.

إنّ من الثابت يقيناً أنه لا تلك التحديات تحمل إلينا بشائر الحلول لهذه المشكلات إن نحن استسلمنا لها، ولا مبادئنا الاعتقادية وأنظمتنا الاجتماعية والاقتصادية وغيرها تعاني من عجز في الاستجابة لمصالحنا ومتطلبات عصرنا. ما المشكلة الاقتصادية التي عجزت أحكام الاقتصاد الإسلامي عن حلّها، ورسم السبيل الأمثل للتغلب عليها، ثم استقلّ النظام الليبرالي أو الاشتراكي بحلّها؟

ما المعضلة الاجتماعية – إن في نطاق الأسرة، أو في صلة ما بين الرجل والمرأة، أو عموم ما يسمى بحقوق الإنسان – التي لم تقدم الشريعة الإسلامية أفضل علاج لها؟

ما المأساة السياسية التي ابتليت أمتنا الإسلامية بها، ولم يكن سبيل التخلص منها في قرار أيّ متدبر منصف، العود الراشد والحميد إلى تعاليم الإسلام؟ تأمل معي جيداً، تجد أنّ مصدر ما يسمّى اليوم بالتحدي ليس متمثلاً في تنافر مزعوم بين أحكام الإسلام ومصالح مستجدة تفرض نفسها علينا.. إنّ التنافر المزعوم لم يوجد إلى هذا اليوم قط. فإن جاء من يضعك أمام بعض صوره، فمردّ ذلك إما إلى أنّ المصلحة المناقضة للإسلام مصلحة وهمية قضت بضرورتها الرعونات والأهواء، وإما إلى أنّ الحكم الشرعي الذي عارضها جاء نتيجة فهم مغلوط أو دراسة سطحية لحقيقة ذلك الحكم ومستنده إلى مصادر التشريع. وكم في الناس من يبوّئون أنفسهم مركز الفتوى في الإسلام فيبعثون به إن في طريق التهوين أو التشديد، دون وجود أيّ سند لهم من المعرفة والملكة العلمية الكافية.

وإنما مصدر الشعور بهذا التحدي، ذلك الفراغ الفكري الذي حدثت عنه، والذي أورثنا العجز عن الاجتماع على اتخاذ القرار المتفق مع ذاتيتنا ومع ما تقتضيه مصالحنا.

هذا بالإضافة إلى أنَّ مصادر الشريعة الإسلامية الأصلية والفرعية كانت ولا تزال الميزان العلمي الذي تُعرض عليه مستجدات المصالح والأعراف والظروف الطارئة. فما كان منها متفقاً مع المصلحة الإنسانية التي جاء الإسلام لرعايتها وحمايتها، أيده ودعا إليه، طُبِقَ المرتبة التي تحتلها في قانون سلم الأولويات بين المصالح. وهو السلم الذي تُصنّف فيه درجات المصالح على النحو التالي بدءاً من الأهم فما دونه: مصلحة الدين، فالحياة، فالعقل، فالنسل أو الأسرة، فالمال. وتُصنّف فيه درجات رعاية المصلحة الواحدة من هذه المصالح طبق الأولويات التالية: الضروريات، فالحاجيات، فالتحسينيات.

إنَّ مصادر الشريعة الإسلامية، ولاسيما الفرعية، كانت ولا تزال، الأداة الفعالة لسلوك سبيل الاجتهاد في هذه المستجدات على بصيرة وطبق قواعد ثابتة. إنَّ من أبرز هذه المصادر: المصالح المرسلّة، وسدّ الذرائع، والاستحسان، وسلطان العرف، واليقين لا يزول بالشك.

وتدخل هذه المصادر كلها تحت ذلك الفن الشهير الذي استُخلصت قواعده كلّها من نصوص القرآن الكريم والسنة الصحيحة، والذي يُسمى بقواعد تفسير النصوص، أو علم (أصول الفقه).

كلّ ما في الأمر أنَّ الاحتكام إلى هذه القواعد لا يعني منح سائر المستجدات التي قد يُخيّل إلينا أنها مصالح، إجازة مرور وقبول مطلقاً وطبقاً لما يستدعيه هذا الخيال.

وإنما معناه عرض هذا المستجدات على هذه القواعد العلمية الدقيقة، على ضوء ما فيه من ميزان المصالح، مرتبة حسب سلم الأولويات الذي أشرنا إليه، ثم اتباع الحكم الذي يكشف عن ذلك السلم من ردٍّ أو قبول..

وها هي المجامع الفقهية تؤدي واجبتها على خير ما يُرام في بيان الأحكام الشرعية المختلفة لكل ما يستجد في حياتنا اليوم من مصالح أو أعراف أو اكتشافات.. دون أن تشرّد بذلك عن ميزان الشرع وهديه، أو أن تتفوق في جمود لا يتفق هو الآخر مع ميزان الشرع وهديه.

غير أن المهم أن أعود فأنّه مرة أخرى إلى أنه لا فقدان أدوات الاجتهاد هو السبب في ضيق الناس بالتحديات وتأفّفهم منها، ولا وجود هذه الأدوات واستعمالها على الوجه السليم يشكل سبباً كافياً في انمحاقها والقضاء عليها.

ولكي نزيد المسألة وضوحاً دعنا نتساءل: ما التحدي؟ وكيف يتم الشعور به؟ إن التحدي هو ذلك الضغط المنبعث من تيار حضاري أو اقتصادي أو سياسي وافد، عندما لا يصادف بالمقابل تياراً يقف في وجهه مكوناً من الجوانب ذاتها.

وهذا يعني أن الشعور بتحدي التيار الوافد ليس منبثقاً من قوة التيار ذاته، وإنما هو منبثق من العجز عن مواجهته. وسبب العجز عن مواجهته عدم وجود تيار مقابل في الداخل يسدّ الثغرات، ويحمي المجتمع من الدخيل.

وما من ريب في أن أي أمة تملك ما نملكه نحن من المبادئ الفكرية ومقومات الحضارة، لو أُتيح لها أن تتحد وتتساند وتتعاون انطلاقاً من محورها الاعتقادي الجامع، فإنها تملك أن تنسج لنفسها من ذلك التيار المقابل الذي من شأنه أن يبدد ضغط التيار الأجنبي الوافد، إذا كان مناقضاً لمبادئها وميزان مصالحها.

والمؤلم حقاً أننا نملك المبادئ والقيم والنسيج الحضاري الكامل، ولكننا _للسبب الذي أوضحته منذ قليل _ لا نملك أن نصوغ من ذلك تياراً يحمي وجودنا الحضاري من وقع التيارات الوافدة أو العاصفة.

وفي الناس اليوم من تغيب عنه الحقيقة الواضحة، في غمار الانطواء على فرديته بعيداً عن التنبه إلى كونه جزءاً من مجتمع، ومن ثم بعيداً عن النهوض بما يترتب عليه من واجب في هذا الصدد. إنه يقول: إن هذا التيار الحضاري الوافد

إلينا، من شأنه أن يذيب في كيان العربي المسلم الفرد، سلطان إرادته وأن يشلّ فاعليته واختياره، ومن ثم فهو لا يملك إلا الاستسلام، حقاً كان هذا الذي يستسلم له أم باطلاً!!..

إنّ الذي نسيه هذا القائل في غمار فرديته التي يركن إليها، هو أنّ ذلك التيار الاجتماعي الوافد والذي لم يجد بداً من الاستسلام له، إنما تكونت بذوره من إرادات وقصود فردية، تلاقت لدى أصحابها وتضافرت بدافع من رغبة التعاون في طريق رعاية المصالح وحماية الذات، وينسى هذا القائل أنّ هذه الإرادات والقصود الفردية موجودة أيضاً لدينا نحن، بل إنّ المادة التي يمكن لهذه الإرادات الفردية أن تلتقي على محورها موجودة هي الأخرى لدينا، وأعني بذلك مجموعة المبادئ والنظم التي تكون منها نسيج حضاري متكامل ساد خلال قرون متطاولة؛ كلّ ما نفتقده في هذا المضمار إنما هو روح التعاون الحقيقي الذي لا بدّ منه لتتحول الأنشطة الفردية إلى تيار اجتماعي راسخ.

إذن، فقد أصبح من الواضح أنّ التحديات التي يشعر بها كثير منا في مواجهة مجتمعاتنا العربية والإسلامية، ليست آتية من قرار عقلي دلّت عليه التجربة بعدم جدوى المبادئ الاعتقادية التي كنا ولا نزال نأخذ أنفسنا بها، أو بعدم جدوى الأحكام الشرعية التي كانت ولا تزال مصدراً لسعادة الفرد وخير المجتمع، وبأنّ الأنظمة الغربية أو الشرقية الوافدة هي وحدها التي بدت اليوم مجدية ومناسبة.

أجل.. إنّ وطأة هذه التحديات ليست آتية من قرار عقلي بهذا أو بذاك.. وإنما هي آتية من عاملين داخليين:

أحدهما تراجع الثقة بالإسلام لدى كثير من المسلمين، من حيث هو عقيدة ودين موحى به إلينا من عند الله، ومن ثم من حيث هو مجموعة مبادئ ونظم وأحكام.. ولعلّ جلّ هؤلاء المسلمين ممن بيدهم صنع القرار..

ثانيهما عجز أفراد الناس وفئاتهم عندنا عن مدّ جسور التعاون فيما بينهما لتحويل الإرادات والطموحات الفردية إلى تيار اجتماعي فعّال، وتحوّل الأمة الواحدة إلى فئات متدابرة شتى!..

والترجمة الوجيزة الجامعة لكلّ هذا الذي قلته، هي أنّ ما يُسمى بالتحديات التي تواجه حياتنا العصرية اليوم، وهم كبير سرى إلينا، وهيمن على نفوسنا، من جراء أمراض تربوية واجتماعية تعاني منها أمتنا اليوم.

والآن.. فما العلاج؟..

إنّ العلاج يتمثّل في عمليّن يجب أن تنهض بكلّ منهما شريحة من هذه الأمة. أما العمل الأول فيتلخص في تصحيح جذري يجب أن تقوم به الجماعات الإسلامية التي ما زالت تزداد عدداً واختلافاً فيما بينها، فيما يتعلق بمنهج العمل الإسلامي الذي تأخذ نفسها به.

وأما العمل الثاني فيتلخص في الواجب الذي ينبغي أن تنهض به قادات المجتمعات العربية الإسلامية.

ولنفصل القول في كلّ من هذين الأمرين اللذين يشكّلان باجتماعهما العلاج الذي لن نحتاج معه بإذن الله إلى مزيد.

إنّ الجزء الأول من هذا العلاج يتمثّل في واجب ينبغي أن يُخاطب به كلّ المهتمين بالعمل الإسلامي، وواجب الدعوة إلى الإسلام والتعريف به، وردّ الشبهات التي قد تتسرب إليه. وفي مقدمتهم من يسمّون اليوم بالإسلاميين.

يتحقّق هذا الواجب من خلال خطوتين بالغتَي الأهمية:

الخطوة الأولى: استخراج منهج موحد من الإسلام الذي يهتم هؤلاء الناس بخدمته والعمل من أجله، بحيث يكون جامعاً لأشتاتهم موحداً لصفوفهم محققاً للقدر الذي يجب أن يتمّ من التعاون فيما بينهم..

وأنا لا أستطيع أن أتصور أناساً يهتمون فعلاً بخدمة الإسلام وتعريف الناس به والدعوة إليه، ثم لا تجمعهم من هذا الإسلام جوامع مشتركة تفرض عليهم السير في طريق واحد.

وإنما يستلهم هذا المنهج من عمل رسول الله ﷺ وأصحابه، يوم تحققوا بقول الله عز وجل: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]. فانطلقوا يدخلون حقائق الإسلام في عقول الضالين والتائهين قناعة ويقيناً، ويغرسونها في أفئدتهم حباً وتعظيماً.

وهذا المنهج يستدعي بالضرورة أمرين اثنين:

الأمر الأول: طي السعي في مقارنة أنظمة أجنبية وافدة، بأنظمة إسلامية يراها كثير من المسلمين تراثاً من التراث.. فإن هذه المقارنة، بعيداً عن العمل التأسيسي، لا تزيد هؤلاء التراثيين إلا تبرماً بهذه الأنظمة الشرعية الفوقية (أي المنفصلة عن جذورها الدينية) ولا يمكن أن تنبهم إلا إلى مزيد من ضغط التحديات الوافدة.

يجب على الإسلاميين ألا يتوقعوا أن يكونوا أكثر انتصاراً بهذه المقارنة، من أصحاب مذاهب غربية وشرقية متنافسة عندما يتسابقون ويتزاحمون ليفرض كل منهم مذهبه الذي ينتصر له على هذا المجتمع العربي المسلم.. إن النظام الإسلامي المنبث عن جذوره، لا يكون في هذه الحال إلا واحداً من تلك المذاهب أو الأنظمة، مع فرق ما بينهما، من الدعم الأجنبي المتوفر دائماً لتلك المذاهب، الفقر الذي يعاني منه مشروع النظام الإسلامي المطروح.

إنني أجزم بأنني لو كنت واحداً من هؤلاء الناس الذين لا ينظرون إلى الشريعة الإسلامية وأحكامها إلا نظرة تراثية، بحيث يخيّل إليهم أنها ليست إلا واحداً من هذه الأنظمة المطروحة للمقارنة والانتقاء، وأن فرق ما بينه وبينها أنه نظام قومي موروث، وأن الأنظمة الأخرى حضارية وافدة، إذن، فلن أجد نفسي إلا واقعاً

معهم تحت ضغط ما يسمى بالتحديات المعاصرة. ومهما حاولت أن أستشير موازين العقل والفكر للتحكيم في الأمر، فلسوف يكون سلطان الاستشارات النفسية والرغائب المصلحية السريعة لتلك الأنظمة والمذاهب، هو الفائز والمتغلب في مجال المقارنة والتحكيم.

الأمر الثاني: ضرورة التحول من هذه المقارعة غير المجدية، إلى واجب الدعوة والتبليغ، أي إلى تأسيس حقائق الدين الإسلامي في أذهان الناس وقلوبهم، وذلك عن طريق إيقاظ عقولهم إلى حقيقة الإسلام التي هي أولاً: مرآة صافية ودقيقة لهوية الإنسان، وهي ثانياً: دعوة إلى الانضباط بالتعاليم التي خاطب بها رب العالمين عباده.

إنَّ الناس اليوم بأمس الحاجة إلى هذا الإيقاظ.. أي إنهم أحوج ما يكونون إلى من يذكرهم بواقع عبوديتهم الاضطرارية لله، وذلك من خلال تنبيههم إلى ربوبية الله ومالكيته المطلقة لهم وللكون كله.. إنهم بأمس الحاجة إلى أن يعلموا أنَّ الإنسان ليس مجرد أحدى عابرة في خضمِّ هذا الكون، وعلى معبر هذه الحياة التي لا يستبين لها مبدأ ولا يلوح في سلسلتها معالم انتهاء.

إنَّ مشكلة هؤلاء التائهين لا تكمن في عدم اقتناعهم بأنَّ أحكام الشريعة الإسلامية أجدى وأنفع للناس من الأنظمة والقوانين والمواصفات الأجنبية الوافدة، فإنهم حتى لو اقتنعوا بأنها الأجدى والأنفع من غيرها، فإن الأمر لن يتغير منه شيء.. وإنما تكمن المشكلة في أنهم بحاجة إلى من يلفت نظرهم إلى أن كل هذه المكونات، بدءاً من الذرة وجزئياتها، إلى الأفلاك وتحركاتها عاكف على وظيفة لا يشرد عنها، مرتبط بنظام لا يتحول عنه. تماماً كما قال الله تعالى عنها:

﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥٠]. ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]. ﴿كُلُّ قَدَرٍ مَعْلُومٌ صَلَاتُهُ وَتَسْبِيحُهُ﴾ [النور: ٤١] أفيَعقل فيما يقرره المنطق والعقل أن يكون الإنسان الذي هو محور هذه المكونات والمتميز عنها

جميعاً بخصائص الاختيار والإدراك والعلم، هو وحده مظهر العبث في الوجود، وهو وحده الشارد عن الالتزام بأي مهمة، والطلاق عن الانضباط بأي هدف وغاية؟!.. لا ريب أن على الإنسان أن يعلم مسؤوليته تجاه من بيده إدارة هذه المكونات كلها.. تجاه ذاك الذي أقام كل شيء من الموجودات على وظيفته الدقيقة، وجعلها مسخرة للإنسان دائرة على رعايته وخدمة مصالحه. وليس من عاقل يتصور أن السيد الذي سخرت له المكونات التي من حوله، خلق ليلهو ويعبث، ويفسد أو يصلح، بينما كل الموجودات الأخرى التي من حوله ملزم بعمله الذي خلق من أجله لا يشرده عنه إلى أي خلل أو اضطراب!..

نعم.. إن هؤلاء الناس ليسوا بحاجة، في الوضع الذي هم فيه الآن، إلى من يقنعهم بأن نظاماً ما خير من نظام، وأن شرعة ما أجدى لصلاح هذه الأمة من شرعة أخرى.. وإنما هم بحاجة ماسة إلى من يجيبهم إجابة شافية عن الأسئلة التالية:

من أنا في كينونتي الذاتية لا في هيكلي الجسدي وحده؟ ..

من أي مصدر انبعثت وإلى أي غاية أسير؟ ..

ما الموت الذي يتربص منذ فجر الوجود بكل حي؟ ..

هل هو عدم بعد وجود، وسكون بعد حركة، وخمود بعد اشتعال، أم هو منفذ فريد وعجيب إلى حياة أخرى؟ ..

وما الذي ينتظر الإنسان عندما ينفذ من بوابة الموت إلى تلك الحياة؟ ..

ترى هل يتحكم نوع السلوك الذي نمارسه في حياتنا هذه بشكل الحياة وطبيعتها التي سنحياها بعد الموت؟ ..

وما النهاية على كل حال، إن كانت هناك نهاية؟ ..

ثم ما هو السند العلمي الذي يورثنا القناعة بالأجوبة التي يقررها الإسلام عن هذه الأسئلة^(١).

وبكلمة جامعة: إنَّ جمهرة الناس اليوم بأمس الحاجة إلى مرشدين.. مرشدين حقيقيين. وإنَّ مما يؤسف له أنَّ هذه الكلمة أصبحت اليوم غريبة في ألفاظها ومعناها عن عالم الأنشطة الإسلامية التي ينهض بها أكثر الإسلاميين إن لم أقل كلهم!.. بوسعك أن تسمع كثيراً عن الأنشطة الحركية والسياسية و(الجهادية) التي يمارسها ويدعو إليها الإسلاميون.. ولكن هيهات أن تسمع كلمة الإرشاد أو أي من اشتقاقاتها تتردد في أي من هذه الأوساط.

وليكن واضحاً أنني لا أعني الإرشاد المهني الذي يمارسه (مرشدون) محترفون، في كثير من مجتمعاتنا ابتغاء مال، أو زعامة، أو شهرة.. وإنما أعني ذلك الإرشاد التي تتكون سداه من العلم منضبطاً بمنهجه الدقيق، وتتكون لُحمته من الإخلاص الصافي عن الشوائب كلها لدين الله عزَّ وجلَّ. إنني أبحث عن مرشدين تكونت عملية الإرشاد في حياتهم من هذا النسيج، دأبهم البحث عن الضالين والتائهين لمحاورتهم وتحبيب الإسلام إلى قلوبهم، فلا أكاد أعر في خضم مجتمعاتنا هذه على أحد!.. ولو عثرت على واحدٍ منهم لاصطفيتُ مرشداً لي، ولأقمتني مريداً له. ولا ريب أنني كنت بذلك أسعد الناس^(٢).

(١) أرجو أن يعود القارئ إلى كتابي الصغير (مدخل إلى فهم الجذور، من أنا، ولماذا، وإلى أين) ليقف على إجابة مفصلة عن هذه الأسئلة. وهو كتاب حاولت أن أخطب به الغربيين الذين يطمحون اليوم إلى معرفة الإسلام كما لم يطمحوا إلى ذلك من قبل. وهو مترجم إلى الانكليزية والألمانية.

(٢) في الناس من قد يقول: ولكن كبرى الجماعات الإسلامية لا تتحرك ولا تمارس شيئاً من أنشطتها إلا تحت إمرة (مرشد) وأقول: ولكن هؤلاء الناس يعلمون أن الإرشاد الذي يمارسه هذا المرشد هو التبصير بالنشاط الحركي الذي ينبغي أن تمارسه الجماعة =

الخطوة الثانية : وتتمثل في ضرورة تحوّل هذه الجماعات الكثيرة والمتخالفة، إلى جماعة واحدة.. وأنا لا أعلم أيّ مبرر لهذا التكاثر الذي لا يكون منطقياً إلا إن كان نتيجة تخالف وتعارض في القصد، ما دامت هذه الجماعات إسلامية في شعاراتها وإسلامية في سلوكها ومقاصدها. بل إنني أتأمل، فأجد بين هذه الكثرة المتخالفة وبين خدمة الإنسان ودعوة الناس إليه علاقة النقيض بالنقيض.. الإسلام هو الذي كان ولا يزال يوحدّ الفئات المتعدّية والجماعات المتحاربة^(١)؛ فكيف يتصور العقل أن يكون دعاة هذا الإسلام وسدنته إسلاميين فعلاً وهم مثال التعارض بل والتشاكس والاختلاف؟!..

وليكن واضحاً أنّ جهود العاملين لخدمة الإسلام لن تأتي بأيّ طائل، ما داموا فئات متعارضة، تتوازعهم سبلٌ ومناهج متخالفة شتى. إنّ أول انعكاس من شأنه أن يسري إلى مجتمعاتهم التي ينشطون فيها، هو أن تنتقل عدوى تدابرهم وتفرقهم إليها.

ثمّ ما الذي يدعو إخوة جمعهم الإسلام والتنادي لخدمته والدعوة إليه، إلى أن تتفرق بهم السبل وأن يتخاصموا فيما بينهم بعوامل الريبة والانتقاص؟!..

= وليس الإرشاد بمعناه التربوي والسلوكي المعروف في تاريخ الدعوة والدعاة إلى الله، والذي كان يُقبل به المرشدون إلى الراشدين والضالين لجلبهم إلى الهداية والتوبة والسير على صراط الله عزّ وجلّ.

(١) رأيت في ميلانو بإيطاليا رجلين إيطاليين جمعهما الإسلام كأعزّ صديقين. كان أحدهما من قبل فاشيستياً، والآخر شيوعياً. كان بينهما إذ ذاك من الصراع الدموي والأحقاد الموروثة ما تقشعر المشاعر من ذكره. ولكن الإسلام الذي جمعهما جعلهما مضرب المثل هناك للأخوة النادرة، بعد ذلك العداء المخيف. فاعجّب للإسلام الذي يؤلف بين عدوين شيوعي وفاشيستي، ثم لا يستطيع أن يستبقي الأخوة الإسلامية، بين مسلمين ورثوا الإسلام جيلاً بعد جيل، ومع ذلك فهم يسرون فيما يزعمون على طريق خدمة الإسلام!!!..

الذي أعلمه إلى هذه اللحظة، أن الإخلاص لله إذا وُجد، أذاب ما قد يعترض في طريق العاملين المخلصين، من حظوظ النفس ومصالح الذات وفوائد الدنيا، وأحلام الرغائب العاجلة. ومن ثم فلا بد أن يجمعهم الطريق الإسلامي الواحد إخواناً وأحبة متآلفين متعاونين. وإذا وحدهم هذا الطريق الصافي عن كدورات تلك العوارض، فلا شك في أن الله يقيض لهم من عوامل التوفيق ما يبهر البصائر والألباب، ويث في أحاديثهم وكلماتهم سر القناعة والقبول، ولسوف تفتح العقول يقيناً بمنطقهم، وترق المشاعر والقلوب تأثراً بإخلاصهم، ولا يستثنى من هذا العموم إلا المستكبرون والمعاندون.

فهذا هو الجزء الأول من العلاج الذي من شأنه أن يحرر مجتمعاتنا الإسلامية، من وهم التحديات المعاصرة. وهو يتمثل، كما رأينا في العمل الذي ينبغي أن ينهض به العاملون في الحقل الإسلامي، وفي مقدمتهم الجماعات الإسلامية. وأما الجزء الثاني منه، فإنما يخاطب به قادة مجتمعاتنا الإسلامية. وهو يتمثل في واجبين اثنين، كل منهما من الأهمية بمكان:

أما الواجب الأول، فيتلخص في ضرورة التنبه إلى أن أهم ما يجب عليهم أن يهتموا به، هو حراسة الإسلام وحمايته من كيد المستعمرين ومحترفي الغزو الفكري، وأن يعلموا أن هذه هي وظيفتهم الأولى في هذه المرحلة.

وينبثق هذا الواجب، قبل كل شيء، من منطق الأحداث وما يوحى إلى عقل أي مفكر بقطع النظر عن أن هذا الواجب مهمة فرضها الله علينا جميعاً.

وبيان ذلك أن دول البغي تكيد لهذه الأمة من خلال التربص بدينها، والعمل بتعاون منقطع النظير، وعلى أعلى المستويات، على تجفيف سائر الموارد التربوية والعقائدية والثقافية السارية من ينابيع هذا الدين إلى عقول وأفئدة وحياة المسلمين!.. ولست الآن بصدد نقل الوثائق الناطقة بذلك، بدءاً من تقارير صادرة عن مجلس الأمن القومي الأمريكي، إلى توصيات متبادلة في نطاق سياسة الدول

الأوروبية، وعلى أعقاب مؤتمرات عولجت فيها مشكلة ما يسمى بالخطر الإسلامي!!!

فإذا كانت الخطة المرسومة التي لم تعد خفية لتلك الدول، هي العمل على القضاء على فاعلية الإسلام وتحجيم سلطانه في ديار الإسلام، على مستوى جهود مباشرة من القيادات الغربية، فإن من أوضح الواضحات أن على قادة الدول الإسلامية بالمقابل، أن تتولى هي الحماية والحراسة المباشرة لفاعلية الإسلام وسلطانه، وأن تنشط في تغذية موارده الاعتقادية والتربوية والثقافية والاجتماعية.

وإن من الأمور الواضحة أيضاً أن قادة المجتمعات الإسلامية إن ظلوا مشغولين أو متشاغلين عن هذا الواجب بسلسلة القضايا السياسية التي كثيراً ما يراد لهم الانشغال بها، كي يصرفهم ذلك عن إمكانية التفرغ لمقاومة هذه المكيدة العظمى التي تتلاقى على التخطيط لها صناديد دول البغي أجمع فلن تأتي جهود من دونهم – أي من دون قادة المجتمعات الإسلامية – بأي طائل.

إن الأعمال والوظائف الإدارية والتقليدية التي تمارسها وزارات الأوقاف في البلاد العربية والإسلامية، لن تقوى على أن تفعل شيئاً لصد المكيدة التي تنهض بأعبائها قمم القيادات الغربية، تبذل في سبيلها كل الوسائل والطاقات.. وإن أنشطة الجماعات الإسلامية المتناثرة، لن تقوى هي الأخرى – حتى لو أصلحت من أمرها وجمعت شملها – على رد شيء من أخطار تلك المكيدة الكبرى..

إن مشكلة اللا مكافأة بين القوى الكبرى التي تتضافر على طريق الكيد للإسلام والتربص به، وبين الجماعات والمؤسسات الضعيفة التي تتحرك في نطاق محدود لحمايته والمحافظة عليه، لهي من أخطر المشكلات التي تنذر بالعواقب الوخيمة لهذه الأمة!.. وينبغي ألا نجهل أن تكاثر الجماعات الإسلامية المتصارعة والمتطرفة، والتي تتحرك في الساحة على غير هدى، لهي واحدة من هذه العواقب الوخيمة.

كان الإمام الأعلى للمسلمين (ولنسمه خليفة أو رئيساً أو كما تشاء، فليست العبرة بالألفاظ) يرى أن أول الواجبات المنوطة في عنقه، إنما هو حراسة الإسلام وسائر مقوماته وروافده من المتربصين به والكائدين له. إذ كان الإسلام هو الأداة التي تغلبوا بها في سلسلة فتوحاتهم العسكرية والحضارية، فلا جرم أنه العدو اللدود الأول إذن لأولئك الذين منوا بالهزيمة العسكرية والحضارية.. لذا فقد كان أمراً منطقياً ومصرياً أن تكون المهمة الأولى لإمام المسلمين حراسة هذا السلاح الذي كان فعالاً في قوته نافذاً في ضيائه، ثم كان هو الحصن لعزة المسلمين والطوق لوحدهم.. من هنا فقد كان على الإمام الأعلى للمسلمين أن يصرف جل إمكاناته للقيام بهذا الواجب، يجند لذلك الكوادر الكافية من سائر الفئات والاختصاصات والطبقات.

وهو الأمر الذي طمأن ذوي الاهتمامات الإسلامية من العلماء والدعاة وأمثالهم، إلى أن الإسلام مكلوء بالعناية اللازمة، فقد كانت أنشطتهم الإسلامية مجرد دعم ورغد لتلك الرعاية الساهرة الكبرى التي كان ينهض بها الخليفة أو الإمام الأعظم.

وهذا هو السبب في أن المسلمين في تلك العصور لم يكونوا يعانون من فوضى الجماعات الإسلامية وكثرتها المهتاجة والمتطرفة التي ظهرت وما زالت تتكاثر في هذا العصر..

أما اليوم فإن وجودها إنما هو ملء للفراغ.. وللسعي إلى الوقوف في وجه تلك الهجمة الغربية العظمى التي لا يتراءى في الساحة أي قوى مكافئة تقف في وجهها.

ولا شك في أن هذا القصد بحد ذاته مبرور، وهو غيرة وتحرق للدفاع جهد الاستطاعة عن الإسلام ضد المتربصين به والمعتدين عليه.. غير أن من شأن هذا الفراغ أمام تلك الهجمة، أن يهيئ مناخاً غير صالح، بل من شأن تكاثر الجماعات الإسلامية وسعيها الكيفي، دون قيادة موجهة ووحدة إرشادية ضابطة، أن يفتح

أسوأ الثغرات الداخلية لإساءات بالغة إلى الإسلام، لعل القوى الأجنبية العظمى لا تملك أن تستقل بإيجادها فيما بيننا.

من هذه الثغرات تتسرب القوى الهدامة التي تنشط في الخفاء وتحت جنح الظلام.. إن هذه القوى تتخذ عادة من تكاثر هذه الجماعات وأنشطتها أفضل فرصة ذهبية، وخير غطاء ساتر يمكنها من أن تضرب ضرباتها الخفية وأن توغل في الإفساد والتهديم دون رقيب يرى، ولا حاكم يأخذها بالجرم المشهود. وأعتقد أنه لا يجهل أو يشك في وجود هذه الاختراقات في مثل هذا المناخ إلا غائب عن طبيعة وواقع الساحة كلها، أو مغرق في السذاجة وسطحية النظر والتفكير.

ومن هذه الثغرات تزايد وتفاقم أسباب الخلاف والشقاق بين فئات العاملين في الحقل الإسلامي، في المواقف التي يجب أن تتخذ والأساليب التي ينبغي أن تتبع، نظراً إلى عدم وجود مرجع قيادي متفق عليه في النهوض بهذا العمل.. ومن شأن هذا الوضع الذي يفرض نفسه أن تدب الفوضى وتحتاج في صفوف هذه الفئات، وأن تنقدح فيما بينها عوامل التطرف في الفهم والسلوك. ولا شك في أن الظرف لا يخلو عندئذ ممن ينفخون عن بعد أو من قريب، في نيران هذا التطرف والهيّاج.

إن هذه الحال التي باتت مظهراً لخطر كبير، وأصبح سائر مجتمعاتنا العربية والإسلامية يتبرم ويشكو منها، واحدة من عواقب غياب السلطات الإسلامية العليا عن واقع الساحة الإسلامية التي تشكو حرباً معلنة على الإسلام من قبل قمم القيادات الغربية كما قلنا.

والعلاج السريع الذي لا بديل عنه، والذي من شأنه أن يقضي على كل من الفوضى الداخلية ومن الحرب الخارجية، هي أن تمسك القيادات العليا في بلادنا العربية والإسلامية زمام المبادرة في هذا الأمر، وأن تعود فتمارس شرف القيام بحراسة الإسلام وأن تحيي في سلوكها وظيفه الخلفاء السابقين في العمل على حماية الإسلام، بشكل مباشر من سائر أعدائه وخصومه التقليديين. والمأمول

عندئذ أن يتحول أكثر هؤلاء الفئات التي تتوازعها أفكار وسبل متعارضة على جبهة العمل الإسلامي، إلى كوادر مجندة عن طوعية ورضاً لدعم قادة المسلمين في النهوض بوظيفتهم الاستراتيجية الأولى هذه. ولسوف يزدهر عندئذ في نفوس الصادقين من هذه الفئات ما يدفعهم إلى تلاحم جاد مع قادتهم، وهو الأمر الذي ستتشكل منه نواة لوحدة إسلامية جامعة.

وأما الواجب الثاني، فهو ذلك الواجب الذي يمليه كل من الإسلام والمنطق والشعور القومي، والمصالح الاستراتيجية لهذه الأمة.. إنه واجب التضامن والاتحاد.

إن من أوليات الدين الإسلامي وبدهيته الأحكام الثابتة فيه، وجوب اجتماع المسلمين كلهم دائماً تحت سلطان قيادة واحدة، وإن انتشروا ضمن دوائر متعددة من اللامركزية المنظمة. وذلك هو المرمى الكامن في كلمة (الخلافة) وهو المعنى الأول والمراد من ضرورة حضور الوظيفة أو الشخصية الدينية في شخص الإمام الأعظم وكيانه.

وباب الإمارة والبيعة في مصادر الحديث والسنة النبوية، يفيض بالأحاديث الصحيحة الثابتة التي تتضمن التحذير من أن يترك إنسان أياً كان، يسعى لشق عصا الدولة الإسلامية الواحدة.

إذن فتحقيق وحدة الأمة الإسلامية، ثم حراستها ورعايتها بكل الوسائل الممكنة، ليس مجرد مطلب قومي أو سياسي، بل هو قبل ذلك مطلب إسلامي يدخل في جوهر الإسلام ويمثل أساس بنيانه. إنه في قرار الإسلام وحكمه الركن الأول الذي لا بد منه للمجتمع الإسلامي، وإذا تهاوى هذا الركن لسبب ما فالمسلمون كلهم آثمون وعاصون.

ولقد تجلّت أهمية هذه الوحدة التي أمر الله بها صراحة في محكم كتابه للعالم كله، عندما أخذت تتكامل يقظة العالم الغربي في ظل ما سمي بعصر النهضة..

فلقد اهتمت الأطماع في نفوس الغربيين آنذاك، وأقبلوا من كل حَدَب وصوب يأملون في إشباع تلك الأطماع.. ولكنهم اصطدموا جميعاً بالجدار الصلب الذي وقف في وجوههم، من أي الجهات أقبلوا؛ ومعلوم للناس جميعاً أن هذا الجدار الصلب إنما كان جدار (الخلافة) أي جدار الوحدة الحقيقية المجسدة في واقع مادي يكلاً ويحرس الوجود الإسلامي بكل مقوماته.

وهذا ما دعا بريطانيا متعاونة مع الصهيونية العالمية في فجر تأسيسها، لوضع خطة ساندتها في تنفيذها فيما بعد، كل من فرنسا وأمريكا التي كانت حديثة العهد بالنفوذ والقوة، للقضاء على طوق الوحدة الإسلامية قبل كل شيء، ثم النفوذ بعد ذلك إلى سلسلة من المكاسب الهامة، وفي مقدمتها، إقامة دولة إسرائيل في فلسطين^(١).

ولعل في القراء من يتذكر قول حاييم وايزمن في مذكراته: "كان واضحاً لنا جميعاً، ولاسيما بعد مؤتمر السلام، أننا لن نصل إلى حقنا في إقامة وطن يهودي لنا في فلسطين، إلا بعد تحطيم طوق الخلافة"^(٢).

وإذا تذكرنا أن الخلافة التي كانت تشكّل آنذاك الجدار الصلب، أو الطوق المحكم على تعبير وايزمن، كانت تعاني من شيخوخة مدبرة، ومن أمراض مستشرية في الداخل والخارج، علمنا مدى أهمية الوحدة الإسلامية وضرورتها (واستعمل لها من الأسماء ما شئت) في حماية حقوق هذه الأمة، وصد كل معتدّ ودخيل يطمع بالنيل منها.

(١) انظر كتاب (الدنيا لعبة إسرائيل) لوليم كار، فصل (الخطوط العامة لمخطط الجنرال بايك، المؤامرة العالمية تجاه الإسلام) من صفحة ٢٥ إلى ٣٦. وفصل: (فلسطين ووعدها بلفور) من صفحة ١٨٠ إلى ١٩١. طبعة بيروت.

(٢) مذكرات حاييم وايزمن، صفحة ٥٢.

ولعل الذي يقرأ (أعمدة الحكمة السبعة) للورانس، يجد نفسه أمام اعترافات مذهلة لممثل الحكومة البريطانية في الجزيرة العربية آنذاك، تتضمن تفاصيل المؤامرة الطويلة التي قادتها بريطانيا لتحطيم بقايا قوة هذه الأمة المتمثلة آنذاك في الخلافة العثمانية، وذلك بين يدي وصول كل من بريطانيا وفرنسا والصهيونية إلى المغنم التي استلبتها من هذه الأمة. بل إن لورانس ليصل إلى درجة التهكم بالعقلية العربية التي انطلى عليها الخداع البريطاني، ففرطت بحصنها الإسلامي الذي استطاع على الرغم من ضعفه الذي سيق إليه، أن يصد أطماع الصهيونية والكتل الأوروبية كلها^(١)!!..

لذا، فإنني لا أستطيع أن أدرك أي قيمة لسعي الدول العربية والإسلامية لاستعادة شيء من حقوقها المغتصبة، أو حماية ثرواتها و حقوقها المتبقية، أو المحافظة على ذاتيتها ووجودها الحضاري، إن لم تتجه قبل ذلك بجذ وصدق إلى استعادة وحدتها الحقيقية كما كانت، من حيث الجوهر والمضمون، وإن اختلفت عما كانت عليه أو تُنعت به من الأسماء والألقاب؛ ذلك لأن جميع القائمين بأمر هذه الدول، يعلمون أن هذه الحقوق والثروات لم تنهب من أصحابها إلا بعد أن تم تحطيم الطوق الحامي لها، وإنهم ليعلمون أيضاً أن أولئك الطامعين ما يزالون ماضين في العمل على مزيد من التجزئة لهم بعد ذلك التحطيم، ابتغاء المضي في نهب بقية الثروات، والقضاء على ما تبقى من الحقوق ثم ابتغاء تمييع شخصية هذه الأمة، وتذويبها في تيار العولمة، وخضيم العالم الغربي الجديد.

(١) أهيب بكل من بوسعه العثور على كتاب (أعمدة الحكمة السبعة) أن يقرأه بتمعن، ليعلم كم من الثورات قامت في الظاهر باسم الوطنية أو الأمة، ثم تبين أنها مقودة بأيدٍ استعمارية مأكرة. كما أنني أهيب بالمخلصين من دور النشر أن يبذلوا جهدهم لتجديد طبع هذا الكتاب الذي سرعان ما يختفي كلما أُتيح له الظهور.

وأنا أعلم أنّ في الناس اليوم، مسؤولين وغير مسؤولين، من يعذر قادة الدول العربية والإسلامية، بأنهم لم يعودوا يملكون القدرة على اتخاذ هذا القرار.. قرار التضامن والوحدة وأنّ القوى والمخططات الغربية التي تربص بهم، ماضية في اتخاذ كل الوسائل المتنوعة التي تحول دون ذلك.

ولكنني أجزم أنّ الأمر في حقيقته ليس على هذا النحو. إنّ أيّ عدو يتربص بطائفة من الإخوة، يملك أن يستعمل حيلته الفكرية وقواه المادية، لتجريدتهم من المال الذي بحوزتهم، ولإخراجهم من الدار التي هي ملكهم ولتعريضهم من الثياب التي تسترهم.. ولكنه لا يملك أي وسيلة إلى أن يدخل إلى قلوبهم فيقطع صلة الود والقربى السارية فيما بينهم. إنّ القرار المتعلق بهذا الشأن إنما يعود إلى هؤلاء الإخوة أنفسهم. فإذا أيقنوا أنهم إخوة في الواقع ونفس الأمر، وعلموا أنّ مصالحهم تتوقف على استمرار هذا الود فيما بينهم، وعلى وضع هذه الأخوة في حياتهم وعلاقة ما بينهم موضع التنفيذ، ثم توجوا هذا اليقين بالإصغاء إلى وصية الله والانقياد لها عن طوعية وإذعان: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠]، فإنّ الأعداء الذين يحيطون بهم مهما كثروا ومهما تفننت حياتهم، لن تمتدّ قدراتهم وحيلهم إلى ما وراء الإيذاء المادي الذي من شأنه أن يزيد مشاعر الحب بين الإخوة حرارة، وأنّ يزيد صلة ما بينهم تقارباً بل تلاحماً.. وهذا هو مصداق قول الله عزّ وجلّ: ﴿لَنْ يَضُرُّكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقْتَلُوا كُمْ يُؤْلَوْكُمْ الْأَذْبَارُ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾ [آل عمران: ١١١].

غير أنّ الصعوبة إنما تكمن في إيجاد حوافز هذه الأخوة ومشاعر الألفة.. وقد دلّت تجربة الواقع التاريخي المعروف لنا جميعاً بأنه يتطابق بكل دقة مع قول الله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَاصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

ومع قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بِكَ قُلُوبُهُمْ وَلَئِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٣].

وإذا غاب هذا الوازع الذي له سره الخفي الواصل بين الإنسان وربّه، فهيّهات للاعتبارات القومية، أو المصالح الدنيوية على اختلافها، أن تحل محلّ هذا الوازع وأن تؤدي دوره.

بل إن هذه الاعتبارات، في غياب هذا الوازع الديني، سرعان ما تصبح من أخطر عوامل التفرق والشقاق، وما أيسر أن يستغلها العدو، ويجعل منها الأداة الأولى للتجزئة والتفكيك.

وانظر.. فإنّ البلاء الذي قد حاق بهذه الأمة، من خلال هذا الذي مني به الخليج، يحكي سيرة هذه الحقيقة كاملة دون أي نقصان.

وإذا تجلّت لك هذه الحقيقة، فلتعلم أنّ هذا هو السبب في أنّ السعي إلى وحدة هذه الأمة وتوحيد شملها تحت مظلة دولة واحدة، مطلب ديني إسلامي، وأنّ سلطة الحاكم فيها (أيّاً كان اسمه) سلطة دينية أولاً، ثم هي بعد ذلك سلطة سياسية نافذة.

والآن.. تعال فلنتصور أنّ هذا العلاج قد تمّ استعماله على هذا النحو المطلوب، فالناشطون على طريق العمل الإسلامي أعادوا النظر في نهجهم وصحّحوا سيرهم على النحو الذي تمّ بيانه.. وقادة المسلمين عادوا فمارسوا واجبهم الأول على نحو ما كان يفعل الخلفاء والأئمة من قبلهم، ألا وهو حراسة الإسلام، بشكل مباشر، من المتلاعبين به والكائدين له، والاهتمام بترسيخ جذوره الاعتقادية والتربوية والسلوكية في جنبات هذا المجتمع.. ثم مارسوا واجبهم الثاني وهو العمل على جمع شمل هذه الأمة، ولمّ شعثها، وإعادتها إلى سابق وسابق وحدتها..

أقول: تصوّر أن هذا العلاج قد تمّ استعماله على هذا النحو، أفيبقى ثمة ظل لهذا الذي يسمى التحديات الوافدة؟.. وهل يبقى أثر من الضغط الذي نتحدث عنه على أعقابها؟..

إنّ تصحيح منهج العمل الإسلامي، الذي ينهض به الإسلاميون أو أقطاب الجماعة الإسلامية، من شأنه أن يعيد المسلمين إلى جذورهم التربوية والاعتقادية.. وعندئذ تستيقن عقولهم بأنّ الإسلام هو الحق الذي لا ريب فيه، وتثق نفوسهم بأنه السبيل الأوحّد إلى الخلاص وحلّ المشكلات، وتزول الازدواجية القائمة بين قبول الإسلام انتماءً، ورفضه تشريعاً وحكماً.

وإنّ اجتماع قادة المسلمين على حراسة الإسلام عن بصيرة وإخلاص، ثم اجتماعهم في وحدة حقيقية على كلمة سواء، تفجر كوامن قوتهم، وتعيد نسيج عزّتهم، وتحمي لهم مدخرات ثروتهم التي لم يملك الله غيرهم مثلها..

ففي هذا الجو تنقشع غواشي التحديات وتنمحي آثارها، التي لم تتراكم كما قلت من قبل إلا من سوء أوضاعنا النفسية، وظروفنا الاجتماعية، ومن تلاحق الأخطاء التي لم تنجم إلا من وقوعنا في أودية التفرق والشقاق.

بقي أن فينا من يقول: ولكنك تعلق انقشاع هذه الغواشي على شروط تكاد تكون مستحيلة، أو لعلها مستحيلة فعلاً.. فلا الجماعات الإسلامية يتوقع اجتماعها على كلمة سواء طبق ما رسمت وبيّنت.. ولا قادة هذه الأمة ينتظر منهم أن يرتدّوا مسوح الإسلام ويعتلوا منبر الدعوة إليه، ويقفوا في ثغور حراسته من عدوان المتربصين به.. أما الأمل بأن يتضافروا ويتحدوا ويتلاحموا في دولة واحدة، فتلك هي قمة الخوارق المستعصية على الذهن في هذا العصر.

وأقول: قد يكون الأخذ بهذه الشروط عسير المنال.. وربما اعتذر الجميع عن عدم التمكن من الالتزام بها. وعندئذ لا بدّ أن نزداد يقيناً بأنّ التحديات التي تواجهنا والتي نظل نشكو منها ليست وافدة إلينا من أقصى شرق ولا غرب، وإنما هي صادرة

من نقطة العجز هذه في حياتنا. وحسبنا اعترافاً بذلك أن نوقن بأن العلاج هو ما قد ذكرت، ثم نعتذر في الوقت ذاته بأننا عاجزون عن استعماله!...

إذن، فالنتيجة التي لا بدّ أن نستقبلها، هي أن عجزنا هذا سيضعنا أمام تحديات وافدة إلينا فعلاً. أي إننا عندما نولي ظهورنا للعلاج بحجة عجزنا عن الأخذ به، فلا بديل عنه أماننا سوى الاستسلام للتيارات الوافدة إلينا، بشكل كيفي، وعلى النهج الاستسلامي.. ولا شكّ في أننا لن نحلّ بذلك شيئاً من مشكلاتنا التي لا بد أن تزداد تفاقمًا مع الأيام. بل إن العاقبة الوحيدة لذلك، أن تتهاوى الأطلال الباقية لمعالم وجودنا، وأن نتحول إلى لقيمات سائغة بين ماضغي العولمة التي نستجر إليها، وأن تؤول ثرواتنا الظاهرة والباطنة كلها إلى الوريث الوحيد الذي لا بديل عنه. وهو ذلك السيد الذي قرر أن يقودنا إلى تبعية ذليلة تامة، بزمام ما يسميه النظام العالمي الجديد.

والحقيقة الأخيرة التي ينبغي أن نعود بها من هذه الطوفة، هي أن التحديات أيّاً كان مبعثها ومصدرها، لا تواجه أو تهدد الإسلام، بحيث لو زال الإسلام من الطريق لزالَت التحديات، وإنما تهدد وجودنا كأمة بكل ما لها من حقوق ومقومات وثروات وحضارة..

فلنعلّم ذلك جيداً، حتى لا نجعل من الإسلام كبشَ فداء، في سبيل لا شيء... وعندئذ سنفقد الحصن وما فيه.. بل ومن فيه أيضاً..

الحمد لله رب العالمين



قائمة المصادر والمراجع

أولاً: باللغة العربية:

- الإسلام في الصين، فهمي هويدي، الكويت، سلسلة كتاب عالم المعرفة، ١٩٨١م.
- الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو الفلاني، آدم عبد الله الإلوري، تقديم د. عبد الحفيظ أولادوسو، ط ١، القاهرة، دار الكتاب المصري، ٢٠١٤م.
- الإسلام وحركات التحرر العربية، د. شوقي أبو خليل، ط ١، دمشق، دار الرشيد، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.
- الأزهر وأثره في النهضة الأدبية الحديثة، محمد كامل الفقي، القاهرة، المطبعة المنيرية بالأزهر الشريف، د.ت.
- أشرف علي التهانوي : حكيم الأمة وشيخ مشايخ العصر في الهند، محمد رحمة الله الندوي، سلسلة أعلام المسلمين، رقم ٩١، دمشق، دار القلم، ط ١، ٢٠٠٦م.
- أطلس دول العالم الإسلامي : جغرافي تاريخي اقتصادي، د. شوقي أبو خليل، ط ١، دمشق، دار الفكر، ١٩٩٩م.
- الأعلام، خير الدين الزركلي، ط ١٥، بيروت، دار العلم للملايين، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
- إفريقيا قارة الإسلام : انتشار الإسلام في إفريقيا في القرن العشرين، د. حورية توفيق مجاهد.
- انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء، عبد الله سالم بازينة، مطبوعات جامعة ٧ أكتوبر، مصراته، ليبيا، ٢٠١٠م.

- انتشار الإسلام وموقف المستشرقين منه، محمد فتح الله الزيايدي، ط ١، دمشق، دار قتيبة، ١٩٩٠م.
- ابن باديس وعروبة الجزائر، محمد الميللي، بيروت، دار العودة- دار الثقافة، ١٩٧٣م.
- بين العقيدة والقيادة، اللواء محمود شيت خطاب، ط ١، دمشق دار القلم، ١٩٩٨م.
- تاريخ العرب الحديث، د. جميل بيضون، د. شحادة الناطور، علي عكاشة، ط ١، إربد، ١٩٩٢م.
- تاريخ الإسلام في الهند، د. عبد المنعم النمر، ط ١، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
- التاريخ الإسلامي، محمود شاكر، ط ٢، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
- تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، د. إسماعيل ياغي، ومحمود شاكر، الرياض، دار المريخ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
- تاريخ المجتمعات الإسلامية، أيرام. لايدس، ترجمة فاضل جتكر، ط ٢، بيروت، دار الكتاب العربي، ٢٠١١م.
- التجربة التنموية في ماليزيا من العام ٢٠٠٠-٢٠١٠م، د. نادية فاضل عباس فضلي، مجلة دراسات دولية، العدد الرابع والخمسون.
- جغرافية العالم الإسلامي، د. محمد خميس زوكه، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٤م.
- جغرافية العالم الإسلامي، رياض الجبان، ط ١، دمشق، بيت الحكمة، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

- جغرافية العالم الإسلامي، دلال جوهر، ط ١، دمشق، مطبعة الصباح، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
- الجمعية المحمدية بإندونيسيا : أفكار محمد عبده ساهمت في تتبع المنهج الوسطي، محمود الجلال، موقع بوابة "الفجر الإلكترونية" في شبكة الإنترنت، الأربعاء ٢/مايو/٢٠١٨ .
- جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر (١٩١٣-١٩٤٠م)، عبد الرشيد زروقة، ط ١، بيروت، دار الشهاب، ١٩٩٩م.
- الحاج محمد أمين الحسيني : مفتي القدس - رئيس المجلس الإسلامي الشرعي، دراسة في نشاطاته الإسلامية (١٩٢١-١٩٣٧م)، د. تيسير جبارة، ط ١، (إربد، دار الفرقان، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م).
- حاضر العالم الإسلامي، محمد رضا القهوجي، ط ١، دمشق، دار الكلم، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ٩.
- حاضر العالم الإسلامي، د. نصار نصار، د. تيسير العمر، منشورات كلية الشريعة، جامعة دمشق، ٢٠١٤م.
- حاضر العالم الإسلامي، د. محمد ماهر قدسي، د. علي محمود عكام، منشورات كلية الشريعة، جامعة حلب، ٢٠١٠م.
- حاضر العالم الإسلامي وقضايا المعاصرة، د. جميل المصري، ط ٢، عمان، دار أم القرى، ١٩٨٩م.
- دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، د. عمر عبد العزيز عمر، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٩٠م.
- الدعوة إلى الإسلام : بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية، توماس أرنولد، ترجمة د. حسن إبراهيم حسن وآخرين، ط ٣، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٠م.

- دليل المؤسسات والمعاهد الإسلامية، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، ١٩٩٢م.
- سياسة الانتداب البريطاني حول أراضي فلسطين العربية، د. محمد سلامة النحال، منشورات فلسطين المحتلة، د.م، د.ت.
- شبلي النعماني : علامة الهند الأديب والمؤرخ الناقد الأديب، د. محمد أكرم الندوي، ط ١، دمشق، دار القلم، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
- شعوب شمال القفقاس، بدر الدين أوارى الداغستاني، دمشق، الجمعية الشركسية في سوريا، ٢٠١٢م.
- العالم الإسلامي، عمر رضا كحالة، ط ٣، دمشق، الشركة المتحدة للتوزيع، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
- العوامل الفكرية وانتشار الإسلام في تشاد، موسى عبد الرحمن عربي، دون بيانات نشر.
- الفتوح الإسلامية عبر التاريخ، د. عبد العزيز العمري، ط ٣، الرياض، دار إشبيليا، ١٤٢١هـ.
- في جغرافية العالم الإسلامي، د. سارة حسن منيمنة، د. محمد الإسكندراني، ط ٤، بيروت، دار بيروت المحروسة، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
- القضية الفلسطينية : خلفياتها التاريخية وتطوراتها المعاصرة، د. محسن محمد صالح، بيروت، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، ٢٠١٢م.
- كواشف زيوف، عبد الرحمن حبنكة الميداني، ط ٢، دمشق، دار القلم، ١٩٩١م.
- محمد رسول الله ﷺ، محمد رضا، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

- المسلمون تحت السيطرة الرأسالية، محمود شاكر، ط١، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٩٧٧م.
- المسلمون في السنغال معالم الحاضر وآفاق المستقبل، عبد القادر محمد سيلا، كتاب الأمة رقم (١٢)، قطر، ١٤٠٦هـ.
- المسلمون في الهند، أبو الحسن علي الحسيني الهندي، ط١، دمشق، دار ابن كثير، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
- الموسوعة التاريخية الجغرافية، مسعود الخوند، ط١، لبنان، دار رواد النهضة العربية.
- موسوعة العالم، بيروت، مؤسسة نوفل، ١٩٨١م.
- الموسوعة العربية العالمية، مجموعة من العلماء والباحثين، ط٢، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ١٩٩٩م.
- الموسوعة العربية الميسرة، شفيق غربال، ط٣، القاهرة، ٢٠٠٩م.
- موسوعة ويكيبيديا الحرة، الصفحات المتعلقة بالإسلام في دول آسيا الوسطى، وإندونيسيا"، جامعة أوروبا الإسلامية".
- موقع الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا في الانترنت:
<http://www.iiu.edu.my>
- موقع "المعهد الأوروبي للعلوم الإنسانية"، في الانترنت.

ثانياً: باللغة الإنكليزية:

- ❖ **A concise Encyclopedia of Islam**, Gordon D. Newby, One World, Oxford, 2002.
- ❖ **Encyclopedia of Islam**. Juan E. Campo, New York. Facts on File. 2009.
- ❖ **Encyclopedia of Islam and the Muslim World**, edited: Richard C. Martin, Macmillan Reference, USA, 2004.
- ❖ **Islam in Mali**, From Wikipedia, the free encyclopedia.
- ❖ **Islam in South Africa**, From Wikipedia, the free encyclopedia.
- ❖ **Islam in Australia**, From Wikipedia, the free encyclopedia.
- ❖ **Tashkent Islamic University**, From Wikipedia, the free encyclopedia.
- ❖ **The Concise Encyclopedia of Islam**, Cyril Glassé, Stacey International, London, 1989.
- ❖ **The Oxford Dictionary of Islam**, John L. Esposito, Oxford University Press, 2003.
- ❖ **The Oxford encyclopedia of the Modern Islamic World**, ed, John L. Esposito, oxford university Press, 1995.

تم

حَمْدُ اللَّهِ تَعَالَى



اللجنة العلمية:

د . أحمد الزبيبي

د . مدين الهواري

د . ريمه الصياد

المدقق اللغوي:

د . عبد الهادي منصور



حقوق الطبع والترجمة والنشر محفوظة لمديرية الكتب والمطبوعات

